بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ} (الفاتحة١::٧).

والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطاهرين

نقدم لكم بعض المقتطفات المقتبسة من دروس الشهيد القائد حسين بدر الدين (رضوان الله عليه) **والسيد القائد عبد الملك بدر الدين** (يحفظه الله)

معرفة الله سبحانه وتعالى

أهم مصدر لمعرفة الله سبحانه وتعالى هو القرآن الكريم، القرآن الكريم الذي يعطي معرفة واسعة، معرفة متكاملة، من غير القرآن الكريم لا يمكن أن نحصل على المعرفة بالشكل الذي ينبغي أن نكون عليها، حتى تكون معرفة تدفعنا إلى الثقة بالله أكثر فأكثر.

فالإنسان إذا تأمل القرآن الكريم فعلاً يستحي، يستحي من الله أنه كيف لا نثق به، ونحن نسمع آياته، ونحن نقرؤها، ونحن نؤمن بأن هذا الكتاب الكريم هو من عنده. فلماذا .. لماذا .. لماذا لا نثق؟ لماذا نبحث عن هذا الطرف أو هذا الطرف لنتولاه، ثم لا نتولى الله سبحانه وتعالى.

الآيات التي نحصل من خلالها على معرفة لله بالشكل المطلوب هي آيات كثيرة جداً، جداً في القرآن الكريم، تلك الآيات التي تتحدث عن ألوهية الله، وملكه، وعظمته، تلك الآيات التي تتحدث عن عظيم نعمه علينا، تلك الآيات التي تتحدث بأن له ملك السماوات والأرض، التي تتحدث بأنه مالك السماوات والأرض وما بينهما، وهو من يملك اليوم الآخر، وبيده مصيرنا، هو من يملك الجنة، من يملك النار، هو من يعلم الغيب والشهادة، هو العزيز، هو الحكيم، هو السميع، هو البصير، هو الرؤوف، هو الرحيم.

تلك الآيات التي تتحدث عنه سبحانه وتعالى بأنه جدير بأن يثق به عباده، وأن يخاف منه عباده، وأن يلتجئ إليه أولياؤه.

تلك الآيات التي تتحدث عنه سبحانه وتعالى بأنه جدير بأن يثق به عباده، وأن يخاف منه عباده، وأن يلتجئ إليه أولياؤه.

فمتى ما كان لله سبحانه وتعالى عظمة في نفوسنا، متى ما عرفنا من خلال هذه الآيات الكريمة ماذا يعني أنه ملكنا، وأننا عبيد له، ماذا يعني أنه ربنا، وأننا

مربوبـون لـه، مـاذا يعنـي أنـه رحيـم، مـاذا يعنـي أنـه رحمـن، مـاذا يعنـي أنـه جبـار، أنـه منتقـم؟ مـاذا يعنـي: أنـه مـن يملـك السـماوات والأرض ومـا بينهـما؟ مـاذا يعنـي أن لـه جنـود السـماوات والأرض؟ مـاذا يعنـي كل مـا شرحـه وفصلـه عـن شـئون ملكـه وتدبـيره لعبـاده ومخلوقاتـه؟ أن نعيهـا، أن نفهمهـا؛ لنعـرف كيـف ينبغـي أن يكـون التعامل في ما بيننا وبينه سبحانه وتعالى، بحيث لا تبقى الأشياء مجرد أسماء.

الثقة بالله

الحقيقـة: إذا تأمـل الإنسـان في واقـع النـاس يجـد أننـا ضحيـة عقائـد باطلـة، وثقافـة مغلوطـة جاءتنـا مـن خـارج الثقلـين: كتـاب اللـه، وعـترة رسـوله (صلـوات اللـه عليـه وعـلى آلـه)، هـذا شيء. الـشيء الآخر-وهـو الأهم-أننـا لم نثـق باللـه كـما ينبغـي، المسـلمون يعيشـون أزمـة ثقـة باللـه .. لمـاذا؟ أليـس في القـرآن الكريـم مـا يمكـن أن يعـزز ثقتنـا باللـه سـبحانه وتعـالى؟ بـلى. القـرآن الكريـم هـو الـذي قـال اللـه عنـه: {لَـوْ أَنْزَلْنَـا هَـذَا الْقُـرْآنَ عَـلَى جَبَـلٍ لَرَأَيْتَـهُ خَاشِـعاً مُتَصَدِّعـاً مِـنْ خَشْـيَةِ اللَّـهِ وَتِلْـكَ الْأَمْثَـالُ نَضْرِبُهَـا لِلنَّـاسِ لَعَلَّهُـمْ يَتَفَكَّـرُونَ} (الحـشر:٢١) قلـة معرفـة باللـه، انعـدام ثقـة باللـه، هـي التـي جعلـت المسـلمين يتصرفـون بعيـداً عـن اللـه سـبحانه وتعـالى، فلـم يهتـدوا بهديـه، لـو وثقنـا باللـه كـما ينبغـي لانطلـق النـاس لا يخشـون أحـداً إلا اللـه، لـو صدقنـا كـما ينبغـي وعـد اللـه سـبحانه وتعـالى للمؤمنـين، وعـد اللـه لأوليائـه، وعـد اللـه لمـن يكونـون أنصـاراً لدينـه .. مـا وعدهـم بـه مـن الخـير، والفـلاح والنجـاح والسـعادة والعـزة والكرامـة والقـوة في الدنيـا، ومـا وعدهـم بـه في الآخـرة مـن رضـوان، مـن جنـات عـدن .. لـو صدقنـا بذلـك كـما ينبغـي لمـا رغبنـا في أحـد، ولمـا رهبنـا مـن أحـد، لكانـت كل رغبتنـا في اللـه، وفيـما عنـده، وفي رضـاه، وكل رهبتنا من الله ومن وعيده وغضبه وعقابه.

الخطـاب القـرآني يتجـدد دائمـا يقـول للنـاس: {أَلَـمْ يَـأْنِ لِلَّذِيـنَ آمَنُـوا أَنْ تَخْشَـعَ قُلُوبُهُـمْ لِذِكْـرِ اللَّـهِ وَمَـا نَـزَلَ مِـنَ الْحَـقِّ} (الحديـد: مـن الآيـة ١٦) ألم يـأن، يعنـي: مـا قـدو وقـت - بتعبيرنـا نحـن - مـا قـدو وقـت أن النـاس تخشـع قلوبهـم لذكـر اللـه ومـا نـزل مـن الحـق مـن القـرآن الكريـم؟ {وَلا يَكُونُـوا كَالَّذِيـنَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ مِـنْ قَبْـلُ فَطَـالَ عَلَيْهِـمُ الْأَمَـدُ فَقَسَـتْ قُلُوبُهُـمْ} (الحديـد: مـن الآيـة ١٦) تخويـف مـن أن يصـير النـاس إلى مـا صـار إليـه بنـو إسرائيـل، الذيـن طـال عليهـم الأمـد يسـمعون مواعـظ، ويقـرؤون كتبـاً، ولكـن بـبرودة لا يتفاعلـون معهـا، وتتكـرر المواعـظ وتتكـرر النبـوات، وهكـذا، {فَقَسَـتْ قُلُوبُهُـمْ} حتـى فسـق أكثرهـم، وحتـى اسـتبدل اللـه بهـم غيرهـم، وحتـى جردهـم مـن

كل ما كان قد منحهم إياه: النبوة، وراثة الكتاب، الملك، الحكمة.

نحن المسلمون نتعرض لمثل هذه الحالة فكتاب الله يتردد على مسامعنا كثيراً، والمواعظ تتردد على مسامعنا كثيراً، والعلماء بين أظهرنا يتحدثون معنا كثيراً، ولكن نتلقى الكلام، نتلقى آيات القرآن ببرودة لا نتفاعل معها، أصبح تقريبا مجرد روتين استماع القرآن الكريم، واستماع المواعظ، وحضور المناسبات، لكن دون أن نرجع إلى أنفسنا فنجعلها تتعامل مع كل ما تسمع بجدية، وتتفاعل معه بمصداقية. نتعامل ببرودة مع كل ما نسمع، ولم ننطلق بجد وصدق لنطبق، لنلتزم، لنثق.

ستقسو قلوبنا - ونعوذ بالله من قسوة القلوب - متى ما قست القلوب يصبح هذا القرآن الكريم الذي لو أنزله الله على الجبال من الصخرات الصماء لتصدعت من خشية الله، لكن القلب متى ما قسي يصبح أقسى من الحجارة، فلا يؤثر فيه شيء. قال الله عن بني إسرائيل الذين حكى بأنهم طال عليهم الأمد فقست قلوبهم قال عنهم: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} (البقرة: من الآية ٧٤)، من بعد ماذا؟ من بعد المواعظ، من بعد الآيات الباهرات التي لم يتفاعلوا معها، ولم يعتبروا بها، ولم يتذكروا بها فقست قلوبهم، هكذا طبع الله القلب.

القلب إذا لم تحاول أن تجعله يلين مما يسمع، يلين لذكر الله، يوجل إذا سمع ذكر الله، يزداد إيمانا إذا تليت عليه آيات الله إذا لم تتعامل معه على هذا النحو فبطبيعته هو يقسو، يقسو، يقسو .. ومتى ما قسي قلبك سيطرت عليك الغفلة والنسيان لله سبحانه وتعالى، إذا ما نسيت الله نسيت نفسك، فتأتي يوم القيامة فتكون منسياً عما كنت ترجوه من الخير، أو تأمله من الخير والنجاة، والفوز يوم القيامة {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} (التوبة: من الآية ٦٧) {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (الحشر:١٩).

قلوبنا إذا لم نحاول أن نتعامل معها من منطلق الخوف أن تصل إلى هذه الحالة السيئة: القسوة، فتصبح أقسى من الحجارة، فحينئذ لا ينفع فيك شيء، لا ينفع فيك كتاب الله، ولا ينفع فيك رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولا ينفع فيك أي عظة تمر بك في هذه الدنيا.

والمطلوب من القلوب هو أن تخشع لذكر الله، هو أن تلين، هو أن تصدِّق، أن تثق، أن تمتلئ بالخشية من الله، أن تمتلئ حباً لله، معرفة قوية بالله سبحانه وتعالى .. متى ما صلح القلب صلح الإنسان بكله، وانطلق ليصلح

الحيـاة بكلهـا، وانطلـق بإيمـان، بثقـة، بإخـلاص، بصـدق، بتوجـه حكيـم في كل ما يريد الله سبحانه وتعالى منه.

مـن أيـن جـاءت أزمـة الثقـة باللـه حتـى أصبحـت وعـوده تلـك الوعـود القاطعـة المؤكـدة وكأنهـا وعـود مـن لا يملـك شـيئاً؟! وكأنهـا وعـود مـن لا علاقـة لنـا بـه، ولا علاقـة لـه بنـا .. كيـف نعمـل؟. نعـود إلى معرفـة اللـه سبحانه وتعالى.

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

لـو كنـا نعلـم أنـه لا إلـه إلا هـو لانطلقنـا في هـذه الدنيـا صواريـخ لا أحـد يوقفنـا أبـداً، ولا أحـد يخيفنـا أبـداً، ولا أحـد يخدعنـا أبـداً، ولا أحـد يسـتطيع أن يضلنـا أبـداً، ولا أحـد يسـتطيع أن يقهرنـا أبـداً. لكنـا نلاحـظ بـأن درجـة علمنـا بأنـه لا إلـه إلا هـو هابطـة جـداً، كلمـة تصرفـك عـن مـن هـو لا إلـه إلا هـو وعـن طريقـه، مـا هـذا يـدل عـلى أنـك تفقـد العلـم بكلـه، أو متـدني جـداً في علمك به؟.

أليـس عندمـا ينقـدح في نفسـك خـوف مـن غـير اللـه فتتراجـع يـدل عـلى أنـك ضعيف في علمك بأنه لا إله إلا هو....

عندمـا يـأتي شـخص يعطيـك مبلـغ مـن المـال، ويجنـدك ضـد أوليـاء اللـه، أو يصرفـك عـن نهـج الحـق، أو تدخـل معـه في باطـل، أليـس هـذا يـدل عـلى أنـك لا تعلـم أنـه لا إلـه إلا هـو؟ أنـه لا إلـه إلا اللـه؟ فانصرفـت عـن نهـج اللـه الـذي وصـف نفسـه بهـذه الأوصـاف العظيمـة، مـن لـه ملـك السـماوات والأرض، ورغبـت في مبلـغ زهيـد مـن المـال قـدم لـك مـن هنـا أو مـن هنـا مقابـل ولاء معـين، أو موقـف باطـل تدخـل فيـه، أو عمـل باطـل تقـوم بـه، أليـس هـذا يـدل على أنك لا تعلم بالله، ولا تؤمن بالله؟

فاعلـم.. هكـذا يقـول اللـه لرسـوله (صلـوات اللـه عليـه وعـلى آلـه): {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} وهـو مـن يعلـم، لكنهـا لهـا عمقهـا، لهـا عمقهـا البعيد، البعيد، البعيد.

مـا الـذي يجعلنـا ضعفـاء، خائفـين، متوجسـين، غـير صادقـين مـع بعضنـا بعـض، غـير متعاونـين عـلى الـبر والتقـوى، لا ننفـق في سـبيل اللـه، نفـوس ضعيفـة، نفـوس مهزومـة.. مـا هـو؟ أننـا لا نعلـم بمـا يريـد اللـه منـا أن نعلـم أنـه لا إلـه إلا هـو، فهـو مـن نرغـب فيـه، هـو مـن نخافـه، هـو مـن نتوجـه بتوجيهاته، هو من نقبل إرشاداته، لأنه لا إله إلا هو.

ولأن كل واحـدة، كل واحـدة مـما أرشـدك إليهـا يمكـن أن تقـول وراءهـا: لأنـه لا إلـه إلا هـو، أنـا لـن أخـاف إلا هـو لمـاذا؟ لأنـه لا إلـه إلا هـو، أنـا لـن أرغـب إلا فيـه، لمـاذا سـترفض كل شيء وترغـب في اللـه وحـده؟ لأنـه لا إلـه إلا هـو، أي ليـس هنـاك مـن هـو جديـر بـأن أألـه إليـه فأرجـوه، أو أخافـه.. إلا من؟ إلا الله. عندما أثق به أعظم من ثقتي بغيره؛ لأنه لا إله إلا هو.

ولهـذا كانـت هـي قاعـدة عامـة انطلـق منهـا الرسـول (صلـوات اللـه عليـه وعلى آله)، وَوُجِّه إليها {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}.

هـل جـاء بعدهـا بـشيء؟ {وَاسْـتَغْفِرْ لِذَنْبِـكَ وَلِلْمُؤْمِنِـينَ} متـى مـا علمـت أنـه لا إلـه إلا هـو فسـتجدها أمامـك في كل موقـف مـن مواقـف الحيـاة، سـتجدها هـي مـن توجهـك إلى اللـه، هـي مـن تجعلـك تعتصـم باللـه {وَمَـنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}(آل عمران: من الآية١٠١).

فلنعمـل دائمـاً عـلى أن نرسـخ في أنفسـنا: لا إلـه إلا هـو، كـم كنـا نقـرأ آيـات، نحـن نقرأهـا جميعـاً ونمـر عليهـا مـرور الكـرام، نأخـذ عـبرة مـن هـذه إذا كنـا في هـذه الجلسـة يبـدو وكأننـا نريـد أن ننطلـق في حديـث آخـر [هـذا شيء معـروف لا إلـه إلا اللـه، ولا إلـه إلا هـو]! فخـذ عـبرة مـن أن يخاطـب اللـه نبيـه محمـداً (صلـوات اللـه عليـه وعـلى آلـه) وهـو مـن هـو في معرفتـه باللـه فيقـول لـه: {فَاعْلَـمْ أَنَّـهُ لا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ}، لـو علمنـا ولـو علـم المسـلمون معشـار مـا علمـه رسـول اللـه (صلـوات اللـه عليـه وعـلى آلـه) مـن أنـه لا إلـه إلا هـو لحلـت المشـكلة بكلهـا التـي سـببها أزمـة الثقـة باللـه؛ لأن اللـه بـدا لنـا وكأنه ليس إلهاً، بل بدت آلهة أخرى نحن نأله إليها ونرفضه.

التدبر والتأمل في أسماء الله الحسنى الواردة في آخر سورة الحشر

ثم نأتي إلى بقية الأسماء الحسنى التي أثنى الله سبحانه وتعالى بها على نفسه في هذه الآية؛ لننظر إليه سبحانه وتعالى نظرةَ مَن نفسُه ممتلئة بالشعور بعظمة الله. {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ}(الحشر: من الآية٢٣) ألم يكرر نفس العبارة الأولى {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} هو الله، ثم يأتي بعدها بقية أسمائه الحسنى التي هي قائمة على هذا الإسم المبارك [الله] الذي لا إله إلا هو {الْمَلِكُ}الملك بـ (الـ) التي تفيد الإختصاص أنه وحده الملك من له ملك السماوات والأرض من هو ملكنا إذاً فهو هو وحده من له حق التصرف فينا، هو وحده من يجب أن نرغب إليه، ونخاف منه؛ لأنه الملك القاهر علينا.

ثم تجد مُلكَه سبحانه وتعالى ليس كمُلكِ الآخرين من البشر مُلْك هيمنة، مُلك جبروت، ملك طغيان، أوامر جافة، نواهي جافة نفِّذ.. لا تكريم فيها ولا كرامة معها. أما الله عز وجْل فإن ملكه كله قائم من منطلق أنه رب العالمين، وهو رحيم ورحمن بهم، نفس المعنى الذي جاء في أول سورة الفاتحة: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}(الفاتحة:١-٣) هو الذي ربوبيته تقوم على أساس رحمته، ربوبيته لعباده هي مظهر من مظاهر مُلكه، وتدبير من تدبير شؤون عباده الذين هو مَلِكُهم.

الْقُدُّوسُ

{هو الملك الْقُدُّوسُ} المُنَزَّه المُعَظّم، فأنت عندما تكون منقطعاً إليه، ملتجئاً إليه تجهر بأنه ربك، وأنه ملكك، وأنه إلهك، وأنه وليّك، فإنه هو من هو فخرٌ لك أن يكون إلهك، هو (قدُّوس)، هو منزّه، هو طاهر، هو معظّم، أنت لم تلجئ نفسك إلى طرف تستحي إذا ما أحد عرف أنه وليك أو أنه قدوتك أو أنه رئيسك أو أنه ملكك فتخزى، أما الله فإنه من يشرفك أنه إلهك أنه ربك وملكك، من تتشرف بأنك عبدٌ له.

ولهذه القضية أهميتها في السمو بالنفس حتى على مستوى القدوات من البشر، ألم نقل في مقام آخر أن من الفخر لنا، أن قدواتنا من أهل البيت، ليسوا من أولئك الملطخين بعار المخالفة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الملطخين بالأخطاء والمساوئ، والمواقف السيئة، فنحن نتعب أنفسنا في الدفاع عنهم وفي تَنْمِيق مظهرهم.

قدواتنا من أهل البيت هم من أولئك المنزهين المطهرين الكاملين في أنفسهم، ممن يشرفنا أن نقتدي بهم. فأنت لا تخجل إذا ما قلت أن وليّك علي بن أبي طالب، عد إلى علي فتعرّف على علي تجد أنه بالشكل الذي يشرفك، بالشكل الذي يجعلك تفتخر بأنه إمامك، بأنك تتولاه.

ولكن انظر إلى الآخرين كيف يتعبون أنفسهم وهم دائماً يدافعون عمن يتولونهم، يحرفون معاني القرآن من أجلهم، يحرفون معاني كلام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من أجلهم، يعملون على أن يحولوا سيئاتهم إلى حسنات، يعملون على أن يقدموهم للأمة كأعلام. ولكن يكفينا شهادة على أنهم ليسوا ممن يمكن أن نفخر بهم إذا ما انتمينا إليهم أننا نجدكم أنتم تتعبون أنفسكم وأنتم تغطّون على خطيئاتهم، وعلى قصورهم ونقصهم.

الله سبحانه وتعالى {الْقُدُّوسُ} هو الذي تفتخر بعبوديتك له، وتفخر بقربك منه. أليس هناك في هذه الدنيا من يفخر بأنه مقرب من الرئيس أو مقرب من الملك؟ ويرى لنفسه مكانة عظيمة يتطاول بها علينا، أنه شخص له كلمته عند الرئيس أو عند الملك أو عند رئيس الوزراء أو عند الشيخ فلان، أليس هذا هو ما نراه؟ ومن هم هؤلاء؟ من هم هؤلاء البشر الضعاف الناقصين القاصرين المساكين!.

فإذا كنا نجد من يفخر بقربه منهم، من يفخر بتوليه لهم، من يفخر بطاعته إياهم، فلماذا نحن لا نفخر على الآخرين بأننا نعمل لنكون مقربين إلى الله؟! أن نبحث عن كيف نحصل على ما فيه مجد لنا، وعزة لنا، وفخر لنا هو أن نقرب من الله، وأن نعزّز علاقتنا به، وأن نرسخ تولينا له؛ لأنه {الْقُدُّوسُ}.

السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ

{السَّلامُ الْمُؤْمِنُ} سلام لأوليائه، مؤمن لأوليائه، فكن من أوليائه سيرعاك ويحيطك بالسلامة بالأمن من الضلال، من الذل في هذه الدنيا، وهو من سيوصلك إلى دار السلام في الآخرة، ألم يصف جنته بأنها دار السلام في الآخرة؟.

{الْمُهَيْمِنُ} على كل شيء، هو المهيمن على كل شيء، فكيف تخاف، وكيف ترهب ممن هم تحت هيمنته!!. إذا كان رئيس أمريكا هو من يهيمن على بقية الزعماء، وهو مَن هو؟! أليس هو مَن الله مهيمن عليه؟. فما هو إلا ذرة من ذرات هذا

الكون الذي يهيمن الله عليه. أنظر كيف نتعامل نحن: نخاف من شخص هناك من هو مهيمن عليه شخص آخر، وهذا الشخص الآخر هو مهيمن عليه شخص آخر، وهذا الكبير في الأخير هناك من هو مهيمن عليه، هو الله الواحد القهار، الذي يقول لنا في كتابه {هُوَ اللَّهُ}هو هو.

عبارة (هو) هي تناجيك في كل لحظة وأنت تبحث عن أن تنصرف بذهنك إلى هذه الجهة أو إلى هذه الجهة، تقول لك: {هُوَ} وحده {اللَّهُ}.

بالإمكان إذا كنت تبحث عن السلام، تبحث عن الأمن، كما هو حال العرب الآن في صراعهم مع أعداء الإسلام والمسلمين يبحثون عن السلام، ويبحثون عن الأمن، فلم يجدوا أمناً ولم يجدوا سلاماً وإنما وجدوا ذلاً وقهراً وإهانة، ودوساً بالأقدام. لماذا لا تعودون إلى الله هو الذي سيمنحكم السلام. أليست إسرائيل هي في موقع سلام بالنسبة للفلسطينيين؛ لأنها هي المهيمنة عليهم؟ هل هي التي تخافهم أم هم الذين يخافونها؟.

نحن لو التجأنا إلى الله سبحانه وتعالى كلنا وتلك الحكومات التي تبحث، وأولئك الكبار الذين يبحثون عن السلام من أمريكا، ويبحثون عن السلام من روسيا، يبحثون عن السلام من بلدان أوروبا، بل يبحثون عن السلام من إسرائيل نفسها، عودوا إلى الله هو الذي سيمنحكم القوة، يمنحكم العزة فتكونوا أنتم المهيمنين على الآخرين؛ لأنكم تمسكتم بالسلام المؤمن المهيمن، وهناك من الذي يستطيع أن يضركم؟. من الذي يستطيع أن يؤذيكم؟ من الذي يمكنه أن يقهركم؟ أوليس هذا هو السلام؟.

السلام لا يتحقق لك إلا إذا كنت في موقف عزة وقوة ومكانة، أما أن تأتي تبحث عن السلام وأنت تحت، - كما يصنع الفلسطينيون، وكما يصنع العرب الآن - فإنما هو استسلام، هو استسلام، وأنت في الواقع تحت رحمة عدوك، بإمكانه أن يضربك في أي وقت، بإمكانه أن يختلق لك مشكلة ما مع أي بلد آخر فتدخل في حرب مع ذلك البلد كما رأينا.

هل يريد الناس سلاماً بما تعنيه الكلمة، وأمناً بما تعنيه الكلمة؟ فليعودوا إلى السلام المؤمن المهيمن، مَنْ كتابه مهيمن على الكتب، ومن سيجعلهم مهيمنين على بقية الأمم وحينها سيحظون بالسلام.

والإسلام هو دين السلام، لكن دين السلام بمعناه الصحيح، ما معناه إقفال ملفات الحرب مع الآخرين ليس هذا هو السلام.؟ أن نقول: انتهى الأمر نلغي الجهاد، ونلغي الحروب

لنعيش مع الآخرين في سلام. هذا هو ما حصل لنا نحن المسلمين، ما عمله كبارنا، ظلوا يلهثون وراء السلام، ويناشدون الآخرين بأننا نريد السلام ويبحثون عن السلام، بعد أن ألقوا آلة الحرب وألغوا اسم (الجهاد)، فما الذي حصل؟ هل حصل سلام أم حصل دوس بالأقدام؟. وحصل استسلام. أليس هذا هو الذي حصل؟.

إفهم إسلامك الذي سيحقق لك السلام، هو دين الله السلام، لكن بمعنى آخر، متى ما سرت على نهج هذا الدين، متى ما تمسكت بهذا الدين، متى ما اعتصمت بالله المشرِّع والهادي بهذا الدين ستكون قوياً، ستكون عزيزاً، ستكون الأعلى {فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}(محمد:٣٥).

ألم يستنكر عليهم أن يدعوا إلى السِّلم وهم في موقف يجب أن يكونوا هم الأعلون؟ فكيف تبحث عن السّلم مع الآخرين وأنت من يجب أن تكون أنت من يحاول الآخرون أن يبحثوا عن السِّلم معك، فتقول لهم: أدخلوا في الإسلام لتحظوا بالسِّلم؛ ليكون لكم ما لنا وعليكم ما علينا. ألم يكن هذا ما يعمله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في أيام حروبه، عندما يخيرهم بين واحدة من اثنتين: إما الشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أو الحرب. أنتم تريدون السلام أدخلوا في هذا الإسلام لتحظوا بالسلام، وإلا فليس أمامكم إلا السيف. حينها يصح أن نقول عن أنفسنا بأننا قد حصلنا على السلام، وحينها سنعرف معنى إسم كلمة إسلام الذي شُوِّه معناه، فأصبح يعني الآن استسلام للآخرين.

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ}

أليس في هذه الأسماء الحسنى - التي تتحدث عن كمال الله سبحانه وتعالى - أليس فيها ما يصنع الثقة في نفوس أولئك الذين ارْتَمَوا تحت أقدام أمريكا وإسرائيل؟ لماذا يعرضون عن الله وهم من يعترفون ويشهدون على أنفسهم بأنهم مسلمون، وأنهم مؤمنون بهذا القرآن الكريم؟.

هذه هي التي ضربت المسلمين كباراً وصغاراً (عدم الثقة بالله)، عدم الثقة بالله حتى فينا نحن الصغار نخاف من شخص هو مسكين بالنسبة للآخرين هناك من هو مهيمن عليه، والذي هو مهيمن عليه مسكين بالنسبة لذلك الأمريكي الذي في واشنطن الذي هو مهيمن عليه، والكل مساكين ومقهورين تحت جبروت الله وقهره.

اربط نفسك بالله رأساً، تجاوز كل هذه الأصنام في هذه الدنيا، وارتبط بالله رأساً، وثق به، وهو من سيجعلك قوياً أقوى مما يملكه هؤلاء من وسائل القوة في هذه الدنيا.

الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ

هـو أيضـاً {الْعَزِيـزُ الْجَبَّـارُ الْمُتَكَبِّرُ} فأنـت عندمـا تلتجـئ إليـه تقـل: فعـلا: [اللـه هـو طيـب، لكـن نفسـه سـمحة وأعداءنـا واللـه مـا هـو محـاول يحـرك سـاكن معهـم واحنـا عارفـين لـه، وإنمـا يريـد أن نسـير نمسِّـح أكتافهـم ونحـاول نحسـن أخلاقنـا معهـم لأنـه مسـكين سـالك لطريقـه لا يريـد أن يتدخـل في شيء]. هـل اللـه هكـذا؟. يمكـن إذا قلنـا: [يـا خـي فـلان ممكـن يعاونـا؟ تقـول: واللـه فعـلاً هـو رجّـال جيْـد لكـن مـا مِنَّـه شيء سـيمكنها ضحكـة في الأخـير.. نحـن الآن معنـا مشـكلة مـع ذولاك ونريـد رجَّـال يكـون وجـه بـادي ورجَّـال يسـتطيع أنـه ينفع] أليس الناس يقولون هكذا؟.

اللـه في الوقـت الـذي يقـول لنـا: {هُـوَ اللَّـهُ الَّـذِي لا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ الْمَلِـكُ الْقُدُّوسُ السَّـلامُ الْمُؤْمِـنُ} أليسـت عبـارات تبـدو رقيقـة؟ يقـول لـك: هـو أيضـاً في نفـس الوقـت إذا مـا وثقـت بـه وأنـت في ميـدان المواجهـة والـصراع مـع أعدائـك وأعدائـه مـن يريـدون ظلمـك وقهـرك واسـتذلالك هـو {عَزِيـز} يمكنـك أن تمتنـع بـه، هـو (جَبَّار،مُتَكَـبِّر) سـيقهرهم، وسـيجعلك أنـت مـن تقهرهـم {قَاتِلُوهُـمْ يُعَذِّبْهُـمُ اللَّـهُ بِأَيْدِيكُـمْ وَيُخْزِهِـمْ وَيَنْصُرْكُـمْ عَلَيْهِـمْ وَيَشْـفِ صُـدُورَ قَـوْمٍ مُؤْمِنِينَ}(التوبة:١٤) أم يقل هكذا؟.

هـو يقـول: سـأجعلكم جباريـن عـلى أعدائكـم، ومتكبريـن عـلى أعدائكـم، فأنـت عندمـا تثـق باللـه، سـتثق بمـن هـو سـلام لـك وأمْـنٌ لـك في مقامـات السـلام معـه، عزيـز جبـار متكـبر سـيمنحك مـن عزتـه وجبروتـه وكبريائـه مـا تقهـر بـه أعـداءك وأعـداءه، ليـس هنـاك نقـص إطلاقـاً في جانـب اللـه عندمـا تثق به وتلتجئ إليه.

عندمـا تشـعر بعظمتـه ليـس فيـه صفـة واحـدة كـما هـي في النـاس، والتـي نسـمعها كثـيراً مـن بعضنـا بعـض نقـول فـلان.. تقـول: [فعـلاً يـا أخـي فـلان رجّـال جيْـد وباهـر، ومـا يقـصر لكـن أمانـه مـا هـو حـق هـذه المواقـف] أليـس الناس يقولون هكذا؟.

أمـا اللـه فهـو مـن يكـون لـك في كل المواقـف، ولـك بأكـثر مـما يمكـن أن تـدرك، سـيملأ قلـوب الآخريـن رعبـاً بالشـكل الـذي لا يمكـن أن تصنعـه وسـائل إعلامـك، ولا يمكـن أن تصنعـه أيضـاً آليتـك العسـكرية. هـو مـن نـصر نبيـه بالرُّعـب بمسـافة شـهر، وكـم كان الجيـش الـذي معـه؟ هـم أولئـك الذيـن حُـوصروا في

المدينـة عـدد قليـل، ونـصره اللـه بالرعـب، فـكان بعـض أعدائـه مـن اليهـود يخربـون بيوتهـم ويقطعـون نخيلهـم أحيانـاً، ويرحلـون خوفـاً قبـل أن يجيّـش الجيـوش عليهـم، وقبل أن يحاول أنه يشعرهم بأنه يريد أن يهاجمهم.

{الْعَزِيـزُ الْجَبَّـارُ الْمُتَكَـبِّرُ سُـبْحَانَ اللَّـهِ عَـمَّا يُشْرِكُـونَ} بعـد هـذه الأسـماء الحسـنى تـرى غريبـاً جـداً جـداً أولئـك الذيـن يلتجئـون إلى غـير اللـه سـبحانه وتعـالى مـا أسـوأ حالهـم! مـا أحـط مكانتهـم! ومـا أتعسـهم!. ومـا ألأمهـم!، عندمـا يلتجئـون إلى غـير اللـه، إلى صنـم مـن الأخشـاب أو صنـم مـن الأحجـار أو صنـم مـن البـشر؛ لأنهـم يخافونـه، ويرجـون منـه أشـياء، واللـه قـال لهـم في هـذه الآيـات هـو، هـو كـذا، كـذا.. إلى آخـره.. من يمكن أن ترجوه، من يمكن أن تعتمدوا عليه، من يجب أن تخافوه.

ولأنـه ليـس هنـاك في هـذا العـالم، ليـس هنـاك في الوجـود مـن يمكـن أن يكـون متصفـاً بكـمال اللـه سـبحانه وتعـالى، ولا بجـزءٍ مـن كـمال اللـه سـبحانه وتعـالى - إن صـح التعبـير - مـن الظلـم لأنفسـنا ومـن الإسـاءة إلى اللـه ربنـا الـذي هـو {الْمَلِـكُ الْقُـدُّوسُ السَّـلامُ الْمُؤْمِـنُ الْمُهَيْمِـنُ الْعَزِيـزُ الْجَبَّـارُ الْمُتَكَـبِّرُ} مـن الإسـاءة البالغـة إليـه أن نجعـل لـه شركاء فنمنحهم ولاءنا، ومنهم نخاف، وإليهم نرغب.

{سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} تنزيه لله عن أن يكون له شريك، تنزيه لله وتقديس له عن أن يكون له شريك في ملكه، شريك في كماله {سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

الْخَالِقُ الْبَارِئُ

{هُـوَ اللَّـهُ الْخَالِـقُ الْبَـارِئُ الْمُصَـوِّرُ لَـهُ الْأَسْـمَاءُ الْحُسْـنَى يُسَـبِّحُ لَـهُ مَـا فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ}(الحشر:٢٤) {هُـوَ اللَّـهُ الْخَالِـقُ} هـو مـن قـال لبنـي إسرائيل: {ثُـمَّ رَدَدْنَـا لَكُـمُ الْكَـرَّةَ عَلَيْهِـمْ وَأَمْدَدْنَاكُـمْ بِأَمْـوَالٍ وَبَنِـينَ وَجَعَلْنَاكُـمْ أَكْـثَرَ نَفِـيراً} (الإسراء:٦) فعندمـا يقـول النـاس: نحـن قليـل الآخـرون قـد يسـتذلونا، قـد يُقتـل منـا كـذا، ونصبـح قليـل لا نسـتطيع أن نعمـل شـيئاً. اللـه هـو الخالـق، هـو الـذي يسـتطيع أن يمدكـم بأمـوال وبنـين، ألم يقـل نـوح لقومـه هكـذا؟ {فَقُلْـتُ اسْـتَغْفِرُوا رَبَّكُـمْ إِنَّـهُ كَانَ غَفَّـاراً يُرْسِـلِ السَّـمَاءَ عَلَيْكُـمْ مِـدْرَاراً وَيُمْدِدْكُـمْ بِأَمْـوَالٍ وَبَنِينَ}(نـوح:١٠-١٢) إذا مـا قتـل ابنـي هـذا وابنـي هـذا هـو مـن سـيمدني بأبنـاء آخريـن {يُمْدِدْكُـمْ بِأَمْـوَالٍ وَبَنِـينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً}.

هـو الخالـق، هـو البـارئ، كلمـة {بَـارِئ} تشـبه معنـى كلمـة {خَالِـق} فيـما تعنيـه أيضاً من الإبداع أو الابتداع، أو أنه فاطر ما خلقه.

{الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} أن يخلق الشيء على نحوٍ معين، على كيفية معينة ويقال الذي برأ النّسَمَة، كما كان في قَسَم الإمام علي (والذي فلق الحبّة وبرأ النّسَمة) خلقها على كيفية معينة، فطرها هو وابتدعها هو بدون مثال سابق.

{لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} فهنا ذكر لنا مجموعة من أسمائه الحسنى، التي تعني ماذا؟ تعني كمالاً بالنسبة لله سبحانه وتعالى، ليس مجرد أسماء ألفاظ لا تعني شيئاً. الآن لو وضعنا لشخص منا خمسة أسماء هل يمكن أن تزيد في معانيه شيئاً فنسميه: أحمد ومحمد وقاسم وصالح ومسفر وجابر. هل لهذا زيادة فيه؟. لا. هل تعطي هذه الكلمات معاني بالنسبة لك؟ يعني شهادة بكمالك؟.

الله هنا عرض لنا مجموعة من أسمائه الحسنى التي هي حديث عن كماله، كماله المطلق في كل شيء، (عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر).

ثم قال لك أيضاً: له الأسماء الحسنى، عُد إليها في بقية الآيات والسور داخل القرآن الكريم وجمِّعها وستجد كم هي. أشبه شيء بإحالة لنا إلى ما ذكره من أسمائه في بقية السور والآيات الأخرى، ارجع إليها من هناك حكيم، حليم سميع، بصير إلى آخر أسمائه الحسنى، تلك الأسماء التي تشهد بكماله؛ لترى نفسك بأنه يمكن لك، بل يجب عليك، بل لا يجوز لك غير هذا هو أن تعتمد عليه، وأن تثق به، وأن تستشعر عظمته سبحانه وتعالى.

استشعار عظمة الله في نفوسنا، أن تملأ عظمته نفوسنا، قضية مهمة، قضية مهمة، ولا شيء يمكن أن يمنحنا هذا الشعور سوى القرآن الكريم فيما يعرضه من أسماء الله الحسنى، ومعانيها، وما فيها من شهادة بكمال الله سبحانه وتعالى.

التأمل في آية الكرسي

آية الكرسي التي نقرؤها وهي من أعظم آيات القرآن الكريم يقول الله سبحانه وتعالى فيها: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}(البقرة: من الآية٢٥٥) ثقوا به؛ لأنه الله الذي لا إله غيره، أي هو من يملك شئونكم، من بيده شئونكم وأموركم، هو من يدبر أموركم، هو وحده الذي يمكن أن تألهوا إليه، وتلتجئوا إليه.. هو الحي لا يمكن أن تقول:[ربما قد مات، الله يرحمه، إيش عبَّا يسوي لنا]؟ لا، هو الحي.. هو الشاهد على كل شيء.

قيـوم، هـو القيـوم عـلى كل شيء، فهـو قائـم عـلى كل نفـس بمـا كسـبت. هـو القيـوم هـو الشـاهد عـلى هـذا العـالم مـن يقـوم بتدبـير شـئونك، هـو مـن يقـوم بتحقيق ما وعدك به، بإنجاز ما وعدك به.

هـو أيضـاً {لا تَأْخُـذُهُ سِـنَةٌ}أول النوم، أو نوع من الغفلة، {وَلا نَـوْمٌ} فيمكن أن يهاجموك وهـو راقـد.. لا، يقـول واحـد [والله إمـا إذا هـو بيرقد فيمكـن يباغتونـا وهو راقـد ويرجع ينتبـه وقـد نجحـت] لا، لا.. اللـه سـبحانه وتعالى لا يغفـل، لا ينام، لا يسـهو، لا ينسى عندما تثـق بـه فأنـت تثـق بمـن لا يغفـل عنـك لحظـة واحـدة، بمـن هـو عليـم بـذات الصـدور، صـدرك أنـت، وصـدر عـدوك، فثـق بمـن يسـتطيع أن يملأ قلبـك إيمانـا وقـوة، ويملأ قلـب عدوك رعباً وخوفاً {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ}(الأنفال: من الآية١٢).

مـن هـو الـذي يمكـن أن تتـولاه، ولـه هيمنـة عـلى القلـوب؟ مـن هـو الـذي يمكـن؟ لا زعيـم، لا رئيـس، لا ملـك، لا أي أحـد في هـذا العـالم لـه هيمنـة عـلى القلـوب.. ألم يقـل الرسـول (صلـوات اللـه عليـه وعـلى آله):((نـصرت بالرعـب مـن مسـيرة شـهر))؟ مـن أيـن جـاء هـذا الرعـب؟ مـن قبـل اللـه، هـو الـذي هـو مطلـع عـلى القلـوب، وبيـده القلـوب يسـتطيع أن يملأهـا رعبـاً، ويمـلأ تلـك القلـوب قـوة وإيمانـاً وثقـة، وعزمـاً وإرادة صلبـة؛ لأنه قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم.

ممكـن يكـون معـك وأنـت في الدنيـا هـذه صديـق مسـؤول أو تاجـر، يحصـل موقـف، تسـير إلى عنـد بـاب بيتـه.. قالـوا: لحظـة عـاده راقـد.. يـا جماعـة احنـا عجّالـين بلغـوه.. قالـوا مـا يمكـن.. لأنـه عـادة كل مـن هـو كبـير في هـذه الدنيـا كلـما بيكـون أكـثر ابتعـاداً عـن النـاس.. راقـد! شُـوفُوه لنـا.. ذا معنـا ورقـة نريـد يعمـل لنـا توجيـه إلى عنـد فـلان، معنـا مشـكلة كـذا وكـذا، ونريـد.. قالـوا: لحظـة.. راقـد، ويمكـن أن تخلـي الورقـة عنـد الحـارس وتجـي لهـا إن شـاء اللـه بكـرة؛ لأن وليـك هـذا هـو يسـهر عـلى الفيديـو إلى مـا قبـل الفجـر، ويتابـع الفضائيـات إلى مـا قبـل الفجـر، ثـم ينـام ويواصـل نومـه إلى الظهـر، وهنـاك مـن يذهـب يشـتري لـه قـات، ويذهـب يشـتري مصاريـف البيـت، وهـو يصحـو فقـط في الظهـر، وأنـت منتظـر لـه عنـد البـاب، لأن وليـك هـذا راقـد، تأخـذه سـاعات مـن النـوم، والورقـة حقـك عندمـا توصلهـا عنـده يقلبهـا قليـلاً، وهـو متأثـر بعـد النـوم، عـاده مِبَخِـر بعـد الغـداء، وإن شـاء اللـه عندمـا يصحـو بالقـات قبـل المغـرب يرجـع يشـوف ورقتـك، ثـم يحولهـا: [الأخ الفـلاني اطلعـوا عـلى قضيـة الأخ فـلان وانظـروا فيهـا عـلى حسـب مـا بـدا لكـم]. مثـل هـذا ليـس جديـراً بـأن تتـولاه، وأن تثـق بـه بعيـداً عـن الله سبحانه وتعالى.

أما الله عندما تتولاه هو الشاهد على كل شيء، هو الحاضر على كل شيء {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا}(المجادلة: من الآية٧)، {عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (الحديد: من الآية٦)، {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}(البقرة: من الآية٢٥٥). هو إلهك، هو ليس إلهاً من تلك الآلهة التي شراها جدك من الهند ووضعها في الساحة قرب بيتك، يحتاج تنظفه وتبخر له - مثلما كان يفعل العرب سابقاً - وهو لا يملك حتى المكان الذي هو منصوب عليه.

أما هذا الإله العظيم، هو من له ملك السماوات والأرض، وكونه مالك من في السماوات والأرض ملك نافذ لا أحد يستطيع أن يتمرد على إرادته، لا أحد يستطيع أن يغالبه، فإذا ما كان معك فسيجعل الكون بكله معك، وهو من يستطيع أن يهيئ ويدبر، يستطيع أن يسخر.

{مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ}(البقرة: من الآية٢٥٥)، حتى لو ظننت من منطلق آخر بأن ذلك الشخص الكبير في الدنيا يمكن أن يكون كبيراً في الآخرة، فيشفع لك؛ لأنه كان وجيهاً في هذه الدنيا، ولديه ممتلكات كثيرة، وكان له سلطة عظيمة يمكن أن ينفع يوم القيامة.. كانت هذه نظرة عند العرب السابقين، عند الجاهليين السابقين، كانوا يعتقدون أن الشخص الوجيه في الدنيا يمكن أن يكون أيضاً وجيهاً في الآخرة، كان يقولون: لو فرضنا أن هناك آخرة سنكون نحن من المقربين، ونكون نحن؛ لأننا هنا في الدنيا عظماء {وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً}(الكهف: من الآية٣٦).

في يوم القيامة لا تكون شفاعة إلا لمن ارتضى، ولا شفاعة إلا لمن يأذن، فمن يشفعون هم أولياؤه، هم أنبياؤه، هم من هم في طريقه الذي رسمه، وليسوا ممن يفرضون أنفسهم عليه، {وَلا يَشْفَعُونَ}أيضاً {إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ}(الأنبياء: من الآية٢٨).

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ}أي: عندما يقول لك: ليس هناك من يشفع إلا بإذنه أنه يعلم فعلاً أنه لا أحد يشفع إلا بإذنه هو {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} هو يعلم حاضرهم وماضيهم ومستقبلهم، {وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}(البقرة: من الآية٢٥٥)، هو الذي أحاط علمه بكل شيء، فهو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم.

أي لا تقل: ربما الله قال أنه لن يشفِّع أحد إلا بإذنه، لكن هذا ربما يكون

الباري هو قد بدا له شيء لأنه عاد باقي مسافة إلى القيامة، وعاد باقي زمان طويل، وباقي كذا.. احتمال.. هو يقول حتى لو كررت هذه الآية حتى مع الملائكة في مجال الشفاعة، {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ}، {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} في أكثر من آية في القرآن يقول أنه يعلم ما سيقع، ويعلم الحدود التي لا يمكن أن يتجاوزوها، والصلاحية في مجال الشفاعة التي تعطى لهم فقط، ولمن تعطى فقط، فلا يتخلف الواقع عما علمه يوم القيامة.

{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}(البقرة: من الآية٢٥٥) يقال: علمه، ويقال: ملكه، معنى كلمة: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}، وأظهر ما تكون أنها بمعنى علمه بعد أن قال: {وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}(البقرة: من الآية٢٥٥) لأنه هو من أحاط علمه بالسماوات والأرض {وَلا يَؤُودُهُ} (البقرة: من الآية٢٥٥): لا يثقله، لا يتعبه، لا يشق عليه {حِفْظُهُمَا} حفظ السماوات والأرض {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا}(فاطر: من الآية٤١).

{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}(البقرة: من الآية٢٥٥) أنت إذا ما كنت متولياً له فهو العلي، هو القاهر فوق عباده، هو العزيز، وهو العظيم، العظيم في شئونه، العظيم في أفعاله، العظيم في كماله، فهو من هو جدير بأن يتولى، من هو جدير بأن يعبد.

لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

يتحدث عن ذاته سبحانه وتعالى باعتباره هو ذو الكمال المطلق، وهو الملك لهذا العالم، وهو رب العالمين، وهو ملكهم {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} له وحده ملكها، أليس هذا هو الدليل الكافي على أنه لا يجوز لأحد أن ينطلق نحو التحكم في شؤون عباد الله دون أن يكون له شرعية من عند الله؟. إذا كانوا يقولون: لا.. يجوز هذا، إذاً فيجوز لأي شخص أن ينطلق إلى مركز المحافظة فيتحكم فيها، إلى مركز المديرية فيأخذ المبنى ويتحكم فيه دون إذن من رئيس، ودون إذن من ملك، ودون إذن من رئيس وزراء ولا غيره، هل هذا مقبول في عالمنا؟. ليس مقبول. لماذا نقبله بالنسبة لله سبحانه وتعالى؟.

نحن في أعمالنا نشهد على أنفسنا.. نشهد على أنفسنا بأننا نجوِّز على الله سبحانه وتعالى، وفيما يتعلق بشأنه، وفيما هو من اختصاصه ما لا نجوّزه ولا نسوّغه في ما يتعلق بعالمنا، وفي أنفسنا. هو له ملك السماوات والأرض، ما معنى ملكها؟ من فيها، هو الذي له الحق في أن يلي أمرهم، أن يدبر شأنهم، أن يشرّع

لهم، أن يرسم هدايتهم، أن يوجههم هو.

عندما يقول: بأن له ملك السماوات والأرض، ليس ملك كأي ملك من الملوك الآخرين هو ملك رحمن رحيم رؤوف رحيم. يعرض القرآن الكريم في آيات أخرى كيف تدبير الله لشؤون خلقه، ما هو الأساس الذي يقوم عليه تشريعه لعباده ورعايته لشؤونهم، وهدايته لهم، من منطلق رحمته بهم، هو رحمن رحيم.

{لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}، إذاً فلا شرعية لأي شخص يتحكم على رقاب الناس، أوَليس الناسُ هم ممن داخل السماوات والأرض؟ أو أنهم هم العنصر الأساس داخل السماوات والأرض، هم من استخلفوا على هذه الأرض فسخرت لهم السماوات والأرض وما فيها، حتى كثير من الملائكة أعمالهم مرتبطة فيما يتعلق بالناس، فيما يتعلق بالأرض {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ} (الشورى: من الآية٥) كثير من شؤون الأرض مرتبطة بهم، تأتي من جهتهم ممن اصطفاه الله من داخلهم يقوم بإبلاغ وحيه بإنزال كتبه، ومع عباده حفظة، ومع عباده كُتَّاب، الكل.. الكل حول الإنسان. الكل حول الإنسان.

ثم إذا انتزعنا ملك الله من هذا الإنسان، وقلنا لا حاجة إلى أخذ شرعية من جهة الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بالحكم لهذا الإنسان، والهيمنة عليه، والتحكم في شؤونه، فماذا بقي لله؟ تركنا لله الأشياء الباقية! تركنا له الأشياء الباقية! ثم نأتي إلى المخلوق الرئيسي الذي هو خليفة لله في هذه الأرض، وسخر له الأرض والسماوات وما فيهما، فننتزع سلطان الله منه، ونأتي نحن ولا نربط أنفسنا بالله، بل نأتي لنقول: السلطة ملك للشعب يمنحها من يشاء، هكذا في دساتيرنا العربية عبارات كهذه بالتصريح أو ما يُفهم معناها وهو الذي يقول: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} (آل عمران: من الآية٢٦).

السلطة ملك للشعب، هكذا نقول! هذه العبارة ليست سهلة، هذه العبارة خطيرة جداً على الأمة، أن تدين بها دولة، وأن يدين بها شعب عبارة خطيرة.

{لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} إذاً فهو هو من له الحق أن يدبر شأنهم ولا شرعية لمن لا يعتبر في حكمه امتداداً لشرعية الله سبحانه وتعالى، الذي هو ملك السماوات والأرض، ولا يجوز أن ندين بشرعية أي شخص تحت أي مسمى كان حتى ولو كان تحت اسم [إمام] لا يكون حكمُه امتداداً لشرعية الله سبحانه وتعالى.

{وَإِلَى اللَّـهِ تُرْجَـعُ الْأُمُـورُ} هـو ملكهـا، مـا أكـثر الملـوك في هـذه الدنيـا والرؤسـاء، لكـن أليسـت الأمـور تخـرج عـن أيديهـم في كثـير مـن أحوالهـم، وفي كثـير مـن أحـوال شـعوبهم؟ تخـرج الأمـور عـن أيديهـم، مَلِـك قـاصر، مُلْـك الناقصـين، مُلـك مـن لا يعلمـوا سر السـماوات والأرض، ملـك مـن لا يعلـم بعضهـم بكثـير مـما يخـص شـعبه، فكثـير مـن الأمـور تجـري عـلى خـلاف مـا يريدون، والزعماء العرب الآن هل الأمور تمشي على ما يريدون؟.

هكـذا تمـشي الأمـور ويتغـير الزمـن مـن حيـث لا يشـعرون، فهـو لا يـدري إلا وقـد أصبـح ينـادي بالديمقراطيـة، وهـو مـن كان لا يريدهـا، أصبـح ينـادي مثـلاً بـضرورة أن يكـون هنـاك مجلـس شـورى وهـو ممـن كان لا يريـد أن يكـون هنـاك أي شخص آخر يحتاج إلى أن يشاوره في أموره، تُفرض الأمور من هنا إلى هنا.

أمـا اللـه سـبحانه وتعـالى فهـو وحـده الـذي إليـه ترجـع الأمـور، وهـو الـذي يسـتطيع أن يخلـق ويهيـئ المتغـيرات. وفي الدنيـا - عندمـا تتأمـل - أحـداثٌ تحصـل، متغـيرات عجيبـة، متغـيرات عجيبـة، تحـولات بنسـبة مائـة في المائـة في بعـض الأمـور، اللـه هـو سـبحانه وتعـالى مـن هـو غالـب عـلى أمـره، مـن هـو قـادر على كل شيء.

فـكل عبـارة مـن هـذه تـأتي في القـرآن الكريـم: {وَإِلَى اللَّـهِ تُرْجَـعُ الْأُمُـورُ} {وَإِلَيْـهِ يُرْجَـعُ الْأَمْـرُ كُلُّـهُ} (هـود: مـن الآيـة١٢٣) هـو يقـول لعبـاده يقـول للمؤمنـين: ثقـوا بي، انطلقـوا في عبـادتي، انطلقـوا في نـصري، وفي العمـل لإعـلاء كلمتـي، وأنـا مـن إليّ ترجِـع الأمـور فـلا أدع المجـال يقفـل أمامكـم. هـو مـن سـيهيئ، مـن سيخلق المتغيرات، من سيهيئ الظروف.

{وَإِلَى اللَّـهِ تُرْجَـعُ الْأُمُـورُ} حتـى وإن كان النـاس هنـا في الدنيـا يتصرفـون بعيديـن عـن اللـه سـبحانه وتعـالى، فهـذا يتزعـم عـلى هـذا الشـعب، وهـذا يتملك على ذلك الشعب، وهذا يقفز على هذا الشعب وهكذا.

هـم مـا زالـوا في داخـل محيـط قدرتـه تعـالى {وَهُـوَ الْقَاهِـرُ فَـوْقَ عِبَـادِهِ} (الأنعـام: مـن الآيـة١٨) بـل كثـير مـن الأمـور تفـرض عليهـم بتهيئـة مـن اللـه، مـن حيث لا يشعرون.

ولـو تأملنـا لوجدنا أنه حتى أعداء الإسـلام أنفسـهم الذين يحاولـون أن يقفلوا كل شيء بالنسـبة للمسـلمين ينطلقـون في مجـال ولا يـدرون بأنهم يهيئوا أجـواء عظيمة جداً للمؤمنين من خلال ما تحركوا فيه؛ لأن الله غالبٌ على أمره.

جـاءوا بالديمقراطيـة لتكـون بديـلاً عـن نُظُـم الإسـلام، وعـن نظـام الإسـلام، ولنكـون نحـن المسـلمين يمسـح مـن ذهنيتنـا أن هنـاك في الإسـلام نظـام، هنـاك ولايـة أمـر، هنـاك دولـة، فيأتـون بالديمقراطيـة، الديمقراطيـة نفسـها مـا الـذي حصـل؟ يُفـرض داخلهـا حريـة رأي، حريـة التعبـير، حريـة الكلمـة، حريـة التحـزب، حريـة التجمـع، حريـة القـول، أليس هذا هو ما يحصل؟ فكم أعطوا الناس من متنفس عظيم، أعطوا الناس.

مـن أيـن جـاء هـذا؟. هـل نقـول أنهـم جـاءوا بالديمقراطيـة رحمـةً بنـا؛ مـن أجـل أن لا يكـون هنـاك كَبْـت ولا قهـر؟ لا.. لهـم أهـداف أخـرى وغايـات أخـرى، لكـن اللـه يهيـئ حتـى مـن خـلال مـا يفرضونـه هـم، وهـم يتجهـون نحـو طمـس معـالم الإسـلام حتـى يغيـب عـن الذهنيـة اتصالـه بـأي شـأن مـن شـؤون الحيـاة بمـا فيهـا شـأن ولايـة الأمـر، فـلا يـدرون بأنهـم يمنحـون مـن حيـث يشـعرون أو لا يشـعرون أن اللـه يهيـئ مـن خـلال مـا أرادوا أن يفرضـوه أن يكـون هنـاك متنفسـاً لأوليائـه، ومـا أكـثر - لـو تأمـل الإنسـان - مـا أكـثر الانفراجـات التـي تـأتي، مـا أكـثر الانفراجـات التـي تحصـل، لكـن مـن لا يهيـئ نفسه لأي عمل في سبيل الله تمر الأشياء ولا قيمة لها عنده، ولا يبالي.

{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (الحديد:٦)

هـو مـن يدبـر كل شيء، الليـل والنهـار هـو الـذي يدبـره فيولـج الليـل في النهـار ويولـج النهـار في الليـل، يتعاقبـان ويتداخـلان فينقـص هـذا حينـاً ويطـول هـذا حينـاً آخـر، في حركـةٍ مسـتمرة منظمـة ومدبّـرة بأمـر اللـه سـبحانه وتعـالى، هـذا مظهـر مـن مظاهـر ملكـه، أن لـه ملـك السـماوات والأرض هـو خلقهـا ثـم تحـدث عـن اسـتوائه عـلى العـرش ليدبـر شـؤونها، ثـم هـا هـو يتحـدث كيـف يدبـر شـؤونها، وكيـف علاقتـه بهـا كملـك للسماوات والأرض وما بينهن وما فيهن.

حديث عن نعم الله هو يعطي أكثر من معنى

الحديـث عـن نعـم اللـه هـو يعطـي أكـثر مـن معنـى، فهـي في نفـس الوقـت مـن مظاهـر تدبـير اللـه سـبحانه وتعـالى لشـؤون خلقـه، مـن مظاهـر رحمتـه بعبـاده، مـن مظاهـر رعايتـه لعبـاده، مـن مظاهـر حكمتـه، مـن مظاهـر قدرتـه العجيبـة، مـن مظاهـر علمـه الواسـع، مـن مظاهـر ملكـة، أنـه هـو مـن يملـك السـماوات والأرض ومـا بينهـما، وهـو رب هـذا لعـرش العظيـم، لا يـكاد ينتهـي الـكلام حـول هـذه الآيـات التـي سرد اللـه فيها كثيراً من النعم التي على الإنسان؛ لأنها مهمة في كل مجال.

فمتى ما جئت تتحدث عنها باعتبارها من مظاهر رحمة الله، فما أوسع الحديث عنها. ومتى ما جئت تتحدث عنها باعتبارها من مظاهر حكمة الله فما أوسع الحديث عنها. وباعتبارها من مظاهر قدرة الله وعلمه بكل شيء ورعايته ولطفه فما أوسع الحديث عنها، وفي كل الأحوال ما أهم تذكر الإنسان لها، وما أعظم أهمية أن يتذكرها الإنسان لما تعطيه من دروس في كل هذه المجالات التي ترشد إليها، وتنبئ عنها فيما يتعلق بكمال الله سبحانه وتعالى.

يقول الله سبحانه وتعالى:{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} (النحل:٢)

هذا أول شيء، وأهم النعم نعمة الهداية بالنبوة بإرسال الأنبياء بإنزال الكتب، بالنسبة لنا نحن المسلمين إنزال القرآن والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (النحل:٣) خلقها ليس لمجرد هواية أن يخلق، ممارسة هواية.. لا.. هو خلقها بالحق، هناك غاية مهمة مرتبطة بها {خَلَقَ الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} (النحل:٤) خلقه من نطفة {مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ}(السجدة: من الآية٨) كما قال عنها في آية أخرى، فإذا هو عندما يكبر ويشتد ساعده، ويتمتع بكامل قوته يصبح خصيماً لله، معانداً متمرداً {مُبِينٌ} بيِّن الخصومة والعناد والتمرد.

أليس الإنسان ظلوم كفار؟. وعادة ينطلق الإنسان في أن يكون خصماً لله تعالى، وهو في أوسع حالات التنعم بنعم الله تعالى، ما يتمتع به من قوة في بدنه، وما يتمتع به من نعم الله بين يديه، {كَلَّا إِنَّ الإنسان لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} (العلق:٦-٧)

فمتى ما توفرت له النعم، متى ما رأى نفسه يمتلك كامل قواه وبصحة جيدة ينطلق مخاصماً لله، ينطلق معانداً لله، وجاحداً لله وكافراً بالله، ورافضاً لدينه، {إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}(ابراهيم: من الآية٣٤) {قُتِلَ الإنسان مَا أَكْفَرَهُ} (عبس:١٧).

أحياناً يكون أولئك الفقراء أقل طغياناً، أقل ظلماً، أقل تكبراً، لا تزال لديهم كثير من مشاعر الحاجة إلى الله، والعودة إلى الله والطلب إلى الله سبحانه وتعالى، وبعضهم متى ما استغنى ورأى نفسه وهو ذلك الذي كان كثير الدعاء لله، وكثير الالتجاء إلى الله يوم كان ضعيفاً، يوم كان مريضاً، يوم كان مفتقراً، ومتى ما استغنى، ومتى ما تمتع بكامل قوته انطلق خصماً لله.

أليست حالة أن تكون متمتعاً بكامل قوتك البدنية، متمتعاً بنعم واسعة عليك هي الحال التي يجب أن تكون فيها أكثر عودة إلى الله وخشوعاً لله، وحياء من الله، وعبادة لله، أليس هذا هو الوضع الطبيعي لك؟. لو كنت تفهم.

كما كان نبي الله سليمان صاحب الدنيا الواسعة والملك العظيم، ذلك الذي يقول: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}(النمل: من الآية١٩) هذا هو الوضع الصحيح لمن يمتلكون نعما مادية ومعنوية.

من مظاهر رحمة الله-سبحانه وتعالى-

مظاهر رحمته بنا واسعة جداً حتى في تشريعه لنا، يشرع لنا ما هو ضروري بالنسبة لحياتنا أن نسير عليه، حتى وإن لم يكن هناك من ورائه لا جنة ولا نار. المتأمل يرى بأنه ضروري فعلاً للحياة، أليس الناس يشرعون لأنفسهم قوانين ودساتير؟ هل وراءها جنة ونار من الدولة التي تشرعها؟. لا.. مجرد تشريعات يقال: تمشون عليها لتستقر الحياة السياسية والاقتصادية، ويحصل استقرار داخل هذا الشعب أو ذاك الشعب فيسعد الناس. هذا كل ما يقولونه من وراء ما يشرعون. ومع هذا ما أكثر الأخطاء التي تظهر في تلك التشريعات؛ لأنها ناقصة جاءت من قاصرين وناقصين شرعوها للناس، الناس الذين لا يمكن أن يعلم بما هو تشريع مناسب لهم إلا الله الذي خلقهم.

تأتي إلى الله سبحانه وتعالى تجد كيف أنه فيما هدانا إليه وفيما شرّعه لنا مما هو ضروري بالنسبة لحياتنا أن تستقيم عليه، وأن يسعد الناس في السير على نهجه، يأتي ليعدنا على ذلك بالأجر العظيم، والثواب الكبير، برضاه، وبالأمن يوم لقاه، وبالجنة التي عرضها السماوات والأرض، التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتَلَذّ الأعين. أليس هذا من مظاهر رحمة الله؟.

لو أتى رئيس من الرؤساء وصاغ دستوراً معيناً، أو قانوناً في مجال من المجالات وقال: من التزم به وسار عليه فسوف نعطيه قطعة أرض في محافظة (حضرموت) سعتها كذا وكذا.. بمضختها بالقائمين عليها، لاتجه الناس كلهم إلى تطبيق ذلك القانون، ولآمنوا به أعظم من إيمانهم بالقرآن، من أجل أن يحصلوا على قطعة أرض، أو من أجل أن يحصل الواحد منهم على وظيفة معينة.. وما قيمة الوظيفة، وما قيمة قطعة أرض في مقابل جنة عرضها السماوات والأرض؟!.

{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى} (محمد:١٥) أليس فيها أنهار؟ كل هذه الأنهار، كل تلك الجنات المتدلية الثمار، كل تلك الجنات الواسعة المساحات، كل ذلك النعيم الدائم الذي لا ينقطع، كله يعتبر زيادة منه سبحانه وتعالى، رحمة لعباده، وعدهم به فيما إذا ساروا على هديه، والتزموا بتشريعه، أن يمنحهم ذلك النعيم العظيم.. هذه رحمة عظيمة.

ثم تجد أثناء دفعه للناس إلى أن يلتزموا بتشريعه، ودفعه بالناس إلى أن يسيروا على صراطه المستقيم الذي يوصلهم إلى مستقر رحمته الجنة، يفتح أبواباً في الدنيا، أبواباً كثيرة لمضاعفة الأجر: من أول وَهْلَة الحسنة بعشر حسنات.

أي الناس من أقاربك، من أرحم الناس بك يمكن أن يبادلك على هذا النحو في تصرفاتك معه: الحسنة بعشر حسنات! هل يمكن أمُّك أن تتعامل معك على هذا النحو في أمور تخصها فتقول لك: يا بني اسرح اعمل وحاول أن تدخِّل لي مائة ريال وأنا سأعطيك بدل المائة ألف ريال، هل هذا يحصل؟ أو أبوك ممكن أن يعمل هكذا؟. أو حتى أولادك ممكن أن يعملوا هكذا؟ أي من الناس ممن هم رحماء بك يمكن أن يتعاملوا معك على هذا النحو؟ من حيث المبدأ مائه بألف ريال أو حسنة بعشر حسنات؟. لا أحد إلا الله.

من الذي فرض عليه هذا؟. هل أحد فرض عليه هذا من جهة عباده؟. لا.. هو الرحمن الرحيم، هو الرؤوف الرحيم الذي يدفعنا بأي وسيلة، ويشجعنا بأي وسيلة، ويعمل هو على تكثير حسناتنا؛ لنكون جديرين بما وعد به أولياءه، ويثقِّل موازين حسناتنا يوم القيامة هو، حسنة بعشر حسنات، سيئة واحدة منك يكتبها واحدة، تتوب تمحى بكلها ويبدل لك حسنات مكانها، أليست هذه رحمة؟ {فأولئك يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} (الفرقان: من الآية٧٠) {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}(هود: من الآية١١٤) يحاول أن يحتفظ لك برصيدك من الحسنات مهما أمكن، إلا أن تأتي أنت بحماقتك فتعمل ما يحبطها، رغماً من محاولاته فتصبح أنت من جنيت على نفسك.

قد أعتذرُ إلى شخصٍ أسأت إليه، ماذا يمكن أن يعمل لي بدل اعتذاري إليه؟. سيقول لي: [جاهك على الرأس يا رجّال، وكانت زلّة وانتهت، ونحن اخوة من الآن فصاعدا]. أليس هذا كل ما يمكن أن يعمله شخص يحترم وصولك إليه لتعتذر من زلة بدرت منك نحوه؟. أما الله فهو يتوب عليك، بل هو أحياناً - ومع بعض عباده - يحاول هو أن

يتوب عليهم أولاً ليتوبوا {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا}(التوبة: من الآية١١٨) يعمل على أن يدفعهم إلى أن يتوبوا، بلطفه، وبتوفيقه ثم يتوبوا فيتوب عليهم، ومتى ما تاب أحدنا من زلة بدرت منه، أو سيئة هي في نفس الوقت ضر عليَّ وليست على الله. هل هناك ضر على الله فيما أعمل؟ فلأنني رفعت ضراً عن الله قدّر لي ذلك العمل فبادلني بحسنات بدل تلك الأزمة التي فكيتها عنه؟. ليس هكذا.

الله لا تضره معاصينا، معاصينا ضر علينا نحن، ولكن على الرغم من ذلك يأتي هو فيبدل - عندما نتوب إليه - يبدل سيئاتنا بحسنات، الأمر الذي لا يكاد أن يفعله أي شخص أبداً ممن تعتذر نحوهم من زلة بدرت منك إليهم وإن كانت ضراً عليهم. أما الله فهو الذي لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه، وهكذا يتعامل معنا.

ثم هل هذا هو أكثر ما يمكن الحصول عليه، وما يمكن أن يعمله بالنسبة لمضاعفة الحسنات؟. لا.. يفتح مجالات واسعة، ويفتح أبواباً واسعة: في خلال اليوم أوقات معينة فيها صلوات يُضاعِف فيها الأعمال. في خلال الأربعة والعشرين ساعة هناك وقت متأخر في ثلث الليل الآخر يضاعف فيه الأعمال والحسنات أكثر. هناك داخل الأسبوع يوم واحد يضاعف فيه الحسنات وهو يوم الجمعة، في نفس هذا اليوم ساعة واحدة يضاعف فيها الأجر أكثر. في السنة هناك شهر يضاعف فيه الحسنات أكثر إلى سبعين ضعفاً، وفي نفس الشهر ليلة واحدة يضاعف فيها الحسنات آلاف الأضعاف، ليلة القَدْر.. هكذا بالنسبة للزمن.

تعود بالنسبة للأماكن فيفتح نفس الشيء. أماكن معينة تكون العبادة فيها أفضل: المساجد، المساجد متعددة هناك مساجد العبادة فيها أفضل من العبادة في المساجد الأخرى، المسجد الحرام ومسجد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) والمسجد الأقصى. في داخل المسجد الحرام بجوار الكعبة تبدو الحسنات أكثر وتضاعف أكثر.

في أيام معينة هي من ليالي العشر، عشر ذي الحجة كذلك تتضاعف فيها الحسنات أكثر. تأتي إلى الأجواء الأجواء التي نؤدي فيها العبادة تجد كيف أن العمل الجماعي يكون الأجر فيه مضاعفاً أكثر عندما تصلي جماعة تصبح صلاتك بنحو خمس وعشرين صلاة.

وفيما يتعلق بالمال يفتح مجالات لمضاعفة الأجر بشكل أفضل وأكثر من الحسنة بعشر إلى الحسنة بسبعمائة حسنة وأكثر {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ

اللَّـهِ كَمَثَـلِ حَبَّـةٍ أَنْبَتَـتْ سَـبْعَ سَـنَابِلَ فِي كُلِّ سُـنْبُلَةٍ مِائَـةُ حَبَّـةٍ وَاللَّـهُ يُضَاعِـفُ لِمَـنْ يَشَـاءُ وَاللَّـهُ وَاسِـعٌ عَلِيـمٌ} (البقـرة:٢٦١) أليـس هـو سـبحانه وتعـالى برحمتـه مـن يعمـل عـلى أن يضاعـف حسـناتنا؟ تلـك الحسـنات التـي تصـدر منـا مـن أعـمال بسـيطة هـو ليـس بحاجـة إليهـا، نحـن، نحـن المحتاجـون إليهـا، فيضاعفهـا لنـا كي يرفـع درجاتنـا؛ لأنـه حتـى وإن كان يريـد منـا أن ندخـل الجنـة فهـو يريـد أن ندخلهـا ونحظـى بدرجـات رفيعة فيها.

فيـما يتعلـق بأعمالـك أنـت في الدنيـا وأنـت تجمـع المـال مـن الـذي يمكـن أن يتعامـل معـك مـن أسرتـك عـلى هـذا النحـو فيفـرغ وقتـه ويُجهـد نفسـه في تَـثْمِير رأس مالـك. فتجمـع عنـد أخيـك أو عنـد والـدك أو عنـد أمـك مائـة ألـف فيقـوم هـو بتثميرهـا ومضاعفتهـا فـلا يـأتي عليهـا فـترة مـن الزمـن إلا وقـد أصبحـت سـبعمائة ألـف، هـل هناك أحد يعمل هذا؟.

هـل يمكـن لأبيـك أن يعمـل هـذا هـو؟ تـودع عنـده مائـة ألـف فيقـوم هـو بالعمـل فيهـا والتجـارة فيهـا واسـتثمارها لتصبح بعـد أربـع أو خمـس سـنين سـبعمائة ألـف؟. لا.. بـل لـن يبقـى رأس المـال سـالماً [والولـد ومـا ملـك لأبيـه] أليـس هـذا هـو مـا قـد يحصـل؟. وهكـذا تجـد أمـك، وهكـذا تجـد ابنـك، وهكـذا تجـد إخوانـك وهكـذا تجـد أصدقـاءك، ليـس هنـاك أحـد مسـتعد - ممـن هـو رحيـم بـك - أن يُجهـد نفسـه ليُثَمِّـر رأس مالك هكذا.

ثـم بعـد أن يُثَمِّـر رأس مالـك فيصبـح سـبعمائة ألـف هـل سـيعطيك فيـما بعـد سـيارة قيمتهـا أربعـة ملايـين جائـزة عـلى أن مالـك كـثر إلى سـبعمائة ألـف هـل هـذا ممكـن؟. أمـا اللـه فيعطـي بعـد مضاعفـة الحسـنات يضاعفهـا يضاعفهـا يضاعفهـا ثـم في الأخـير يعطيك جائزة مهمة جداً جداً لا يساويها شيء هي الجنة.

الإنسان لو يتأمل في القرآن الكريم وفيما يصنع الله لعباده لوجدت كم هو فعلاً رحمن ورحيم، رحيم، رحيم بعباده بشكل يجعل الإنسان يستحي ويخجل. [دروس معرفة الله]

كيف نتعامل مع هدى الله

١. لالتجاء إلى الله في طلب الهداية قضية أساسية في الاهتداء، فعلينا أن نلتجئ إلى الله أسوة بالنبي محمد (صلوات الله عليه وآله) الذي قال الله له: }وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا{ وأيضًا بهذا الدعاء: **(اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)**.

٢. علينا التذكر بأن الهدى هو من جهة الله، وأننا إذا لم نتفاعل مع هدى الله، إذا لم نحاول أن نهيئ أنفسنا لأن يهدينا الله فقد نضل وقد تقسو قلوبنا، وقد نصبح شياطين، وليس ضالين فقط.

٣. يجب أن نتعامل مع القرآن الكريم وهدى الله بتقديس وتعظيم، مع الشعور بالحاجة إليه.

٤. يجب أن نحذر من اللامبالاة والانشغال بقضايا أخرى أثناء القراءة أو الاستماع.

٥. يجب أن نحرص على التفهم والتركيز والاستيعاب، والحذر من الإعراض الذي يكون ناتجًا عن الشعور بالفهم وعدم الحاجة لهدى الله.

٦. يجب أن نرسخ في أنفسنا الاستعداد التام لأن نتثقف بثقافة القرآن.

"ومتعني بهدى صالح لا أستبدل به"

((اللهم صل على محمد وآل محمد، ومتعني بهدى صالح لا أستبدل به، وطريقة حق لا أزيغ عنها، ونية رشد لا أشك فيها)). قضية الهدى قضية مهمة، وهي نفس المسألة التي نتعامل معها ببرودة، والكثير من الناس لا يهمه قضية أن يبحث عن كيف يهتدي، وأن يعرف من نفسه أنه يسير على طريق هدي الله، وأنه يتعلم هدى الله، وأنه يربي نفسه على أساس من هدى الله سبحانه وتعالى.

الإمام زين العابدين يدعو الله أن يمتعه؛ لأنها متعة فعلا أن تجد من نفسك أنك على هدى، وأنك على حق في اعتقاداتك، ومواقفك، تجد في نفسك طمأنينة هي السعادة بكلها، هي العزة، هي متعة، حتى متعة الحياة.

((**متعني**)) هيئ لي أن أتمتع بهدى صالح لا أستبدل به، كيف يكون قضية أن تتمتع بهدى صالح لا تستبدل به؟ عندما يكون هدى تحرص عليه، هدى تكون واعيا وأنت تتمتع به، فلا تتعرض لأن تستبدل به غيره، وهل هناك غير الهدى إلا الضلال {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ} (يونس: من الآية ٣٢) لا أستبدل به شيئا من الدنيا، لا أستبدل به شيئا من دعاوى الضلال التي تقدم تحت اسم هدى، تحت اسم دعوة إلى التوحيد.

أنا أريد منك يا الله أنت أن توفقني إلى هدى صالح لا أستبدل به، فلا أستبدل به شيئا من الدنيا، فيكون الإنسان كما حكى الله عن بني إسرائيل {يشترون بآيات الله ثمنا قليلا} {يشترون بعهد الله ثمنا قليلا} وآيات الله هي هداه، وعهد الله هو هداه فيما عهد به إليهم، فأن تستبدل بهدي الله شيئا من الدنيا، أن تستبدل بهدي الله شيئا من المكانة المعنوية: شهادة جامعة، شهادة ثانوية، شهادة تقدير، وظيفة في أي مكان كنت، كلها تعتبر قليلا؛ ولهذا جاء في القرآن الكريم وهو يتحدث عن بني إسرائيل: {يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً} (آل عمران: من الآية ٧٧) يقول: دائما قليلا. قليلا.. كلما تحدث عما جعلوه بدلا عن الدين من الدنيا يقول عنه: ثمنا قليلا، والدنيا بكلها هي ثمن قليل، أن تستبدل بها تجعلها بدلا عن دينك، تجعلها بدلا عن الهدى الذي متعك الله به، ومنحك إياه.

فالإنسان فيما إذا ما تمتع بالهدى هو بحاجة أيضاً إلى أن يكون حريصا على ذلك الهدى؛ لأنه فيما إذا وقع الضلال سيكون ممن يقع في الضلال بعد المعرفة في الضلال بعد العلم، في الضلال بعد الهدى، وهذا أسوأ أنواع الضلال، وأشد الضلال عاقبة على صاحبه: أن يضل بعد هدى، سواء أن يستبدل ثقافة أخرى، عقائد أخرى منهجا آخر، أو يستبدل بهداه شيئا من الدنيا، والدنيا بكلها مادياتها، ومعنوياتها تعتبر ثمنا قليلا لدينك؛ لأنها ثمن في الواقع لنفسك، وهل ترضى لنفسك أن تكون الدنيا كلها ثمنا لنفسك؟ وتكون عاقبتك جهنم من الذي يرضى؟.

أليس المجرم -كما حكى الله عنه- سيتمنى يوم القيامة لو أن الدنيا كلها وهي ذهب له لافتدى بها يوم القيامة؟ فالإنسان يتمنى أن لو يملك أي شيء، الدنيا كلها بل أقاربه أيضا فيجعلهم فداء لنفسه ولا يدخل جهنم؟ ((**إنه ليس لأنفسكم ثمنا**

إلا الجنة)). فمن يستبدل بالهدى شيئا من الدنيا فإنه باع نفسه فأوبق نفسه، أوبق نفسه - أهلكها - والكثير الكثير يبيعون أنفسهم! ومن هو ذلك الذي قد باع دينه بالدنيا كلها هل أحد عمل هذه؟ البعض يبيع دينه، ويبيع هداه بأقل القليل، بالشيء البسيط، وهذا مما يكشف - وللأسف الكبير - أنه ليس للهدى .. ليس للإيمان .. ليس للدين أهمية عند الكثير منا إذا ما كان مستعدا أن يبيعه بأتفه الأشياء. إنك من يجب أن تحرص على الهدى، وأن لا تستبدل به غيره حتى ولو كان ذلك الشيء هو الدنيا بكلها.

الإقبال والإصغاء والتفهم لهدى الله

ثم لا بدَّ من الإقبال، لا بدَّ من الإصغاء، لا بدَّ من التفهم، الإنسان الذي هو مستهتر، لا يصغي جيداً، لا يُقبِل إذا سمع التذكير من آيات الله، إذا سمع تلاوة القرآن الكريم، إذا قرأ في القرآن الكريم وتلاه، إذا سمع التذكير على أساس هديه ونوره، لا يُقبِل، لا يصغي، لا يتفهم، ينشغل ذهنياً، أو حتى لا يُقبِل أصلاً، فهذه حالة خطرة جدًّا على الإنسان، الله قال في كتابه الكريم: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات: الآية ٥٥]، لماذا؟ لأن المؤمنين يُقبِلون على هدى الله، يصغون، يتفهمون، يتعامل مع هدى الله بإصغاء وتفهم، يدرك قيمة هدى الله، عظمة هدى الله، أهمية هدى الله، فهو يصغي، وهو يتفهم، الله قال: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} [ق: من الآية ٤٥]، الله -جلَّ شأنه- قال: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى} [الأعلى: ٩ - ١٠]، من يدرك أن هدى الله هو حجةٌ عليه، وأنه إن لم ينتفع بهدى الله سيخسر، سيشقى، سيكون مصيره إلى جهنم والعياذ بالله، المسألة ليست مسألة مزاجية، تترك لمزاج الإنسان ولا يترتب عليها أي نتائج. لا الإنسان المعرض، الإنسان المستهتر، الإنسان الذي لا يلتفت إلى هدى الله، ولا يصغي إلى هدى الله، ولا يتفاعل مع آيات الله؛ هو خاسر، هو هالك، تبعات ذلك ووزر ذلك عظيم، ذنبٌ عظيم.

ولهذا يأتي القرآن الكريم فيتحدث عن كل فئات المجتمع في موقفها من هدى الله، وفي علاقتها من هدى الله:

البعض ليس عندهم استعداد حتى للإصغاء والتفهم، ولا حتى للاستماع، أول ما يسمع هدى الله ويسمع التذكير بآيات الله، قد ينهي استماعه بالكامل ويذهب، أو يحاول أن يبعد نفسه عن ذلك، ليس على استعداد حتى على مستوى الإصغاء

والسماع بتفهم، وهذه حالة خطيرة جدًّا على الإنسان، الله قال في كتابه الكريم: {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ} [المدثر: الآية ٤٩]، هذه حالة إعراض بالكامل، لا يريد حتى أن يسمع، {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ *كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ} [المدثر: ٤٩ - ٥١]، كمثل الحمار الوحشي إذا ظهر عليه الأسد يريد أن يفترسه فيهرب مذعوراً في حالة من الفوضى، والهروب بطريقة مذعورة، بطريقة فوضوية، بطريقة وهو يحمل الخوف والذعر والحركة غير المنضبطة، والحركة الفوضوية.

هذه حالة البعض مع هدى الله: ينفر من هدى الله، ويتجه بعيداً عن الإصغاء والاستماع، وكأنه من الحمر المستنفرة، لا يطيق حتى أن يبقى، أن يصغي، أن يستمع، هذه الحالة حالة خطيرة على الإنسان، سيندم عليها، لو لم يكن إلا يوم القيامة؛ لأن هذا الهدى الذي به نجاتك، به فوزك، إعراضك عنه، تجاهلك له، ابتعادك عن الإصغاء والسماع له، عدم تفاعلك معه، هو خطرٌ عليك أنت، أما الله فهو غنيٌ عنك.

مصير من لا يتأثر بهدى الله

الحالة الأخرى للبعض: أنه حتى إذا سمع آيات الله، إذا سمع التذكير بهدى الله لا يتأثر، لا يتأثر لا في واقعه النفسي ولا في واقعه العملي، آيات الله هي تذكِّرنا، وتتجه في كثيرٍ منها إلى واقعنا العملي، ما نعمل، ما هو يشكِّل خطورةً علينا ويجب أن نحذر منه، تذكِّرنا بمسؤولياتنا، ترسم طريق الخير لنا في مسيرة هذه الحياة.

ولذلك عندما يسمع الإنسان التذكير بأعمال أساسية ومهمة أمر الله بها، وهو مخلٌ بها، وتاركٌ لها، ومتجاهلٌ لها، ثم لم ينتفع بما سمع من آيات الله ومن هدى الله، واستمر في إعراضه، استمر في إهماله، استمر فيما هو عليه من مخالفة لتوجيهات الله وأوامره، أو تحذير عن شيءٍ يعمله، عن سلوكيات هي قائمة موجودة في واقع حياته ثم هو مصرٌ عليها، هذه حالة خطيرة جدًّا على الإنسان، إذا وصل الإنسان إلى هذا المستوى من السوء، فلا ينتفع بآيات الله، ولا يتأثر بها، ولا يتذكر بها، ولا يستبصر بها، فهي حالة خطيرة جدًّا عليه، هي مؤشر على حالة من الانحراف والفساد في نفسه وفي واقع حياته، الله يقول: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا} [الكهف: من الآية ٥٧]، هل هناك شيء أكثر تأثيراً من آيات الله؟ هل هناك شيءٌ يمكن أن يترك أثره في نفسك، أو أن يصنع عندك قناعةً بالحق

مثل آيات الله؟ لا {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا}، لم يتفاعل، لم يتأثر، لم يتقبل، لم يرجع عمَّا هو عليه من خطأ، لم يتجه إلى ما ينبغي أن يتجه إليه من عملٍ صالح، {فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ}، نسي ما يفعله من أفعال، من أعمال، من معاصي، ما يفرط فيه ويقصر فيه، ليس عنده التفات إلى ما يعمل، ولا تدقيق في طبيعة ما يعمل، وما يترتب عليه من نتائج في الدنيا وفي الآخرة، الموضوع عنده منسي، ليس عنده أي التفات إليه، {إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا} [الكهف: من الآية ٥٧]، حالة خذلان، الإنسان إذا وصل إلى هذا المستوى في علاقته مع هدى الله، لا يتذكر إذا نصح بنصيحة تجاه خطأ، تجاه عمل سيء، تجاه تقصير، وذُكِّر في ذلك بآيات الله، لا يرجع عن تقصيره، لا يتراجع عن خطئه، لا يتجه إلى العمل فيما عليه أن يعمل، حالة خطيرة جدًّا، تعتبر حالة خذلان والعياذ بالله.

أيضاً حالةٌ أخرى قد تحدث للإنسان في علاقته مع القرآن الكريم: هي حالة قسوة، وانعدام للتأثر والتفاعل قد تأتي على الإنسان في مسيرة حياته، قد يكون في مراحل معينة يتفاعل مع هدى الله، يتأثر بهدى الله حتى على مستوى نفسه، وعلى مستوى واقعه العملي، ولكن مع طول الوقت يتأثر بأشياء أخرى وعوامل أخرى، ويبتعد شيئاً فشيئاً، ويقسو قلبه شيئاً فشيئاً؛ حتى يصل إلى مستوى من انعدام التفاعل والتأثر بهدى الله وهذه الحالة حذَّر القرآن الكريم منها، يقول الله -جلَّ شأنه-: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد: الآية ١٦]، {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا}: إلى متى سيظل الإنسان في هذه الحالة من البرودة، من عدم التفاعل مع هدى الله، من عدم التأثر بهدى الله إلى متى سيبقى الإنسان على هذا الروتين الذي يتعامل فيه مع هدى الله وبدون تفاعلٍ جاد، بدون توجهٍ عملي، بدون رجوع إلى واقع حياته ليصلح، تصبح المسألة عنده مجرد سماع، يسمع للموعظة حتى تنتهي، يسمع للتذكير حتى ينتهي، يسمع لآيات الله حتى يفرغ منها، لكن على مستوى العمل، على مستوى واقع حياته لا يتجه بجد ليصلح على ضوء ما سمع، لا يتجه بمصداقية على ضوء ما ذكِّر به من آيات ربه.

فنحن يجب أن نحذر من هذه الحالة التي قد تطرأ على الكثير منا، قد تطرأ علينا في واقع حياتنا أن نفقد تفاعلنا، تأثرنا مع هدى الله أن نتعامل بملل ونحن

نسمع التذكير، نسمع التذكير بآيات الله وكأنه مجرد كلام عادي، لم يعُد تفاعلنا معه بما ينبغي وهو كلام الله، وهو هدى الله، وهي آيات الله نذكَّر بها، حالة خطيرة جدًّا علينا، حالة من قسوة القلب، حالة من انعدام التفاعل، حالة خطيرة جدًّا، ينتج عنها الانحراف والفسق، {فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}، عند قسوة القلب يصبح الإنسان جاهزاً للانحراف، وجريئاً على الانحراف، ولا مبالياً في إصراره على الخطأ، في إصراره على الذنب، في إصراره على التقصير، في إصراره على ما هو مخالفة لتوجيهات الله وهذه حالة خطيرة على الإنسان، نهايتها جهنم، عاقبتها النار والعياذ بالله.

وهذا يحصل للكثير من الناس، يتجه البعض في طريق الحق، ويتحرك في البداية بتفاعل واندفاع، مع الوقت يبدأ يتأثر بعوامل كثيرة، تأثيرات متنوعة تعقِّد نفسه، تصرف ذهنيته، تؤثِّر على أولوياته، تؤثِّر على اهتماماته، تؤثِّر على توجهاته، حتى يصل إلى درجة خطيرة جدًّا، تصبح علاقته بهدى الله علاقة ضعيفة جدًّا، تفاعله مع هدى الله على المستوى العملي تفاعل ضعيف جدًّا، تصبح أهواء نفسه، وتوجهاته الشخصية، ودوافعه الشخصية هي التي تحكمه، هي التي تؤثِّر عليه، هي التي يتشبث بها، ويعرض عن آيات الله تعتبر هذه حالة خطيرة جدًّا.

لكي نتفاعل مع هدى الله

كيف هي الحالة الصحيحة للإنسان في تفاعله مع هدى الله؟

أولاً: حالة الإصغاء والتفهم، الله -جلَّ شأنه- يقول: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: الآية ٢٠٤]، التفهم مع الطلب من الله أن يمنَّ على الإنسان بالهداية، وأن ينفعه بما ذكَّر به من آيات الله .

التفاعل مع ما يسمعه الإنسان من هدى الله، والإنسان إذا اتجه بصدق مع الله وتوجهٍ جاد للعمل والتذكر، فإنَّ الله سينفعه، سيهديه، سيمنُّ عليه بالاهتداء بكتابه، ومن الواقع الإيماني الذي الإنسان فيه يصدِّق، ويثق، ويؤمن، يتأثر بهدى الله الله يقول: إنما المؤمنون هكذا: الذين إذا ذكروا بآيات الله يتأثرون، يخضعون، هم يعيشون في واقعهم الخضوع لله، والطاعة لله، والتسليم لأمر الله ويتأثرون بهدى الله ويدركون عظمة وقيمة هدى الله، وأنه نعمة عظيمة، وأنه شيءٌ عظيم، يتأثرون به ويتفاعلون معه، (وهم لا يستكبرون): ليس عندهم أي عقد من الكبر تؤثر عليهم في تفاعلهم، في استجابتهم العملية، في تقبلهم لهدى الله .

فنحن في هذا الشهر الكريم ينبغي أن نحرص على أن نصغي لهدى الله، وأن ندرك أن فلاحنا ونجاتنا في الدنيا والآخرة تتوقف على تمسكنا بهذا الهدى، على تقبلنا لهذا الحق، على أن نلتزم به في واقع الحياة على مستوى العمل، وأن نحذر من الإعراض بكل أشكاله: من يعرض لا يريد أن يسمع أصلاً، ومن يعرض يسمع ولا يتفاعل، ولا يتأثر، ويُصر، ويتعنت على ما هو عليه من خطأ، وقد ذكِّر بآيات ربه، من يسمع بشكلٍ روتيني بغير تفاعل ولا تأثر فيقسو قلبه وينحرف، كل هذه الحالات حالات تشكِّل خطورة على الإنسان، وتفقده الاستفادة من هدى الله علينا أن نكون كالمؤمنين، وأن نسعى لأن نكون من المؤمنين الذين قال الله عنهم: {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا} [الفرقان: الآية ٧٣].

الله قال في القرآن الكريم يتحدث عنه بأنه هدي {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الإسراء: من الآية ٩) {هُدىً لِلنَّاسِ} (البقرة: من الآية ١٨٥) {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ} (المائدة: من الآية ١٦) سبل السلام، سلام من ماذا.؟ السلام من الضلال السلام من الهلاك، السلام من الخزي، السلام من العار، السلام من جهنم.

{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} (الأنعام: من الآية ١٥٣) في أكثر من آية يذكر الله سبحانه وتعالى أن هذا القرآن هو هدى {هُدىً لِلْمُتَّقِينَ} (البقرة: من الآية ٢) {هُدىً لِلنَّاسِ}، إنه الهدى الذي قال عنه: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى} (طه: من الآية ١٢٣).

أثناء الفتن وعند تراكم الفتن هذه التي كقطع الليل المظلم ما الذي يحدث؟ ليست الخطورة فيها في أنه كم قتلى يحصل هنا، كم دمار يحصل هناك لأنه قال فيها، يبين وجه الخطورة فيها على أمته ((**يمسي المرء مؤمناً ويصبح كافراً، يصبح مؤمناً ويمسي كافراً**)) أي الخطورة فيها خطورة تضليل رهيب والتباس في الأمور، وضلال رهيب، وضلال دقيق، ويأتونك من بين يديك، ومن خلفك وعن يمينك، وعن شمالك {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي} (طه: من الآية ١٢٤).

ألم يقل الله بأن هذا ذكر؟ {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه:١٢٤) لماذا يحشر أعمى؟؛ لأنه كان ضالاً عندما أعرض، أعرض فضل. {قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ} (طه: من الآية ١٢٧) هكذا يكون جزاؤه أن يحشر يوم القيامة أعمى، وأن يعيش في الدنيا عيشة ضنكا.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول في حديث رواه الإمام علي (عليه السلام)، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال سمعت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول: ((**ألا إنها ستكون فتنة .. فقلت ما المخرج منها يا رسول الله؟. قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم**)).

قلنا أكثر من مرة بأن القرآن الكريم يستطيع أن يكشف لكل أمة واقعها، يستطيع أن يكشف لك الواقع.

((**فيه خبر ما بعدكم**)) خبر ما سيأتي بعدكم لكن ليس على سبيل الإخبار التاريخي بأنه سيأتي في عام كذا وكذا يحصل كذا وكذا .. لا. بطريقة أخرى بطريقة أخرى لا يستطيع أحد أن يعملها.

((**ألا إنها ستكون فتنة .. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟. قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم**)) ونبأ ما قبلنا فيه عبرة ودروس لنا في مقام الهداية {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (يوسف: من الآية ١١١).

((**وخبر ما بعدكم، وحَكَم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل**)) **فيجب أن نتعامل مع القرآن بجدية، هو فصل في كل القضايا، فصل في مقام الهداية يرشد للتي هي أقوم.**

((**ليس بالهزل**)) هو كتاب عملي، كتاب عملي، كتاب للحياة، كتاب للنفوس، كتاب للهداية، ليس فيه مفردة واحدة لا تعطي هداية، ليس فيه آية واحدة لا تعطي هداية، حتى تلك التي يقول عنها أصحاب الناسخ والمنسوخ، أو أصحاب [قواعد أصول الفقه]: هذه الآية منسوخة. ما الحكمة من بقائها؟ قال: لمجرد التعبد بتلاوتها. ليس من هذا القبيل كتاب الله، كل مفردة فيه فيها هداية كبرى، كل آية تهدي هداية، أحياناً تفتح كثير من الآيات أبواباً واسعة من أبواب الهداية.

((**من تركه من جبار قصمه الله**)) حتى وهو جبار متى ما ترك القرآن يتعرض لأن يقصمه الله، فكيف بأولئك المستضعفين الذين ليس لديهم ما يحميهم إذا ما تركوا القرآن سيُقصمون سريعاً على أيدي الجبارين، هذا هو جبار أي يمتلك قدرة أن يحمي نفسه بل هو من يتسلط على الآخرين متى ما ترك القرآن فإنه يتعرض هو لأن يقصمه الله. لكن هناك سنن ثابتة في القرآن الكريم في قصم الجبارين.

((**ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله**)) حتى عندما تعرف الواقع الذي أنت تعيش فيه، وتعرف المرحلة السيئة التي أنت تعيش فيها، والضلال الذي ينتشر من يمينك وشمالك، وأنت هناك من يهتم بنفسه فتبحث عن الهدى، وإن كان

لديك حرص كبير على أن تهتدي فإنك عندما تبحث عن الهدى في غير القرآن، وعن غير القرآن تضل، بل يضلك الله، وكلمة: ((ابتغى)) يعني طلب الهدى .. من الذي يطلب الهدى؟؟. من يشعر بحاجة إلى الهدى، حتى من يشعر بحاجة إلى الهدى متى ما انطلق ليهتدي من هنا أو من هنا سيضل.

((**وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن ولا يشبع منه العلماء**)). متى ما اختلفت الألسن وهي تتلوه، متى ما اختلفت الألسن وهي تعبر عنه لا يؤثر هذا عليه {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر:٩). وما أكثر ما حصل من التباس الألسنة حول القرآن الكريم، التباس رهيب على أيدي المفسرين، على أيدي أصحاب فنون كثيرة من الفنون التي يقال بأنها تخدم القرآن الكريم، التباس كثير حصل، ولكن القرآن ما يزال هو، هو، لا يمكن أن يمسه أحد بسوء، ولا يزال هو هو يرفض كلما يلصق به مما لا ينسجم معه.

((**ولا يشبع منه العلماء**)) لا يشبع منه العلماء؛ لأن فيه المعرفة الواسعة، هو بحر لا يدرك قعره.

لكن أصبحنا في موقف عجيب، الشخص منا متى ما كان فقيراً يقول للآخرين: ما معي إلا الله. أليس هكذا يقول؟ يقال للشخص الذي يتعلم القرآن: أنت بتقرأ؟ أنت تتعلم؟ يقول: نعم. في ماذا؟ يقول: في القرآن، أتعلم حصة في القرآن. وماذا؟ أليس الواحد يقول: وماذا هل معك شيء آخر، لم يعد هنا شعور بأن القرآن يكفي إلى درجة أنه لا يشبع منه العلماء. ومن العلماء؟. العلماء الذين يغوصون في أعماق أعماقه، لا يزالون مهما عُمِّرُوا لا يشبعون منه. أي هو بحر علوم.

((**ولا يَخْلَقُ على كثرة الرّد**)) مهما تردد الحياة تتردد من حولك وتتغير، وتحدث أحداث متعددة والقرآن كلما ترجع إليه يفيدك يعطيك هدى، يكشف لك شيئاً .. كل يوم ترجع إليه. أليست الحياة هكذا تتحرك؟ الحياة كلها تتحرك متغيرات تطرأ، أحداث تطرأ، القرآن يكشف لك الكثير الكثير عنها، وكيف تنظر إليها، وكيف تتعامل معها.

((**ولا تنقضي عجائبه**)) حكم عجيبة يعطيها، أمور عجيبة يكشفها، سبل عجيبة يهدي إليها قيم عجيبة.

أيضاً ((**هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ}** (الجن: من الآية ٢) هؤلاء جن [قُبَلِيين] على ما بنقول نحن: قُبَلي. {فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا

سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ} (الاحقاف:٣٠) كذلك قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً} عجيب فيه العجائب، {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ}.

حاولوا أن تربطوا أنفسكم في عملكم هذا بالقرآن وأنت ترشد حاول أن تدور حول القرآن وتنزل القرآن للناس وتعرض آياته للناس وتذكرهم به؛ لأنك هنا لن تقع في باطل، لن تقع في باطل إذا كنت تقول به، وليس تتقوّل عليه. هناك من يرجع إلى القرآن ولكنه يتقوّل على القرآن من منطلق عقائد فاسدة لديه، أو قواعد باطلة ينظر من خلالها إلى القرآن الكريم فيصبح مُتَقَوِّلاً عليه، لكن لا.

((**من قال به صدق، ومن عمل به أُجِر، ومن حَكَم به عدل**)) فيعني ضمانات هذه ما دمت تتحرك في إطار القرآن فكل شيء يأتي من عندك سيكون صحيحاً، عندما تقول به تصدق، تعمل به تريد الأجر من الله يحصل لك أجر، تحكم به تعدل.

((**ومن دعا إليه فقد هَدى إلى صراط مستقيم**)) ألسنا بحاجة إلى أن نهتدي إلى الصراط المستقيم؟. إذاً فالقرآن الكريم هو فعلاً القناة التي يجب أن نتلقى منها البينات التي يجب أن نهتدي بها في هذا العصر، في هذا العصر الذي تحدثنا عنه، عن واقعه وعن واقعنا فيه وعن وضعيتنا فيه، نحن قلنا: مما نعاني منه الملل، أو تساؤلات بالمقلوب.

ثقافتنا ماهي؟

- عندما نتحدث عن الجانب الثقافي ثقافتنا هي قرآننا، ثقافتنا هي كتاب ربنا، ثقافتنا هي هدى الله الذي أنزله للعالمين نوراً وما سواه ظلام، حقاً وما يخالفه باطل.
- وهذا الهدى العظيم الذي ننتمي إليه نتحرك من واقعنا في مسيرتنا على أساسه يجب علينا أن نقدره وأن نشكر الله عليه، أن نعمل على أن نستوعبه من خلال التفهم والإصغاء والتأمل، هذا شيء مهم.

مفتاح الاهتداء بالقرآن الكريم:

- إن مفتاح الاهتداء بالقرآن الكريم هو التعظيم له، واستشعار عظمته.
- مفتاح الاهتداء بكتاب الله أن تعظم كتاب الله، أن تتعامل مع هدى الله بإعظام بتقدير، تدرك ممن هو هذا الهدى، كلمات الله سبحانه وتعالى وهديه العظيم الذي هدى به، لا تنظر إليه كلاماً مجرداً منعزلاً هناك، إنه العظيم إنه من الله، كلماته، هديه، تعبر عن حكمته، تعبر عن علمه، تعبر عن رحمته، هي أيضاً من مضامين ملكه، وفي إطار تدبيره وهيمنته على عباده ولها علاقة بما يكون به وأمره وشأنه في عباده.
- القرآن يربي النفس البشرية، يزكيها، هذا من أحوج ما يحتاج إليه الإنسان، زكاء النفس، الإنسان إذا فقد زكاء النفس فقد وراءه كل خير ولم يعد بمستوى الهداية الإلهية، ولم يعد بمستوى الهدى الإلهي.
- القرآن الكريم وفق هدى الله سبحانه وتعالى يطبع الإنسان بطابعه العظيم، يطبعه في نفسيتك وفي روحيتك بطابعه العظيم، فتحمل روحية عالية متميزة قائمة على السمو، على الاعتزاز بالله سبحانه وتعالى، على الخوف من الله سبحانه وتعالى، على المحبة لله سبحانه وتعالى، على الاهتمام بالمسؤولية، على إدراك الواقع، على إدراك قيمة العمل، قيمة النهج والطريق التي أنت فيه، تتحرك بروحية عالية وليس بروحية مهزوزة متراجعة، تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، دائم التراجع دائم التذبذب، تعاني من حالة الفتور والتواني والإهمال واللامبالاة.

أثر القرآن الكريم في واقع الإنسان:

- أثر القرآن الكريم في نفسيتك فيما يعطيك من روحية، فيما يبنيك عليه من قيم وأخلاق، يعلمك الصدق أن تكون صدوقا من الصادقين، صادقاً في انتمائك، صادقاً في موقفك، صادقا في التزامك، صادقا في كلامك، هكذا تطبع واقعك بالصدق فتكون مع الصادقين ومن الصادقين.
- يعلمك في واقع حياتك أن تكون إنساناً يبني واقعه على العدل، كلامه على العدل، تصرفاته على العدل، معاملاته على العدل، مواقفه على العدل، بعيداً عن الظلم في كل ممارساتك وأقوالك وأعمالك ومعاملاتك.

- يعلمك كذلك بقية القيم والأخلاق القرآنية العظيمة التي هي من لوازم الإيمان.
- هدى الله يعلمنا الله سبحانه وتعالى فيه مسؤولياتنا في الحياة، ما علينا أن نعمل، وما علينا أن نترك، مسؤولياتنا الكبرى في إقامة العدل، في إقامة الحق، في مواجهة الظلم، في مواجهة الفساد، في مواجهة الطغيان، في كيف نحقق في واقع حياتنا عبوديتنا لله سبحانه وتعالى، مساحة واسعة في هذا الإطار.
- يعطينا وعياً عالياً، وبصيرة نافذة، وإدراكاً قوياً لواقع الحياة من حولنا، يقيم الأحداث ويقيم الناس، يقيم لنا كل فئات الناس، الكافرين والمنافقين بكل أصنافهم، بكل فئاتهم الظالمين الجائرين المفسدين، كل فئات الشر، كل قوى الباطل، كل أولياء الشيطان يعريهم لنا تعرية، يفضحهم، يكشف لنا حتى ما داخل داخل أعماق نفوسهم، فيكشفهم من داخلهم، ويكشفهم في واقع حياتهم لدرجة يكونون فيها دائماً في حالة قلق من مستوى الفضيحة التي يفضحهم الله فيها {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ}(التوبة: من الآية ٦٤) تنبئهم بما في قلوبهم.
- هدى الله يكشف لنا كل أولياء الشيطان، بكل فئاتهم، بكل أصنافهم، بكل عناوينهم، بكل أشكالهم، فلا تنخدعوا بهم، نعرفهم على حقيقتهم، فلا يتمكنون من إضلالنا، ولا يتمكنون من التأثير علينا، ولا يتمكنون من استعبادنا، ولا من السيطرة علينا، ولا من التحكم في واقعنا.
- يعلمنا كل نقاط الضعف فيهم، كل نقاط الضعف فيهم التي هي فعلاً تمثل ثغرات نتمكن من خلالها فيما إذا التزمنا بهدى الله أن نضربهم وأن نعمل على إزاحة باطلهم وإزاحة شرهم وإزاحة فسادهم وإبعاد طغيانهم عن واقع الحياة.
- هدى الله أيضاً هو سلاح هو يحرك الأمة بقدر ما يعطيها من الوعي عن أعدائها هو يقدم لها ما يدفعها ويحركها ويبنيها في مواجهة أعداءها؛ ولذلك كان هو بحد ذاته سلاحاً فتاكاً فاعلاً مؤثراً في مواجهة أعداء الله قال الله عنه: {وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا}(الفرقان: من الآية٥٢)

فضل القرآن الكريم

روي عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أنه خطب في آخر جمعةٍ من شهر شعبان، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((**أيها الناس إنه قد أظلكم شهرٌ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، وهو شهر رمضان، فرض الله عز وجل صيامه، وجعل قيام ليلةٍ منه بتطوع صلاة كمن تطوع سبعين ليلةً فيما سواه من الشهور، وجعل لمن تطوع فيه بخَصلةٍ من خصال الخير والبر كأجر من أدى فريضةً من فرائض الله عز وجل فيما سواه، ومن أدى فريضةً من فرائض الله عز وجل فيه كمن أدى سبعين فريضةً من فرائض الله عز وجل فيما سواه من الشهور، وهو شهر الصبر، وإن الصبر ثوابه الجنة، وهو شهر المواساة، وهو شهرٌ يزيد الله تعالى فيه في رزق المؤمن، ومن فطَّر فيه مؤمناً صائماً كان له عند الله عز وجل بذلك عتق رقبة، فقيل له: يا رسول الله ليس كلنا يقدر على أن يفطر صائماً. فقال: إن الله تعالى كريم يعطي هذا الثواب من لا يقدر إلا على مَذقةٍ من لبنٍ يفطَّر بها صائماً، أو بشربةٍ من ماء عذبٍ، أو تمراتٍ لا يقدر على أكثر من ذلك .. إلى أن قال: فهو شهرٌ أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره إجابة وعتق من النار**)).

عندما نعود إلى محتويات ومضامين هذا الخطاب، ومعالم هذه النصوص المهمة، نجد أن الله سبحانه وتعالى برحمته وفضله فتح باب خير كبير لعباده المؤمنين في هذا الشهر الكريم، أولاً على مستوى مضاعفة الأجر والثواب، فقد ضاعف الله الأجر، وأجزل الثواب، على كل عملٍ من الأعمال الصالحة التي فيها رضاه، سواءً على مستوى الأعمال العبادية كالصلوات وما شابه، أو على مستوى الأعمال الإحسانية من مثل العطاء والبذل، والإنفاق، الصدقة، كل أعمال البر والإحسان، ومن ذلك إطعام الطعام، توفير الطعام لمن يحتاج إليه، وعلى مستوى توفير حاجة الصائمين من الطعام لفطرهم، أجر عظيم ضاعف الله الأجور لسبعين ضعفاً، كذلك

جعل مستوى العمل التطوعي في فضله وأجره ومكانته، بقدر العمل الذي هو من الفرائض المفروضة المحتومة فيما سواه من الشهور. يعني: باب خيرٍ كبير.

عندما يوفَّق الإنسان في هذا الشهر لأعمال البر المتنوعة على المستوى التطوعي وعلى مستوى الفرائض المفروضة، فهو خلال شهر رمضان قد يحقق لنفسه من خلال عمله وبرحمة الله، وبالتقبل من الله سبحانه وتعالى رصيداً عظيماً من الأجر والثواب، والله رحيمٌ بعباده، ونحن أمة محمد في آخر الزمان أصحاب الأعمار القصيرة، ليس هناك أعمار كما كان في السابق في الأمم الماضية أعمار طويلة، يتاح للإنسان أن يعمل فيها الكثير الكثير من الأعمال، لكن الله سبحانه وتعالى جعل لنا مواسم من الخير، تُضاعف فيها أجور الأعمال، ويصبح للعمل وزنه وقيمته وفضله مضاعفاً بأضعاف كثيرة، والله واسع الخير واسع البر، واسع الرحمة، واسع الفضل، ذو الفضل العظيم، فهي فرصة أتاحها الله سبحانه وتعالى لنا، هذا على مستوى العمل وفضله ومكانته وأجره.

نصائح مهمة

- أقول لكم هذه النصيحة ولي ومن كل قلبي أن نستقبل هذا الشهر الكريم بالإنابة إلى الله بالتوبة إلى الله بالاستغفار بالاعتذار إلى الله من كل تقصير من كل ذنب، بتضرع بأدب باستحياء من الله سبحانه وتعالى بنية صادقة على الاستقامة وعلى العمل وعلى مراجعة أي تقصير.
- في شهر رمضان الذي هو مدرسة تربوية نتعلم مسألة مهمة جداً ونروض أنفسنا عليها هي قوة العزم والإرادة، كيف نسيطر على أنفسنا؟ كيف نسيطر على هوى أنفسنا، على رغبات أنفسنا.
- الكثير من الناس هم أسيرو رغبات النفس، أسرى لرغبات أنفسهم، أسرى لشهوات أنفسهم، يتبعون الشهوات كما حكى الله عنهم. **(سلس القياد للشهوة)** كما يقول الإمام علي (عليه السلام) كثيرٌ من الناس ضعيف الإرادة ليس عنده إرادة قوية ولا سيطرة على النفس قوية.
- ونصيحتي للشباب الذين يُمضون أوقاتاً طويلةً على الإنترنت وعلى الجوالات ألا يُضيعوا الليالي الغر والمباركة والكريمة للشهر الكريم وهم عاكفون على كمبيوتراتهم وجوالاتهم وغارقون في التيه ليضيعوا موسماً من أعظم مواسم العمر، من أحسن أيام الحياة، من أعظمها فرصةً في بناء الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

- الصيام موسم رحمة موسم أُلفة موسم محبة موسم خير، يصحح الإنسان علاقته مع الله ومع عباد الله ويحاول أن يكون متواضعاً منيباً ملتزماً لا يعمل ما يحبط صيامه ويحبط قيامه ويخسر به الأجر والفضل عند الله سبحانه وتعالى.
- من الجوانب الأساسية في شهر رمضان الاهتمام بالقرآن الكريم، اهتمام بتلاوته اهتمام بالاهتداء به، لأن القرآن الكريم كتاب هداية، اهتمام بهدى الله في الشهر الكريم وبجد بجد.
- ما نسمعه من هدى الله فيما يُعطينا بصيرةً ورؤيةً عن الواقع، نستوعب نعي نفهم ليترتب على ذلك أداءنا في واقع مسؤولياتنا، وهكذا نتعامل مع هدى الله، نوراً نستنير به في ظلمات الحياة فنرى الواقع ونرى الحقائق.
- وما أحوجنا إلى الله، ما أعظم فقرنا وحاجتنا إليه، إلى فضله إلى رحمته إلى مغفرته إلى رعايته إلى هدايته إلى نصره إلى عفوه، حاجات الإنسان إلى ربه حاجة العبد إلى الرب والفقير إلى الغني.
- **(اتقوا النار ولو بشق تمرة)** يحرص الإنسان على البذل والعطاء والإنفاق والتعاون مع الفقراء والمحتاجين بقدر ما يستطيع، حتى من ليس عنده إمكانيات كبيرة من ظروفه صعبة لو استطاع أن يقدم تمرة يُقدم تمرة، لو استطاع أن يُحسن بشيء مهما كان قليلاً لا يتحرج، بقدر حالته بقدر ظروفه.
- الله سبحانه قال في كتابه الكريم موجهاً نداءه وخطابه نداء الرحمة والخير إلى عباده المؤمنين قائلاً ح {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }التحريم٨ هكذا يُنادي الله ويأمر عباده الذين آمنوا { تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً } التوبة النصوح التوبة التي تمثل رجوعاً متكاملاً إلى الله سبحانه وتعالى.

كيف نستقبل شهر رمضان؟

كيف نتعامل مع هذا الشهر المبارك؟

إذاً عندما ندرك أنَّ هذا الشهر له هذه الأهمية، وهذه الفريضة لها هذه الآثار والنتائج الطيبة، فكيف نتعامل مع هذا الشهر المبارك؟

١. التوبة والتخلص من الذنوب

أولاً: ماذا نركِّز عليه في هذا الشهر المبارك؟ ينبغي أن يحرص الإنسان أن يدخل في هذا الشهر المبارك بتوجهٍ صادق إلى الله، وسعيٍ للتخلص من المعاصي والذنوب، أن يبتدئ شهره هذا بالتوبة إلى الله، والاستغفار، وأن يعزم عن الإقلاع عن المعاصي، وعن الكبائر، وعن الذنوب، ويحرص على الاستقامة، ويتخلص من المظاهر السيئة، والأعمال السيئة؛ حتى يتقبل الله منه صيامه وعمله، الإنسان إذا دخل هذا الشهر وهو مستمر على ذنوب ومعاصي ومفاسد، فاستمراره على ذلك سيحبط عمله، لن يتقبل الله منه عمله ابتداءً، فإذا حدث شيءٌ من ذلك قد يحبط عمله، خصوصاً الكبائر، الكبائر تحبط الأعمال الصالحة، وتمثِّل خطورة كبيرة على الإنسان، وتفقد الإنسان الاستفادة من هذا الشهر المبارك.

٢. احترام حدود الله

الحرص أيضاً أنه خلال شهر رمضان المبارك يحترم حدود الله، ويحذر من الحرام، يحذر من المعاصي، يحذر من الأعمال السيئة، يستقيم على طاعة الله،ويحذر مما يسبب له الانزلاق، بعض المقدِّمات للأعمال الفاسدة والأعمال السيئة تهوي بالإنسان وتورطه، يحذر منها ابتداءً، يحذر من خطوات الشيطان من أول خطوة، ويحرص على الاستقامة والصلاح في هذا الشهر المبارك؛ ليؤسس لذلك فيما بعده.

٣. القيام بفرائض الله وواجباته العملية

يحرص الإنسان على القيام بفرائض الله، وواجباته العملية بكل أنواعها: الصلاة، الصيام، الأعمال الصالحة، الجهاد، الإنفاق... كل الأعمال التي تدخل في نطاق المسؤوليات المهمة والأعمال الأساسية التي فرضها الله علينا.

٤. الاهتمام بشكل كبير جدًّا بذكر الله

الاهتمام بشكل كبير جدًّا بذكر الله باللسان، وبالوجدان والقلب والمشاعر: بحيث يكثر الإنسان من الاستغفار، من التسبيح، وهذا أمرٌ متاح أينما كان الإنسان: في الجبهة يستطيع أن يكثر من ذكر الله، في المنزل، في حركته، في ذهابه، في إيابه، يستطيع أن يكثر من ذكر الله، والذكر لله من أفضل العبادات والقرب التي تقرِّب الإنسان من الله.

٥. الاهتمام أيضاً بالقرآن الكريم

الاهتمام أيضاً بالقرآن الكريم: شهر رمضان كما قال الله عنه في كتابه الكريم: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: من الآية ١٨٥]، فينبغي العناية بتلاوة القرآن الكريم بتأمل وتدبر، والحرص على الاستفادة من كتاب الله والاهتداء به، النظرة إليه ككتاب هداية، كيف نستفيد منه، كيف نصحح المفاهيم الخاطئة لدينا، كيف نرسخ المبادئ المهمة، كيف نتذكر بما يذكِّرنا به القرآن الكريم، كيف نتأثر بما يقدِّمه من الهدى المؤثر على المستوى النفسي والوجداني، ثم على المستوى العملي، ثم ما يترتب على ذلك في واقع الحياة، القرآن الكريم ينبغي أن يمثِّل واحدةً من أهم ما نركِّز عليه في شهر رمضان المبارك، وعلى هذا الأساس: تلاوة التأمل، والحرص على الاهتداء به، وليس مجرد الإكثار من التلاوة بدون تأمل، ولا اهتداء، ولا انتفاع بكتاب الله.

٦. العناية بالدعاء

العناية بالدعاء: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}[البقرة: من الآية ١٨٦]، الدعاء مهمٌ جدًّا في كل حال، وفي شهر رمضان هو من أهم ما يركِّز عليه الإنسان، وشهر رمضان من المواسم العظيمة والمهمة للدعاء ولقبول الدعاء، ولا سيما بالأشياء المهمة في عاجل الدنيا وفي آجل الآخرة.

٧. من الأشياء المهمة جدًّا العناية بالإحسان

من الأشياء المهمة جدًّا العناية بالإحسان: الإحسان من أهم القرب إلى الله ومن أهم الأعمال، ومن أعظم الأعمال، الإحسان بالصدقات، الإخراج أيضاً للزكاة مسألة ضرورية جدًّا، العناية بالبر وفعل الخير تجاه الناس، تجاه الضعفاء، تجاه الفقراء، وبما يراعي تكريمهم، الإنسان على مستوى أرحامه، على مستوى جيرانه، على مستوى الناس من حوله، ثم على مستوى أوسع بقدر ما يستطيع، على المستوى

الفردي، وعلى المستوى التعاوني الذي يأتي ضمن أعمال اجتماعية واسعة، أو جمعيات خيرية جيدة... أو نحو من ذلك.

٨. العناية أيضاً والتركيز على التزكية للنفس

العناية أيضاً والتركيز على التزكية للنفس: الإنسان يلتفت جيداً إلى واقع نفسه، يقيِّم نفسه بنفسه، يحاول أن يستذكر جوانب القصور لديه، الفرائض التي هو مقصرٌ فيها، الأعمال والمسؤوليات المهمة التي هو مُخِلٌ بها أو مقصرٌ فيها، الأخطاء والسلبيات والأعمال السيئة التي تصدر منه، ثم يحاول أن يستعين بالله، ويلتجئ إلى الله أن يوفقه للخلاص منها، ويحرص على العودة إلى القرآن، والاستفادة من الصيام، والتوجه العملي للخلاص من تلك السلبيات، أو جوانب التقصير، ثم تكون النتيجة: التوجه العملي الجاد على ضوء هدى الله ؛ لأنه بهذا تتحقق للإنسان التقوى بشكلٍ تام، عندما يتجه عملياً على ضوء هدى الله في مسيرة حياته، في أعماله، في مواقفه، في تصرفاته، في توجهاته، ويرتبط بهدى الله بما يترك الأثر الكبير عليه في روحيته ونفسيته ومشاعره ووجدانه.

ينبغي أن نحذر في هذا الشهر الكريم مما يساهم في ضياع وقتنا

هذه النقاط ينبغي التركيز عليها، وينبغي أن نحذر في هذا الشهر الكريم مما يساهم في ضياع وقتنا، وبالذات الشباب الذين قد يركِّز البعض منهم إما على سهرات في حالةٍ من الضياع والفراغ، وفي جوٍ بعيد عن هدى الله، وعن الذكر لله، وعن القرآن الكريم، إما وراء المسلسلات التلفزيونية، أو وراء مواقع التواصل الاجتماعي، والانشغال بها، وتضييع الوقت عليها، أو سهرات في اجتماعات ليس لها أي قيمة إيجابية، ولا تربوية، ولا أخلاقية، ولا دينية، وليس فيها اهتمام لا بهدى الله، ولا بالقرآن الكريم، ولا بعملٍ صالح، يجب الحذر من ذلك، والحذر من قرناء السوء الذين يجرون الإنسان إلى الضياع في أعماله وفي اهتماماته.

٩. الاستعانة بالله والتماس التوفيق منه

مما ينبغي أيضاً التركيز عليه: الاستعانة بالله والتماس التوفيق منه للإنسان؛ لكي يتمكن من استثمار هذا الشهر المبارك، الإنسان يدعو الله أن يوفِّقه لاغتنام هذا الشهر للاستفادة منه، أن يوفِّقه فيه إلى الأعمال الصالحة.

أيضاً نبارك للإخوة المرابطين في الجبهات، أنهم في هذا الشهر المبارك بكل ما فيه من الأجر، والفضل، والقربة إلى الله في عملٍ عظيمٍ جدًّا، هو الجهاد في سبيل الله الذي يتفوق على بقية الأعمال الصالحة، ومن المهم بالنسبة لهم وهم في الميدان الأقرب إلى الله والأرفع فضلاً، والأعلى قيمةً، أن يركِّزوا على الإكثار من ذكر الله وأن يهتموا بالقرآن بقدر ما يتاح لهم سماعاً أو تلاوةً، وأن يركِّزوا على الدعاء والالتجاء إلى الله وأن يهتموا بأعمالهم الجهادية، سواءً على المستوى الدفاعي، أو على المستوى الهجومي، أو على مستوى المرابطة، فهم في أعمال عظيمة ومهمة.

دروس وعطايا شهر رمضان

شهر رمضان المبارك من أهم ما فيه أنه:

١. موسم مهم هو ربيع القرآن، ربيع القرآن، هو موسم مهم للعلاقة مع الله سبحانه وتعالى ومع هدى الله سبحانه وتعالى.

٢. محطة تربوية، ومحطة هداية، ومحطة تزكية، تزكية للنفوس، وهدى للناس، تعطي الإنسان أثراً عظيماً في القرب من الله سبحانه وتعالى في معالجة ما قد لحق به من صدى في قلبه من أثر سلبي من واقع الحياة في نفسه، في أعمله، في توجهاته.

٣. شهر رمضان محطة إيمانية الإنسان من خلالها تزكو نفسه، يشعر بالقرب من الله سبحانه وتعالى أكثر، يكون مهيأً أكثر بأن يهتدي بهدى الله سبحانه وتعالى.

٤. شهر رمضان نستفيد منه هذا، التحمل والصبر على الشدائد، وبهذا في جهادنا في مسؤولياتنا الأخرى التي نحتاج إلى الصبر يصبح لدينا تعود على الصبر وتعود على التحمل.

٥. في شهر رمضان يشعر الإنسان بالقرب من الله أكثر فأكثر، فتكون فرصة إلى الإقبال إلى الله بالدعاء، والإنابة إلى الله، ونحن عباد الله الفقراء إليه، ما أحوجنا إلى الله وما أعظم فقرنا إليه وحاجتنا إليه.

٦. في شهر رمضان نعيش مع القرآن، نستبصر به، نتذوقه، نسمعه فيصل إلى قلوبنا إن فتحنا له قلوبنا، في شهر رمضان موسم الخير لمضاعفة الأجر والثواب في الأعمال إلى سبعين ضعفاً، إلى سبعين ضعافًا.

٧. شهر رمضان شهر عظيم، لنقدر هذا الشهر؛ لنعرف قدره؛ لنحرص على الاستفادة منه؛ لنحرص على أن يتحقق لنا فيه في ليلة القدر ما يريده الله من عباده المؤمنين الصادقين، ما يكتبه لهم ويقدره لهم من الخير العظيم، من النصر من الخير من العزة من الرعاية الإلهية من التوفيق من كل الرغائب.

٨. لنحذر الضياع في هذا الشهر، لنحذر الضياع على أنفسنا على أسرنا على مجاهدينا على مجتمعنا، لنحذر من الضياع من التيه، أن تضيع مثل هذا الموسم العظيم التي تضيعه خسران حقيقي وخسران كبير، خسران كبير.

دروس نتعلمها من شهر رمضان:

- نتعلم قوة الإرادة لأن من أهم مداخل الشيطان على نفسية الإنسان رغبات، رغبات الإنسان من أهم المداخل التي يدخل منها الشيطان للتأثير على الإنسان.
- نتعلم في شهر رمضان الصبر، وما أحوجنا إلى الصبر، نتعلم كيف نصبر على المجهود البدني والنفسي على جوعنا وظمئنا ومتاعبنا وأي شيء آخر.
- نستفيد منه هذا، التحمل والصبر على الشدائد، وبهذا في جهادنا في مسؤولياتنا الأخرى التي نحتاج إلى الصبر يصبح لدينا تعود على الصبر وتعود على التحمل.
- نتعود في شهر رمضان في شعورنا بالقرب من الله أكثر.
- في شهر رمضان نعيش مع القرآن، نستبصر به، نتذوقه، نسمعه فيصل إلى قلوبنا إن فتحنا له قلوبنا، في شهر رمضان موسم الخير لمضاعفة الأجر والثواب في الأعمال إلى سبعين ضعفاً، إلى سبعين ضعافًا.
- شهر رمضان شهر عظيم، لنقدر هذا الشهر؛ لنعرف قدره؛ لنحرص على الاستفادة منه؛ لنحرص على أن يتحقق لنا فيه في ليلة القدر ما يريده الله من عباده المؤمنين الصادقين، ما يكتبه لهم ويقدره لهم من الخير العظيم، من النصر من الخير من العزة من الرعاية الإلهية من التوفيق من كل الرغائب، رغائب المؤمنين الصالحين.

❑ فمهم جداً أن نحرص على الاستفادة من شهر رمضان وأن نحرص على أن يستفيد المجاهدون والمجتمع من هذا الشهر الكريم فيعوا أهميته وأن الغاية الأساسية من هذا الشهر هي التقوى، لعلكم تتقون {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(البقرة: من الآية ١٨٣).

- لنحذر الضياع في هذا الشهر، لنحذر الضياع على أنفسنا على أسرنا على مجاهدينا على مجتمعنا، لنحذر من الضياع من التيه، أن تضيع مثل هذا الموسم العظيم التي تضيعه خسران حقيقي وخسران كبير، خسران كبير.

من معطيات الشهر الكريم (التقوى)

- عندما نأتي إلى عنوان التقوى، الإنسان بفطرته يرغب فيما يقيه من الكثير من المشاكل، أو من كل الكوارث والمصائب والشرور والمخاطر، الإنسان بفطرته رحيمٌ بنفسه، ويريد لنفسه الخير، {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ}[العاديات: الآية ٨]، ويتمنى أن يمتلك ما يقيه من الشرور والمخاطر الكبيرة على نفسه وعلى حياته، والوقاية هي خلاصة ما يعنيه تعبير التقوى، أنه يشكِّل وقايةً لنا من كثيرٍ من الأشياء السيئة التي هي نتاجٌ طبيعيٌ للأعمال والتصرفات الخاطئة والسلبية والسيئة، بكل تأثيراتها السيئة علينا في واقع الحياة، الأعمال السيئة والأعمال المنحرفة تلحق بالناس ضرراً كبيراً في حياتهم: في أمنهم، في معيشتهم، في اقتصادهم، في استقرارهم الاجتماعي، وهذه هي المشاكل التي تعاني منها البشرية إلى حدٍ كبير، وهذه- بعينها- هي المشاكل الكبيرة التي تصيح منها المجتمعات البشرية في مختلف أقطار الأرض: ارتفاع نسبة الجرائم بأنواعها، الاختلالات الأمنية المؤذية للناس، الأزمات الاقتصادية التي تتفاقم، الفساد الذي يضر بالناس في كل شؤون حياتهم... وهكذا مختلف أنواع الشرور التي تمثِّل مشكلةً حقيقيةً للناس في واقع حياتهم.
- التقوى كحالة نفسية تسيطر على مشاعرنا الحذر الشديد من أن نقصر أو نهمل أو نبتعد عما أرشدنا الله إليه، التقوى فيما تعنيه من الابتعاد عما نهانا الله عنه، عما يوقعنا في سخطه وعذابه، التقوى فيما تعنيه من التحلي بالفضائل والأخلاق التي وصف الله بها عباده المتقين ومن انطلاقة في كل ما شرعه الله لنا من العبادات نؤديها بشكل واعٍ نفهم مقاصد الله منها، ومقاصد كتابه في تشريعها.
- والخطاب بالتقوى والأمر بها يتوجه إلى كل الناس، فليس هناك أحد فوق أن يؤمر بتقوى الله، ولا دون أن يوصي بتقوى الله، والخطاب العام بالتقوى ورد في القرآن الكريم في نداء الله إلى كل عباده، إلى البشرية عموماً في خطابات متعددة، ونداءات متكررة، يقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ} (لقمان: الآية ٣٣)، ويقول سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ

تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} (الحج: الآية ٢،١)

نداءات رحمة من الله يوجهها إلى جميع عباده، ونداءات لكل الناس بكل اتجاهاتهم، بكل ثقافاتهم، بكل انتماءاتهم، لكل الشعوب، الجميع عباد الله وهو رحيم بهم، يدلهم على ما يشكل وقاية لهم من عذابه، من الخسران، من الشقاء، من العذاب العظيم، والهول الكبير.

صيام شهر رمضان لا يمثل عبئاً إضافياً

ومن هنا يتضح لنا أنَّ صيام شهر رمضان، وأنَّ شهر رمضان المبارك بكل ما فيه من صيام وقيام وأعمال صالحة، وما يتهيأ فيه من البركات والآثار الإيجابية والخيِّرة، لا يمثل عبئاً إضافياً إلى مشاكلنا في هذه الحياة؛ بل إنَّ له علاقة مهمة جدًّا بصلاح حياتنا هذه، بل إنَّ له أهمية كبيرة فيما يمكن أن يشكِّله من تأثير إيجابي وعظيم في نفس واقع حياتنا: في انخفاض نسبة الجرائم، في ارتفاع نسبة الأعمال الصالحة بأثرها الصالح والإيجابي في واقع الحياة، في النتائج الإيجابية التي تعود علينا نفعاً على مستوى مشاعرنا، أن نعيش ونكتسب مشاعر الطمأنينة، مشاعر السكينة، القرب من الله التخفيف إلى حد كبير من مشاعر القلق، من الشعور بالضيق في واقع النفوس، أن يروِّينا من حالة الجفاف على المستوى الروحي، فنعيش حالة الاطمئنان بذكر الله والمشاعر الإيجابية والإنسانية الراقية والمؤثرة إيجاباً في مشاعر الإنسان ونفسيته وأعماله، بكل ما لذلك من أثر طيب جدًّا في نفوس الناس وفي واقع حياتهم، فهو نعمةٌ عظيمةٌ من الله، ووسيلة مساعدة عملية تحقق هذه النتائج المهمة: وسيلة مساعدة لتحصيل الوقاية من كل تلك الشرور، للارتقاء في واقعنا النفسي والأخلاقي والعملي والسلوكي، لنكتسب منها أيضاً قوة الإرادة، والصبر، والتحمل، والقوة النفسية في مواجهة أعباء هذه الحياة، وتحديات هذه الحياة، ونكتسب منها قوة التحمل للنهوض بمسؤولياتنا في هذه الحياة، وقوة التحمل لمواجهة المشاكل التي نعاني منها في هذه الحياة، فهو شيءٌ نحتاجه بكل ما تعنيه الكلمة، وشيءٌ مهمٌ جدًّا.

شهر رمضان المبارك محطة مهمة جدًا في عطائه التربوي

الإنسان يعيش في هذه الحياة مخاطر كثيرة، مخاطر الانهيار النفسي في مواجهة صعوبات وتحديات هذه الحياة، البعض من الناس يصلون إلى مستوى الانهيار النفسي أمام كثيرٍ من الصعوبات، والمشاكل، والأزمات، والتعقيدات في هذه الحياة. البعض من الناس يعيشون حالةً من الاضطراب، والتوتر، وفقدان الاتزان في تصرفاتهم ومواقفهم، ويعيشون حالةً من الانفلات والفوضى النفسية، وينطلقون في واقع هذه الحياة بضغط هذه المشاكل والغرائز بدون انضباط، وبدون وعي، وبدون حتى أي مستوى من الرشد، فيتصرفون بطريقة لا مسؤولة، لها نتائج وخيمة عليهم في أنفسهم وفي واقع حياتهم. والبعض من الناس يعيشون حالة الانحراف، الانحراف بشكلٍ رهيب عن القيم، عن الأخلاق، عن الضوابط الشرعية، عن التوجيهات الإلهية، يترتب على ذلك مفاسد كبيرة جدًّا، فيخسرون في الدنيا، ويخسرون أيضاً في الآخرة والعياذ بالله.

فشهر رمضان المبارك محطة مهمة جدًّا في عطائها التربوي، وعطائها الأخلاقي، وأثرها في واقع الحياة، نحن نركِّز جدًّا على هذه النقطة: الأثر المهم في واقع الحياة؛ حتى لا يظن الإنسان أنها تمثِّل عبئاً إضافياً لا قيمة له في واقع حياته. لها أهمية في واقعك النفسي وفي واقع حياتك، وما يترتب عليها أيضاً من جانب الله من البركات والخيرات والعطاء الإلهي الواسع.

شهر رمضان شهر نتعلم منه الصبر

قال (صلوات الله عليه وعلى آله): ((**وهو شهر الصبر، وإن الصبر ثوابه الجنة**)) في شهر رمضان وهو محطة تربوية مهمة، نتعلم الصبر ونروِّض أنفسنا على الصبر، والصبر الذي هو أساسيٌّ في تحقق الإيمان، وفي اكتمال الإيمان، وفي الثبات على الإيمان، الصبر الذي نحتاجه في الصبر على طاعة الله، فيما يواجهنا من مشاق، أو الصبر عن معصية الله سبحانه وتعالى من خلال الضغط على النفس، والسيطرة عليها، ومنعها من التورط فيما هو عصيان لله سبحانه وتعالى، الصبر في مواجهة أعباء المسؤولية، مسؤوليتنا الكبرى في واقع الحياة، وواجباتنا المهمة في الحياة التي تحتاج إلى صبر، الصبر في مواجهة المحن والآلام والشدائد والمصائب، الصبر الذي نحتاج إليه، والصبر بأهميته الكبيرة، أهميته الكبيرة التي شبهها الرسول (صلوات

الله عليه وعلى آله) فيما ورد عنه عن الصبر أنه: ((من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد)) ففي شهر رمضان نروّض أنفسنا على الصبر، ونعودها على أن تصبر على متاعب الجوع والظمأ، ومتاعب الجهد البدني والنفسي وما شابه، هذه واحدة من فوائد شهر رمضان المبارك.

كثير من التشريعات والمسؤوليات التي حملنا الله إياها ويفرضها علينا الواقع هي مسؤوليات تحتاج إلى صبر إلى تحمل، وفي واقع الحال إن كل الأمور المهمة في هذه الحياة حتى خارج الاعتبار الديني خارج اعتبار المسؤولية الدينية مسؤولياتنا الفطرية لهذه الحياة تحتاج إلى تحمل تحتاج إلى صبر، كثير مما نواجهه في هذه الحياة من التحديات من المشاكل من العوائق من الصعوبات تحتاج إلى صبر، الصبر قضية أساسية يحتاج إليها الإنسان في مشواره في الحياة وفي رحلته في الحياة وإلا إذا فقد الإنسان الصبر ينهار، والكثير من الناس في هذه الحياة ينهار نفسيا، يتحطم نفسيا بل البعض يصاب بمرض نفسي وتنهار قواه النفسية وتحمله وطاقته في مواجهة صعوبات هذه الحياة ومشاق هذه الحياة أمام الصعوبات التي يمكن أن نواجهها في هذه الحياة أمام المتاعب أمام المشاكل أمام التحديات وللتحمل في النهوض بمسؤولياتنا الدينية والمقدسة وهي مسؤوليات نحتاج إليها في هذه الحياة لها علاقة بهذه الحياة، لها علاقة بإصلاح هذه الحياة لها علاقة بالحد من مشاكل هذه الحياة مثل مسؤولية الجهاد في سبيل الله في مواجهة الطغاة الظالمين الأشرار المفسدين المجرمين، مسؤوليتنا في التصدي للبغي في التصدي للظلم في التصدي للشر في العمل على إقامة العدل على إحقاق الحق، لابد من الصبر لا بد من الصبر، كيف نتربى على الصبر الصبر في النهوض بالمسؤولية، الصبر في طاعة الله، الصبر في الامتناع عن معصية الله، والسيطرة على النفس، والانتصار على هوى النفس، عملية الصيام هي عملية نتعلم منها الصبر أن نصبر عند الظمأ تظمى تشعر بالظمأ وتعاني من الظمأ ويزداد الضغط النفسي والجسدي عليك من ذلك فتتعلم أن تصبر وأن تتحمل والصبر هي حالة تحمل باختصار الصبر حالة تحمل في النفس والجسد، عند الجوع مثلا تعاني من الجوع والضغط النفسي عند الجوع والضغط البدني عند الجوع فتتعود على أن تصبر وأن تتحمل وهكذا نتعود ونتروض على الصبر عند حالات المتاعب النفسية والمتاعب الجسدية كلما تعود الإنسان على الصبر كلما امتلك القدرة على التحمل وبالتالي القدرة على النهوض بالمسؤولية، القدرة على الالتزام، المنعة النفسية، القوة النفسية تتنامى حالة من القوة النفسية والطاقة النفسية والامتلاك للقدرة بشكل أفضل وبشكل أكبر.

مواصفات المؤمنين

الصلاة أولى مواصفات المؤمنين

اللـه يقـدم في القـرآن الكريـم مواصفـات للمؤمنـين مواصفـات رئيسـية لا يمكـن أن يكـون الإنسـان مـن المؤمنـين إلا إذا تحققـت لديـه هـذه المواصفـات إذا أخـل بهـا ولم تنطبـق عـلى واقعـه عـلى توجهاتـه فهـو لم يصـل بعـد إلى أن يكـون مـن المؤمنـين وبالتـالي لـن يكـون مـن المتقـين بالتأكيـد. يقـول اللـه سـبحانه وتعـالى (قَـدْ أَفْلَـحَ الْمُؤْمِنُـونَ) مـن هـم هـؤلاء المؤمنـون؟ (الَّذِيـنَ هُـمْ فِي صَلَاتِهِـمْ خَاشِـعُونَ) الذيـن يُصلّـون هـم الكثـير، المصلـين هـم الكثـير، أكـثر أبنـاء أمتنـا الإسـلامية يصلـون، وباتـت الصـلاة لـدى الكثـير مـن النـاس حالـة روتينيـة اعتياديـة وبشـكل بـارد جـداً، ليـس لهـا روح ليـس لهـا أثـر، وأحيانـاً البعـض مـن النـاس يفصلهـا عـن كل شيء في هـذه الحيـاة لا يعـي قيمـة هـذه الهبـة الربانيـة، الصـلاة عطيـة إلهيـة عظيمـة ومحطـة تربويـة إيمانيـة راقيـة جـداً وعظيمـة الأثـر جـداً، لكـن لمـن يعـي ذلـك ولمـن يتفاعـل معهـا بنـاءً عـلى ذلـك، ولذلـك لـو نـأتي إلى الحديـث عـن الصـلاة في القـرآن الكريـم حديـث واسـع جـداً وهـي في الإسـلام الركـن الثـاني منـه، ركـن عظيـم وأسـاسي جـداً، ويتعلـق بهـا مسـائل كثـيرة جـداً لا يسـع الوقـت للحديـث عنهـا لكـن محطـة مختصرة نتحدث قليلاً عنها.

الصـلاة هـي وقفـة، وقفـة خشـوع يعـبر الإنسـان فيهـا عـن عبوديتـه للـه، بـأذكار وأفعـال معينـة كلهـا يعـبر فيهـا عـن عبوديتـه للـه سـبحانه وتعـالى ويذكـر اللـه ويتذكـره وهـذه مسـألة رئيسـية في الصـلاة التذكـير لنـا باللـه ودفعنـا إلى التذكـر والذكـر للـه سـبحانه وتعـالى بقلوبنـا وألسـنتنا، بوجداننـا ومشـاعرنا، وفي هـذه الوقفـة رسـم اللـه لنـا فيهـا فيـما شرعـه عنهـا كيـف تكـون وقفـة عظيمـة ومعـبرة فعليـاً عـن حالـة العبـادة، لكـن تحتـاج إلى التفاتـة واعيـة إلى انتبـاه إلى تركيـز حتـى يسـتفيد الإنسـان بالشـكل المطلوب.

شرع اللـه وقفـة الصـلاة هـذه في أوقـات محـددة، هـذه نقطـة مهمـة، أوقـات محددة، وهـذه الأوقـات جُعلـت متوزعـة في اليـوم والليلـة حتـى تعالـج لـدى الإنسـان آثـار هـذه الحيـاة، الإنسـان يحتـاج إلى رعايـة مسـتمرة لنفسـه .. كثـيراً مـا يعيـش الإنسـان في واقـع

هذه الحياة الكثير من المؤثرات التي تؤثر على نفسه سلباً إما في الرغبات، إما في الشهوات، وإما في الانفعالات وحالة الغضب، أشياء كثيرة تؤثر على الإنسان، إما تغريه وإما تستفزه، أشياء كثيرة تؤثر على سلوكه على نفسيته، وأخطر شيء على الإنسان هي حالة الغفلة عن الله سبحانه وتعالى إذا غفل عن الله تمكن الشيطان من التأثير عليه، إذا لم يعد يتذكر الله، يتذكر عظمة الله، يتذكر قوة الله، يتذكر وعد الله ووعيده، يتذكر رحمة الله، رعايته، نعمته، كرمه، يتذكر عبوديته لله يتذكر مرده، مصيره، مرجعه إلى الله، يتذكر كل ما يتصل بعلاقته بالله سبحانه وتعالى من واقعه كعبد تربطه بالله كل الروابط، رابطة الافتقار إلى الله والحاجة إلى الله وأن يحوطه الله على الدوام برعايته ورحمته وكرمه وفضله إلخ ..

حالة الغفلة التي ممكن أن يعيشها الإنسان هي الحالة التي قد يستغلها الشيطان وشياطين الإنس وشياطين الجن فيؤثرون على الإنسان ويستميلونه إلى الفعل الخاطئ والتصرف الخاطئ بأي شكل من الأشكال، ولذلك تأتي الصلاة في أوقات متعددة مثلاً من الفجر إلى وقت الظهر وقت الظهر وقت زمني معين تأتي وقت الظهر إلى وقت العصر ما يساعدك على هذه الالتفاتة إلى هذا الاستذكار إلى العودة إلى الله سبحانه وتعالى والإقبال إليه فيعالج ما يمكن أن يكون قد طرأ على نفسيتك من الصباح إلى فترة الظهر، ثم إلى فترة العصر، هكذا نأتي إلى المغرب والعشاء مثلاً من فترى العصر إلى المغرب والعشاء فترة زمنية معينة، يمكن أن يكون الإنسان فيها قد غفل يمكن أن يكون قد انشغل بشؤون حياته يمكن أن يكون قد لقي وعانى وعايش وعاين الكثير من المؤثرات السلبية، تأتي تلك المحطة في صلاة المغرب والعشاء لتؤثر فيه الأثر الإيجابي من جديد لتصقل نفسيته، لتنعش روحيته من جديد، لتعالج تلك التأثيرات السلبية في نفسه من جديد وهكذا ما بعد المغرب والعشاء إلى الفجر.

الله جعل الصلاة عطية وهبة ووسيلة عظيمة تساعدنا على أن نعيش فيها فعلياً بالفعل وبالقول حالة الاستشعار والتعبير عن العبودية لله وهذا يترك أثراً إيجابياً كبيراً في نفس الإنسان، ويحسسه بالشعور بالقرب من الله والاتصال بالله والارتباط بالله، وهذه العلاقة، الإحساس بهذه العلاقة مع الله في كل ما تتركه من أثر وطمأنينة وسكينة على نفسية الإنسان، واستقرار نفسي يساعده على الانطلاق في هذه الحياة بانتعاش وتماسك وقوة واستقرار نفسي، والاستقرار النفسي مهم جداً في واقع الحياة، الذين فقدوا الطمأنينة والاستقرار النفسي كيف هم في واقع الحياة؟! حالة طيش حالة عذاب حالة انفلات في تصرفاتهم حالة من الهمجية حالة من

الطغيان حالة من استبساط الجريمة والتهاون بفعل الجريمة، حالة خطيرة جداً، فقدوا الاستقرار والاتزان والطمأنينة النفسية والشعور بقدسية الوجود الإنساني المتصل بالله المرتبط بالله، المؤمن بالله سبحانه وتعالى.

حينها يعيش الإنسان بعيدا عن هذا الجو القدسي الروحي الذي يسكب الطمأنينة في مشاعر الإنسان، ويترك الإنسان يعيش جو القداسة والإيمان والإحساس بقيمة هذا الوجود الإنساني، الكلام يطول جدا حول هذا الموضوع.

الصلاة المؤثرة، الصلاة المعبرة، الصلاة العظيمة هي التي تتوفر فيها جملة من العناصر الرئيسية، وهذا ما ينبغي أن يركز عليه الإنسان المسلم حتى لا تتحول صلاته إلى حالة اعتيادية غير ذات أثر ولا فائدة إلا بشكل محدود للغاية جدا، فيمكن للإنسان كلما زاد تركيزه كلما اكتملت تلك العناصر الرئيسية والمهمة، كلما انتفع بالصلاة أكثر وأكثر وكلما زادت علاقته من خلالها بالله أعظم وأعظم، وكلما اكتسب من خلالها النتائج العظيمة جدا على المستوى النفسي والمعنوي والعملي والسلوكي.

صلاة الخاشعين

صلاة المؤمنين هي صلاة خشوع، فيها إقبال إلى الله بأنفسهم، بوجدانهم بقلوبهم، بمشاعرهم، فيها انتباه إلى ما يقولون وإلى ما يفعلون، يذكر الله وهو مستحضر في ذاكرته وذهنه للذكر الذي يذكره، يعني هو لا يذكر الله وذهنه هناك بعيدا كليا ومنفصلا نهائيا عما هو فيه من ذكر وفعل في الصلاة، ثم أفعال الصلاة كذلك يستحضرها حينما يركع لله، يستشعر أنه يعبر بركوعه عن حالة الخضوع لله سبحانه وتعالى، حينما يسجد ويخر إلى الأرض، سيخرُّ إلى الأرض ساجدا يستشعر أنه في أرقى حالة تعبير عن العبودية والخضوع المطلق لله سبحانه وتعالى، وهكذا يتفاعل في ذاكرته في وجدانه في استشعاره في استحضاره الذهني، يتفاعل مع الأذكار والأفعال التي يؤديها أثناء الصلاة، ويتعود على ذلك، يتعود على ذلك تدريجيا، وطبعا لا مثلا نأتي لنتحدث مثلما يتحدث البعض من الناس غير الواقعيين الذي يفترض حالة لكل الناس من الخشوع والإقبال إلى الله ينفصلون فيها عن واقع الحياة كليا، حيث أنه لم يعد ينتبه إلى ما حوله ولا يحس بشيء ولا يسمع شيء، لا، هذا المقدار من الاستحضار الذهني بخضوع الذي يصاحبه خضوع واستشعار لحالة العبودية من الانتباه لما تقول وما تفعل وماذا يعني ما تقول وما تفعل، هو خشوع ويترك الأثر الإيجابي والعظيم في نفسية الإنسان وتستفيد من خلاله استفادة كبيرة من الصلاة، كلما استقوى كلما كبر، كلما عظم كلما كان أثره أكثر وأطيب وأعظم.

عناصر الخشوع في الصلاة

الصلاة بنفسها صممت بطريقة في شكلها وأدائها لأن هناك الحالة الذهنية والنفسية، حالة ذهنية تركيز، حالة نفسية استشعار للعبودية، وحالة فعلية، انضباط أثناء الصلاة وسكون، فإذن الخشوع له ثلاثة عناصر أساسية، هذه خلاصة الأمر وتلخيص، الحالة الذهنية بالتركيز، والحالة النفسية باستشعار العبودية، وتعيش نفسيا بالجو النفسي مع ما تفعل وتقول، وفي نفس الوقت حالة فعلية وعملية هي السكون أثناء الصلاة، طبعا الصلاة يمنع فيها التصرفات الأخرى، لها أذكار ولها أركان ولها حالة معينة هي في الأساس وقفة يقف الإنسان فيها ساكنا وخاضعا، ممنوع عليه أثناء الصلاة يتلفت، ممنوع أن يتحدث إلى الآخرين من حين يكبر تكبيرة الإحرام، يحرم عليه كل أفعال من خارج الصلاة، سواء كلام مع الناس، هذا ممنوع، تلفت، انشغال بأفعال وتصرفات أخرى، يفترض أن يقف وفي وقفته تلك حالة الإرسال طبعا هي الحالة المعبرة عن حالة السكون والخشوع، وهذا معروف في الواقع البشري في كل مقامات الإجلال والوقار، والسكينة يرسل الناس أيديهم، وهذه عندنا فيما هو ثابت عن أهل البيت عليهم السلام وعن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم أنها هكذا الصلاة، في وقفتها حالة سكينة وخشوع وإرسال وإقبال إلى الله سبحانه وتعالى، وممنوع أن تتلفت أن تنشغل بأشياء أخرى ذهنيا أو فعليا، في حركة يديك في تصرفاتك إلى غير ذلك، حتى النظر، تركز بنظرك إلى الأمام ولا تتلفت بنظرك، تحدق هناك أو هناك، هذا غير مقبول في الصلاة، فإذا تحققت هذه العناصر الثلاث، الذهنية والنفسية والفعلية وانضبط الإنسان في وقفته في الصلاة وفي مؤداها كما ينبغي عاش حالة الخشوع فيها وتتفاوت هذه الحالة بمستوى المراتب الإيمانية، ولكن يمكن للإنسان أن تتدرج عنده هذه الحالة و أن تتنامى حتى يصل إلى مراتب بحسب ما يوفقه الله إليه، هذا له أثر كبير في الالتزام السلوكي والإيماني، هذه حالة معبرة عن الإيمان، كلما عظم إيمانك زاد خشوعك.

وكلما زاد خشوعك زاد إيمانك، وتساعدك على أن تكون في هذه الحياة مطيعا لله خاضعا لله، خاشعا لله، بعيدا عن حالة الأنفة والاستكبار التي موجودة لدى البعض، والتعنت أمام أوامر الله وتوجيهاته

[المحاضرات الرمضانية ١٤٣٩ الثانية]

من مواصفات المؤمنين (الإعراض عن اللَّغْوِ)

(وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)، وهذا جانب آخر في العلاقة الإيمانية وفي الالتزامات الإيمانية وفي الصفات الإيمانية، الإعراض عن اللغو، اللغو كل الكلام السلبي، الكلام السلبي، يدخل مثلا السب، الغيبة، النميمة، الكلام السيء، الكلام الفاحش، الكلام القذر، الكلام، كل الكلام الباطل، يقولون كل ما ينبغي أن يلغى من القول، ما يطرح يترك، يترفع الإنسان عنه، ما يليق بك أن تتكلم به، أو أن تتفاعل معه، وحالة الإعراض عن اللغو يدخل فيها اجتنابه، ما تأتي أنت، تكون نظيف اللسان، سليم اللسان، وتكون ممن يتعاطى بمسؤولية تجاه ما يقول ويعبر ويتحدث، أو يكتب، لأن الكتابة أحد اللسانين، ما تكتب يتبع ما تقول، لأنه حالة تعبير، الكتابة هي حالة تعبير والنطق حالة تعبير، فيلحق ما تكتب وبالذات ونحن في عالم، عالم اليوم فيه الانترنت، في الشبكة العنكبوتية، مواقع التواصل الاجتماعي، كل تلك الدواهي، فالمؤمنون يتميزن عن غيرهم بأنهم ليسوا عبثيين في هذه الحياة ولا منفلتين، مكارم الأخلاق تضبط سلوكهم، وأداءهم، وحركتهم في هذه الحياة فيما يقولون وفيما يكتبون، واليوم مجتمعنا الإسلامي بأحوج ما يكون إلى الالتفات إلى هذه التوجيهات الإلهية، وإلى السعي أن ينضبط، ويلتزم بهذه الضوابط وهذه السلوكيات، وأن يعود إلى هذه الصفات العظيمة والمهمة، فأنت في نفسك كن مجتنبا للكلام السيئ، وما يلحق به من كتابات سيئة، لا تأتي لتقول الكلام الفاحش، ولا البهتان ولا الزور ولا الإساءة ولا الكلام الجارح بغير الحق، ولا الكذب ولا كل، الكلام السيئ دائرة واسعة يعني تعبر عن حالة اللغو، دائرة واسعة يدخل فيها الكذب، يدخل فيها البهتان، يدخل فيها الزور، يدخل فيها الافتراء، يدخل فيها الفحش، يدخل فيها الغيبة، يدخل فيها النميمة، يدخل فيها كذلك أشياء كثيرة تدخل فيها، الباطل، يدخل فيها أشياء كثيرة، فأنت كن متنزها، كن مسؤولا، متحليا بالمسؤولية فيما تقول، وقيد ما تقوله بمكارم الأخلاق، تقول الصدق، تقول الحق، تقول الصلاح، تقول التي هي أحسن، تعبر بالكلام المفيد، بالكلام النافع ولا تكن عبثيا لاهيا، مستهترا، تقول كل شيء ولا تنضبط، أو تكتب كل شيء، ثم في تفاعلك مع الآخرين، لا تنزلق مع الآخرين، البعض مثلا في الانترنت، في مواقع التواصل الاجتماعي، أو في الحديث مع الناس، أو في الرسائل في الجوالات، يأتي إنسان سيء، إنسان تافه، يرسل له برسائل أو يبدأ يتعامل معه بتواصل أو برسائل إما

فاحشة أو بذيئة أو سيئة، أو تافهة أو ضالة، أو باطلة، يبقى يتفاعل معه ويراسله ويدخل معه في أخذ ورد وتعاطي وتفاعل، هذا التفاعل مع الناس السيئين مع أصحاب اللغو، هذا التفاعل معهم والتبادل معهم للأخذ والرد والكلام، لا ينبغي، أقفل المجال، أرسل إليك برسالة سيئة أو فاحشة أو بذيئة أو تافهة أو يسعى لاستمالتك لجريمة أو لفساد، أو تأثير على نفسيتك، اقفل المجال أمامه، لا تتعاطى معه، اعرض عنه واتركه، اقفل المجال أمامه، (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)، هذا جانب مهم في حياتهم.

[المحاضرات الرمضانية ١٤٣٩ الثالثة]

من مواصفات المؤمنين(الزكاة)

(وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ)، الزكاة يعبر فيها، في الإسلام يعبر بالزكاة عن أمور متعددة أولها الركن الثالث من أركان الإسلام وهو الفريضة المحددة في المال، بحسب ما يرد من تفاصيل في الشريعة الإسلامية فيما يلزم مثلا من زكاة وفي مقدار هذه الزكاة فيما أخرجت الأرض وأنبتت الأرض، المزروعات وما يتصل بها في أموال التجارة وما يتعلق بها إلى آخره، نحن لا ندخل في هذه اللحظة في تفاصيل هذا الموضوع، يعبر أيضا بالزكاة كل ما يتصل بعملية تزكية النفس، (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)، وحتى تلك الزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام وفريضة معينة في المال هي ذات أثر رئيسي وكبير جدا في تزكية نفس الإنسان وتطهيرها، وسيلة أخرى رئيسية إلى جانب الصلاة تساعد على ذلك، وهي أيضا تزكية وتطهرة للمال نفسه وتساعد على صلاحه ونموه وأن يجعل الله فيه البركة.

الزكاة فيما تعنيه تلك الفريضة الإسلامية ذات العلاقة بالمال، والزكاة فيما تعنيه من أعمال وأفعال تساعد على تزكية النفس، كلها يجب أن تكون محط اهتمام كبير لدى الإنسان المؤمن، هي من الصفات الأساسية واللازمة، لا يكون الإنسان مؤمنا إلا بها، باهتمامه بها بأدائه لها، بعنايته بها، وهذه مسألة في غاية الأهمية، مهم جدا أن نعي جيدا أولا فيما يتعلق بالفريضة، الفريضة الكثير من التجار، والكثير من أصحاب المال الذي وصل إلى النصاب الذي تجب فيه الزكاة، يفرطون اليوم في مسألة الزكاة، إما البعض منهم لا يخرجها مثلا، وإما البعض يخرج جزءا منها ويستقطع أجزاء أخرى فلا يخرجها ويأكلها، وإما البعض يصرفها بكلها أو يصرف جزءا منها في غير مصارفها الشرعية، فيكون بذلك مخلا بركن أساسي من أركان الإسلام، يترتب على ذلك خلل كبير جدا في دينه، لا يقبل مع ذلك بقية

أعماله حتى الصلاة، لا تقبل صلاة إلا بزكاة، هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو فعلي ذلك، هذا مؤكد لأنه لا يمكن أن تكون من المتقين وأنت مخل بركن بكله من أركان الإسلام، والله إنما يتقبل من المتقين، (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)، فالزكاة فريضة مهمة جدا وأساسية والله يصف عباده المؤمنين بأنهم يؤتون الزكاة، يعني يبادرون هم برغبة إلى إخراجها، ما ينتظر الناس يلاحقوه أو يجبروه إجبار على إخراجها أو يحتاج يواجه مشاكل، أو يلاحقوه ملاحقة، هو بنفسه، هو حريص على أن يؤدي هذه الفريضة وأن يخرج إلى الله بالسلامة وبراءة الذمة في أدائها وأن لا تبقى وزرا في عنقه وذنبا ومعصية في رقبته، فالمسألة هذه من أهم المسائل، الله سبحانه

وتعالى كما أكد في القرآن الكريم على الزكاة وجعلها صفة أساسية حتى للإسلام، الزكاة صفة أساسية حتى للإسلام، (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ).

التفريط في أداء الزكاة ونتائجه المدمرة

المسألة هذه من أهم المسائل لو أدى الناس الزكاة وأخرجوها بكلها وصرفوها في مصارفها الشرعية لعالجت الحالة المأساوية والرهيبة والمؤلمة جدا مما يعانيه الفقراء في مجتمعنا الإسلامي والفقراء فئة واسعة في مجتمعنا الإسلامي فئة معانيه انتشار ظاهرة الفقر وأثره السيئ في واقع الحياة كم يترتب عليه من مشاكل اجتماعية ومن مفاسد البعض والعياذ بالله فقرهم دفعهم إلى السرقة والبعض إلى النهب البعض دفعهم فقرهم إلى الانضمام إلى صف الباطل والقتال مع الباطل البعض كاد الفقر أن يكون كفرا في رواية عن الإمام علي عليه السلام (كاد الفقر أن يكون كفرا) البعض دفعهم فقرهم إلى أن يكونوا ضحية لأجندة المنظمات وأعمالها وتلعّباتها البعض يدفع بهم الفقر إلى إحن وعقد كبيرة جدا تجاه الأثرياء وأصحاب الأموال البعض يدفع بهم إلى الجريمة في القتل والنهب والاختلاس البعض يدفع بهم إلى الرذيلة والعياذ بالله وهذا طبعا غير مبرر يعني لا يبرر لهم ذلك لكن البعض قلة إيمانهم إذا أصابه الفقر فهو يدخل في هذه المشكلة كان إخراج الزكاة والعناية بالزكاة يعالج جزءاً من هذه المشكلة ويدفع الكثير من الناس إلى أن يبتعدوا إما عن الرذيلة إما عن السرقة إما عن النهب إما عن النهب إما عن الانضمام إلى صف الباطل إما إلى مشاكل كثيرة اجتماعية كانت ستحلها الزكاة أيضا سهم سبيل الله كان سيمثل رافدا مهما جدا في مساعدة الأمة على الدفاع عن نفسها وعرضها وأرضها وكرامتها وغير ذلك.

التفريط في هذه الفريضة خطير جدا له آثار سيئة جدا في الواقع وعادة الأشياء المهمة في الإسلام أهميتها تتصل بالواقع لأثرها في حياة الناس لتأثيراتها الكبيرة في حياة الناس وإلا فالله غني، غني عن أموالنا بكلها ما الذي ينفعه أو يفيده من الزكاة هو أصلا من يرزقنا من يعطينا هو أصلا من له السماوات والأرض ومن له خزائن السماوات والأرض لكن هذا لمصلحة الإنسان، أيضا كثير من النفوس تدنست كثير من النفوس مرضت بالطمع والشح والجشع والأنانية نتيجة عدم إخراج الزكاة أنت إذا حبست الزكاة أنت تجني على نفسك عدة جنايات أول جناية جناية نفسية يتعاظم فيك مرض الطمع والجشع والهلع والأنانية وهذا له سلبيات كبيرة حتى في راحتك النفسية في سلامتك النفسية في سلامتك الذهنية تصبح إنسانا متوترا جدا وتصبح إنسانا منشدا بشكل غير طبيعي حتى تفقد اتزانك الطبيعي في التعامل مع الناس في التعامل مع الإمكانات مع الممتلكات في حركتك في هذه الحياة إما في العمل الذي تسعى إلى تحصيل الرزق منه أو فيما هناك من إمكانات وثروة وغير ذلك تفقد اتزانك النفسي فتتعذب نفسياً فلو جمعت الدنيا بكلها أو أصبحت ملياردير يصبح لديك مليارات الدولارات تصبح ذلك الإنسان الذي يعيش في واقعه النفسي حالة الأزمة النفسية الهاجس المعذب للنفس في زيادة الطمع والجشع والقلق والتوتر على مسألة المال إخراج الزكاة الإنفاق العطاء الإحسان فعل الخير يترك أثرا إيجابيا في نفسك الطمأنينة راحة سكينة إحساس بالرضا له أثر إيجابي على المستوى النفسي يجعلك إنسانا متزناً في رغباتك في طمعك يخفف من طمعك يا أخي فإذًا الموضوع في غاية الأهمية، أيضا يحملك وزرا وعقوبة وإثم ومعصية كبيرة عند الله سبحانه وتعالى يضرب عليك كل الأعمال الأخرى حتى الصلاة فلا يقبل الله منك صلاتك ولا تحسب لك ولا تكتب لك تحبط أعمالك قضية خطيرة جدا.

كذلك مثلا تجني على الآخرين تجني على الفقراء لأن الله قد جعل ذلك حق لهم وهو أمانة عندك لهم فأنت أخذت ما ليس لك أخذت مالاً لفقير بائس يعاني والبعض من التجار ما شاء الله يكون عنده مليارات مليارات ويتباخل يأخذ حق أولئك، افهم الزكاة هي حق لأولئك لم تعد حقا لك فأنت وصلت إلى درجة من الجشع والطمع أن تأخذ حق كم مّن مسكين البعض جالس في الشارع ما عنده ما يأكل ما عنده وجبة طعام البعض يصل إلى حالة يبكي من الألم والأسى يرى أسرته تتضور جوعا أنت تأكل حقه أنت بتآكل حقه وعندك أموال كثيرة عندك أموال تجزيك وتغنيك قضية خطيرة جدا فأنت تأكل حق المساكين حق الفقراء

وأنت أيضا تتعطل عن الإسهام في مسؤولياتك الأخرى في سبيل الله في مسؤوليات مهمة جدا وهكذا نجد أن المسألة في غاية الأهمية ثم يقول الله سبحانه وتعالى، أيضا ننبه على خطورة أن تصرف في غير مصارفها يعني البعض مثلا يساهم بزكاته في جمعيات تتبع القوى التكفيرية زكاتك تساعد في تمويل عملية تفجير في مسجد يقتلوا المصلين أو عملية تفجير في سوق أو زحف على بلدك وارتكاب تلك الجرائم البشعة والفظيعة بحق شعبك تصبح شريكا في تلك الدماء وسفكها بغير حق في تلك الدماء الأطفال والنساء التي يرتكبها قوى العدوان قضية خطيرة جدا جدا.

[المحاضرات الرمضانية ١٤٣٩ الرابعة]

من مواصفات المؤمنين (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ)

[وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ*إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ *] هذا الموضوع أيضا من أهم المواضيع يتصف المؤمنون بالسلامة الأخلاقية بالعفة بالطهارة بصون النفس عن الحرام وهذه من أهم المسائل خصوصا في هذا الزمن هذا الزمن انتشرت فيه المفاسد الأخلاقية بشكل رهيب جدا وعوامل كثيرة ساعدت على انتشار المفاسد الأخلاقية حتى في أوساط المجتمعات المسلمة تنتشر المفاسد الأخلاقية وتتزايد حالة انتشارها بشكل سيء وفظيع وخطير جدا يهدد الحالة الأخلاقية ويهدد الحالة الأسرية في المجتمع.

أولاً نحن في زمن هناك فيه سعي كبير للأعداء لنشر المفاسد الأخلاقية وهناك في وسائل مساعدة مثلما حصل في ثورة الاتصالات في مواقع التواصل الاجتماعي في أجهزة الاتصالات التي أتاحت حالة من التواصل والتعارف والتلاقي سهلت وصول الناس إلى بعضهم البعض وسهلت لبعض الفاسدين الوصول إلى الآخرين ومحاولة الإغواء لهم والإغراء لهم والتأثير عليهم، أيضا كثرت حالة التبرج وقلة الانضباط في الحشمة في كثير من المجتمعات وحالة التبرج وإبراز الزينة والمفاتن والإغراء حالة سلبية ومدمرة في الساحة العالمية بشكل عام حالة الاختلاط بشكل فوضوي والعلاقات المنفلتة بين الرجال والنساء وهذه تمثل إشكالية كبيرة جدا تصل إلى البعض من الناس إلى الوقوع في الرذيلة والفاحشة والعياذ بالله، عوامل كثيرة خطيرة جدا نهى الله عنها الله سبحانه وتعالى جعل من الصفات الأساسية للمؤمنين

والمؤمنات هي السلامة الأخلاقية الحفاظ على أنفسهم في هذا الجانب والابتعاد عن الرذيلة والفاحشة وصون النفس منها والله سبحانه وتعالى قدم في دينه وفي كتابه الكريم، في التعليمات عن رسوله الكريم ضوابط شرعية تساعد الناس على الالتزام والتقوى وتحصن المجتمع الإسلامي وتحفظ الساحة الإسلامية وتساعد الإنسان على السلامة النفسية والأخلاقية، الضوابط الشرعية في غاية الأهمية الضوابط الشرعية لا يجوز التنكر لها أولا باعتبارها توجيهات من الله سبحانه وتعالى لا يملك أحد حق الاعتراض عليها وإذا جئنا إلى تصنيف من المصيب ومن المخطئ فالمصيب هو الله بالتأكيد إذا أنت عندك وجهة نظر تجاه الضوابط الشرعية تعتبرها غير ضرورية وغير مهمة فأنت أنت المخطئ الله هو أعلم منك الله هو أكثر خبرا منك بالنفسية البشرية والواقع البشري والطبيعة الإنسانية الله هو الأعلم سبحانه وتعالى وأنت لا تمتلك النظرة الكافية تجاه هذه المسألة تجاه النفس البشرية تجاه الواقع البشري تجاه المجتمع الإنساني.

الغريزة الجنسية بين الضوابط الشرعية والمفاسد الأخلاقية

لاحظوا الله سبحانه وتعالى خلق في الإنسان الغريزة الجنسية وجعل هذه الغريزة وسيلة للتناسل حتى يستمر البشر بالتناسل والذرية ووسيلة أيضا تساعد على أن تمثل حالة من الارتباط الأسري ما بين الزوج والزوجة، وسيلة أيضا مساعدة للإنسان لها أثر إيجابي إذا حركت بالشكل الصحيح في الحلال في الحلال إلا على أزواجهم تساعد على أن تسود حالة من العلاقة الإيجابية بين الزوج وزوجته يسكن إلى زوجته وتسكن زوجته إليه يتمتعا جميعا بالذلة والسعادة يعيشان سويا في حالة الرغبة، الانسجام، الراحة، يكون لهذا أثر إيجابي نفسي ويرتاح الإنسان بذلك في نفس الوقت يرزقهم الله الذرية يستمر التناسل في واقع البشر وهذا هو السبيل المحدد شرعا لهذه الغريزة الزواج التحصن الشرعي بحيث يصبح الإنسان يتحرك بهذه الغريزة ويلبي هذه الغريزة ويحرك هذه الغريزة في الاتجاه الصحيح الشرعي المنضبط يرتاح مع زوجته يرتاح بها وترتاح به ويعيشان سويا في سعادة زوجية وحياة زوجية طبيعية كيف ما بدهم بدهم يكثروا بدهم يقللوا، في الحلال ما يغني عن الحرام ولو إن الإنسان يحافظ على صحته ينتبه لصحته ويحاول يبقى له ما يساعده في حياته، لكن الإنسان يخطئ خطأ كبيرا جدا وينزلق انزلاقة

فظيعة سواء رجلا أو امرأة إذا اتجه بهذه الغريزة نحو الحرام هذه كارثة هذه طامة هذه تضرب البنية الاجتماعية التي هي الأسرة التي هي الأسرة والتي يريد الله للزوج والزوجة من خلال هذه الرابطة أن يكونا أسرة ويكوّنا لبنة صالحة في المجتمع هذه كارثة جدا.

أولاً: مفسدة نفسية: الإنسان إذا تدنس والعياذ بالله بالجريمة والفاحشة، نفسه تتدنس يفقد زكاء نفسه تصبح نفسه سيئة خسيسة منحطة تفقد الإحساس بالكرامة تفقد الشعور بالعزة تفقد الشعور بالقدسية تفقد الشعور بالقيمة الإنسانية والمعنوية الإنسانية يصبح الإنسان يحمل نفسية منحطة تافهة دنيئة خسيسة رخيصة لا تستحي من شيء لا تتورع من شيء لا تبالي بشيء يمكن أن يفعل أي شيء مهما كان دنيئاً ضربة نفسية ضربة نفسية رهيبة خطيرة جدا.

ثانيا: النفسية البشرية إذا تدنست ساءت انحطت أصبحت دنيئة خسيسة تافهة حقيرة لم يعد عندها معنىً للكرامة ولا معنى للعزة ولا معنى للسمو ولا معنى للشرف ولا معنىً للعرض ولا معنىً لأي شيء، تصبح قابلة أن تفعل أي شيء مطوعة في يد الطاغوت في يد الشيطان يمكن أن تعمل أي جريمة يمكن أن تتحرك في أي اتجاه خاطئ يمكن أن يكون لها أي موقف سيء في هذه الحياة، هذه مسألة خطيرة جدا.

ثالثا: على مستوى الأمانة لاحظوا بالذات عندما تصل المسألة إلى مرحلة الزواج معنى العفة لا بد منها والذي يتعود على الجريمة ما قبل الزواج يمكن أن يستمر عليها ما بعد الزواج ويمكن ألا يصل إلى مرحلة الزواج إلا وقد تدمرت القيمة النفسية والمعنوية والأخلاقية والإيمانية لديه وفقد إيمانه، في الحالة الإيمانية الإنسان يتمتع بنفسية متماسكة، وإرادة قوية، واقع نفسي منضبط والضوابط الشرعية هي التي تساعده على ذلك هي مع ما يوفقه الله له ويعينه به هذه المسالة مهمة جدا في واقع الحياة الزوجية الخيانة تدمر الحياة الزوجية كيف يكون شعور امرأة اكتشفت أن زوجها خائن، وكيف هو شعور زوج اكتشف أن زوجته خائنة، كارثة طامة مصيبة على أي منهما وخيانة رهيبة جدا لأن الإنسان مؤتمن والزوج مؤتمن أولا ما بينه وبين الله والزوجة ائتمنته وهو كذلك تجاه زوجته يأتمنها تمثل هذه الخيانة خيانة فظيعة جدا جناية كبيرة جدا وشيء رهيب وتدميري يدمر ويفكك الأسر ويحول العلاقة الزوجية إلى علاقة إما هشة ومتوترة جدا ويشوبها الاستياء البالغ جدا والامتعاض الشديد والتذمر الشديد وينعدم فيها الحب والتقدير والوثوق

والاطمئنان، وإما تنتفي نهائيا خلاص تقرح تنتهي هذه المسألة خطيرة جدا والحديث عنها بات ضروريا البعض يقولون لنا اتركوا الحديث عن هذه الأمور، لا، ترك الحديث عن هذه الأمور معناه تتجاهل أشياء تحصل في واقع المجتمع في الساحة العالمية أصبحت بلية منتشرة في الساحة العالمية هناك عمل منظم، شبكات دعارة تتبع الموساد الإسرائيلي وشبكات دعارة تحركها الأنظمة الغربية والأمريكيون بالدرجة الأولى الإدارة الأمريكية المخابرات الأمريكية باتت أسلوبا وحربا في هذا العصر لأن الإنسان الذي يوقع به في الجريمة الأخلاقية يمكن أن يوظف جاسوسا يمكن أن يحرك خائنا يمكن أن يفعل أي شيء آخر خائن خلاص اسمه خائن إذا تمرس على الجريمة والفساد الأخلاقي يصبح إنسانا لا قيمة عنده لشيء يصبح مطوعا في أيديهم لفعل أي شيء.

غض البصر وأهميته في الحفاظ على زكاء النفس

الضوابط الشرعية مهمة جدا لا يمكن أن يتحصن المجتمع المسلم إلا بها، الله سبحانه وتعالى وجه مثلا في سورة النور عدة توجيهات يقول سبحانه وتعالى: (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ) قل للمؤمنين لا تسكت، لا تقل سابر، انفتحوا كيف ما جاء وسابر هذه حضارة إلا| (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ) ليحافظوا على زكاء أنفسهم وعلى طهارتهم وعلى شرفهم وعلى عفتهم (إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) فإذًا من أهم ما يساعد حصانة المجتمع المسلم هو الانتباه للنظر الغض للنظر لا تستخدم بصرك للنظر إلى الحرام لا بشكل مباشر ولا عبر التلفاز ولا عبر مواقع التواصل الاجتماعي ولا مشاهد الفيديو ولا المشاهد المصورة بالتصوير الرقمي أو غيره، اِحفظ بصرك اِحفظ زكاء نفسك سواءً مشاهد خليعة أو مشاهد تبرج مشاهد التبرج هي حالة من الإغراء والإغواء والجاذبية للنفس البشرية والله فطر النفس البشرية أن تكون منجذبة منجذبة إلى حالة الإغراء لأن الرجل بفطرته ينجذب عندما تكون هناك امرأة فاتنة مؤثرة لكن أراد الله أن تكون هذه الحالة بينك وبين زوجتك أن تكون حالة الإغراء لك، الميول للرغبة الجنسية لديك هي زوجتك ولهذا المطلوب من الزوجة شرعا في الشريعة الإسلامية الزوج مأمورة أن تتزين لزوجها أن تتجمل لزوجها أن تسعى لتكون جذابة لزوجها لأن البعض من النساء متعودة دائما مع زوجها يجين بملابس عادية لا تتزين لا تتجمل فإذا كانت ستذهب للاجتماع أو للجلوس مع نساء أخريات حرصت على أن تكون متزينة جدا وأن تتجمل وأن وأن هذا غلط، كم هناك من نصوص عن رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله تحث الزوجة أن تتزين لزوجها أن تسعى لتكون جذابة لزوجها مغرية لزوجها مقنعة لزوجها مستميلة لزوجها متحببة إلى زوجها متودة إلى

زوجها هذا سيترك كبيرا على الزوج ويساعده على العفة وعلى أن يتحصن،وعلى أن يكون بعيدا عن الانحراف.

المسالة الأخرى هي غض البصر عن الحرام، إذا الإنسان يغض بصره عن الحرام سواء إذا خرج إلى الشارع لا يجدونه وراء النسوان متسمر فيهن وإلا كذلك عبر التلفاز هناك قنوات خليعة سيئة يجب أن تقاطع كل القنوات التي تنشر مشاهد إباحية يجب أن تقاطع، كل مواقع التواصل الاجتماعي والمواقع في الانترنت التي تنشر مشاهد إباحية و خليعة يجب أن تقاطع ويحرم شرعا النظر والمشاهدة للمشاهد الإباحية المصورة لأنها مفسدة مدمرة للنفس والأخلاق، والبعض كثير من الناس هم أصلا أصلا لم يصل بهم إلى التورط في جريمة الفساد الأخلاقي إلا ذلك، -يعني- بدأ يرخص لنفسه يشاهد مشاهد مغرية فاتنة مؤثرة، ثم مشاهد خليعة ثم في الأخير يسقط يتورط في الحرام هذا هو حال وتجربة الكثير ممن وقعوا في الرذيلة والفساد الأخلاقي فرطوا أولا في النظر في البصر والبصر كما قال عيسى بن مريم عليه السلام "بريد الزنا" من لا ينضبط فيه من لا يلتزم فيه يدمر زكاء نفسه **(وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ)** صن اِحفظ نفسك في غير الحلال صن نفسك احفظ نفسك للحلال اِتزوّج **(وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)** ما يمكن تتحيل على الله ثم الله خبير بما هو أنفع لك بما يحفظ زكائك لاتقل يا أخي أنا عارف نفسي لن أتأثر شوية أكيّف شوية، لكن ما أنا متأثر حتى اتمحق، إلا باتتمحق. فالله هو الخبير بما تصنع و الرقيب عليك وهو العليم بما يؤثر عليك (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) كذلك المؤمنات إذا المرأة هي تتطلع إلى الرجال تركز فيهم من هو ذلك الوسيم من هو ذلك الجذاب؟ من هو ذلك الذي ترى نفسها منشدة إليه مبهسسة إلى مشاهد وصور أو إلى مشاهد كذلك إغوائية ومثيرة، فالقضية خطيرة عليها ستؤثر عليها كذلك أو مشاهد إباحية أو مشاهد مصورة للجرائم والفساد الأخلاقي جرائم

الفساد الأخلاقي أو أي شكل من ذلك، فكل ماله تأثير من مشاهد إباحية أو مشاهد إغوائية أو مشاهد مثيرة يجب اجتنابه يجب غض البصر عنه كل المشاهد المثيرة والمغرية والإغوائية الإباحية يجب غض البصر عنها وتجنبها ومقاطعتها **(وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)** يصن أنفسهن **(وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ)** للزوج لابأس تتزين أمام زوجها ما تبقي حيلة إما أمام زوجها ما به مشكلة وطبعاً يعني الناس ما المطلوب يعني انه يحتاجوا يتكلفوا في هذا جور يشغلوا نفوسهم

أربعة وعشرين ساعة وهي خلف المرآة متزين ومتجمل |الا| ضمن الحياة يعني مع اهتمامات الحياة الأخرى مع أمور الحياة الأخرى، إلى غير ذلك.

عموماً هذا واحدٍ منها أيضاً مسألة إلى جانب غض النظر غض البصر هناك مسألة العلاقات العلاقات التواصلات التراسلات هذه مسألة خطيرة وضوابطها الشرعية يجب أن تراعى والمسألة فيها خطيرة جداً والبعض وصلوا عبر ذلك إلى الفساد والرذيلة يجب الانتباه تجاه ذلك والحذر هذه مسألة خطيرة جداً خطيرة للغاية ولا بد فيها من الانضباط وتقوى الله سبحانه وتعالى ونحن في شهر كريم يجب أن يتنبه الناس إلى أن يبنوا أمورهم هذا على تقوى الله سبحانهُ وتعالى في حديث عن رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله (لا يزني الزاني وهو مؤمن) لا يزني الزاني وهو مؤمن لا يصل إلى هذه الجريمة والرذيلة إلا وقد فقد إيمانه خلاص عدو الله مجرم فاسق فاجر فجور الزنا حالة فجور الفساد الأخلاقي حالة فجور والشذوذ أيضاً جريمة الشذوذ أسوأ حتى من الزنا وأقبح منها وأعظم جرماً منها، حالة خطيرة جداً على الإنسان **(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ)** شيء لا يمس بشرفك ولا عليك فيه عيب ولا تأثير نفسي شكل سلبي ولا أي شيء نعمة الحلال نعمة **(فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)** هذا تعدي أن تعديت على شيء يتصل بالآخرين وتعدي على حدود الله يعني لاحظ مثلاً الإنسان بفطرته أليس هو يحرص على صيانة عرضه مثلاً أنت تُريد لبنتك العفة والطهارة أنت تُريد لأختك العفة والطهارة أنت تُريد لزوجتك العفة والطهارة وألا تكون خائنة أنت تُريد لقريبتك بأي صفة كانت العفة والطهارة وألا تكون خائنة ولا مجرمة ولا فاسدة أخلاقياً فاحترم نفسك يا أخي احترم نفسك لا تسير على بنت الآخرين، المرأة التي تسعى أنت إلى إفسادها أو الإيقاع بها هي إما زوجة رجل أو أخت إنسان أو بنت إنسان أو تنتمي إلى أسرة أخرى أنت تخدش شرف وكرامة تلك الأسرة بكلها تعتدي على تلك المرأة في شرفها وكرامتها

وتعتدي على شرف أسرة بأكملها تذكر بنت الناس شرفها شرف الناس الآخرين كرامتها كرامة الناس مثل ما أنت غيور على بنتك الآخرين كذلك لا تعتدي على بناتهم، مثلما أنت غيور على أختك لا تعتدي على أي أخت إنسان آخر مثل ما أنت غيور على زوجتك لا تعتدي على زوجة أي إنسان آخر جريمة فظيعة وقبيحة وشنيعة ثم أنت تتعدى حداً من حدود الله التي عقابها في الوعيد القرآني هو النار والله يقول: **(وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ**

الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا) يهينك الله يهينك الله في جهنم على هذه الجريمة قضية خطيرة يجب أن يتحصن الناس منها وأن يلاحظوا الضوابط الشرعية يلاحظوا الضوابط الشرعية التي تساعد على العفة على الحصانة على الشرف على السمو.

الأمانة.. الصفة الإيمانية الجذابة

يقول الله سبحانه وتعالى في مواصفات عباده المؤمنين: (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) وأيضا هذه الصفة من الصفات الإيمانية والإنسانية والجذابة في واقع الحياة الأمانة ثم الأمانة ثم الأمانة أن يرعى الإنسان أمانته، هذا يشمل أمور كثيرة أولا ما تؤتمن عليه من ودائع، الإنسان وضع عندك وديعة له ائتمنك عليها سواء كانت بشكل وديعة أو بأي شكل، كل ما تؤتمن عليه من أشياء مادية مثلا سلمت إليك مال أغراض أي شيء وأصبح عندك أمانة بأي شكل من الأشكال وديعة أو غير وديعة، فترعى هذه الأمانة لا تخن في تلك الأمانة لا تحاول أن تسرق منها شيئا أو تخفي منها شيئا أو أن تضيع منها شيئا أو أن تتعمد التفريط فيها فرعاية الأمانة مسألة مهمة جدا والأمانة في الإسلام لها عنوان واسع وهي من أوسع العناوين من أوسع العناوين فتشمل المسؤولية بكلها في كل ما يؤتمن الإنسان عليه، كل ما تؤتمن عليه أن مؤتمن في منصب منصب بأي شكل من الأشكال بأي اختصاص كان هذا المنصب أو هذا الموقع، أنت مؤتمن على مال أنت مؤتمن في مهمة عملية أنت مؤتمن على دور معين، أنت أمام هذه أولا ما بيننا وبين الله فيما ائتمننا عليه الله سبحانه وتعالى خلقك في هذه الحياة وأماناته عندك أمانات كثيرة كل ما خولك الله وأعطاك هو أمانة عندك هل أنت ترعى هذه الأمانة؟ أعطاك الله ما أعطاك في نفسك ما أعطاك في جوارحك ما أعطاك في حواسك هذه أمانة عندك هل أنت ترعى هذه الأمانة أم أنت تخونه فيها فتستخدمها فيما هو معصية لله سبحانه وتعالى، النظر البصر أمانة عندك تستخدمه في أشياء محددة، يخدمك في هذه الحياة في سعيك فيها فيما يفيد دينك ودنياك ضمن ضوابط شرعية أنت عندما تستخدمه في أشياء محرمة تخون هذه الأمانة سمعك كذلك لسانك والنطق كذلك جوارحك وأعضاؤك كل ما أعطاك الله الطاقة الذهنية البدنية الذكاء الفهم كل ما أعطاك الله ائتمنك فيه وأذن لك في حدود الاستخدام ضمن ضوابط

هناك حلال وهناك حرام احترم حلال الله وحرامه لا تتعدى لا تتجاوز ثم في واقع هذه الحياة، المسؤوليات بكل أشكالها وأنواعها أمانة، المسؤوليات في الدولة أمانة

مسؤولية أمنية مسؤولية إدارية مسؤولية خدمية مسؤولية بأي شكل من الأشكال كل مواقع المسؤولية هي أمانة، لا تخن فيها بأي شكل من أشكال الخيانة الفساد المالي خيانة العبث خيانة الإهمال والتفريط خيانة عدم القيام بالواجب الذي يتحتم عليك ولم تبذل في استطاعتك وفرطت في ذلك خيانة وهكذا استغلال السلطة في المنافع الشخصية والإضرار بالآخرين ومخادعة الشعب والظلم للناس خيانة ومساس بالأمانة وهكذا في أي موقع من مواقع المسؤولية ممارسة الظلم إذا أنت مسؤول أمني أو في عمل أمني ممارستك للظلم من خلال موقعك في المسؤولية خيانة ومساس بالأمانة، والمسؤوليات المالية والمسؤوليات التي بيدك فيها أي شيء إما صلاحيات معينة أو إمكانات معينة استخدامها خارج ذلك الإطار وفيما يضر ويتعارض مع مسؤولياتك وواجباتك خيانة.

جانب الأمانة نحتاج إليها في كل شيء فيما أنت مستأجر فيه مثلا فيما بيدك، فرعاية الأمانة مسؤولية كبيرة جدا وعلى مجتمعنا المسلم أن يتثقف بها، الذي يبتاع ويشتري بحاجة إلى الأمانة حتى في المعاملة لا يغش لا يخدع الناس لا يكذب عليهم في المعاملة وإلا فهي خيانة ولم يرعى أمانته في ذلك وما أؤتمن عليه في ذلك، إذا نقص إذا بخس إذا خادع بأي شكل من أشكال المخادعة في المعاملة خيانة يرعى الإنسان أمانته في كل ما يؤتمن فيه كل ما بيده وكل ما عليه من الأمانات وهذه مسألة مهمة أن يتثقف الناس بها وأن يركزوا عليها وأن يتربوا عليها.

رعاية العهد كذلك، رعاية العهد، العهد هو تأكيد للالتزام، أحيانا يكون بين الناس التزامات معينة أو اتفاقات معينة أو وعود معينة فيما بينهم والتزامات متبادلة يؤكدونها بالعهد، والعهد مسألة مهمة جدا والتفريط فيه خطير جدا (وكان عهد الله مسؤولا) العهد معناه أنك تجعل الله كفيلا عليك، وتحاول أن تعزز الثقة والاطمئنان لدى الآخر بهذه الطريقة تقول له أنا أعاهدك بالله أو لك عهد الله أو ما شاكل ذلك، فأنت حينما تعاهد أنت تؤكد التزامك بما بينك وبين آخر من خلال أنك تكفل الله عليك في الشاهد هو كفيل بأن تكون ملتزما بذلك الالتزام فلابد أن ترعى عهدك وهذا مطلوب يعني كيانات أفراد جهات أشخاص إلى آخرة. وأن يكون هذا بالحق ما تعاهد على حرام ما يجوز لك أصلا تعاهد على فعل حرام وإلا على نصرة باطل ما يجوز لك أصلا يحرم عليك هذا.

المحافظة على الصلاة من أبرز صفات المؤمنين

(والذين هم على صلاتهم يحافظون) بدأ بالصلاة وختم بالصلاة بدأ بالخشوع فيها وأتم بالمحافظة عليها المحافظة عليها في كل الأحوال والظروف إذا أنت مسافر إذا أنت مريض، طبعا البعض من الناس وقد جعل الله لكل ظروف ما يناسبها صلاة المريض إذا لم يستطع من قيام يمكنه أن يصلي من قعود إذا لم يستطع من قعود يمكنه مضطجعا إلى آخره في كل الحالات في حالة الخوف كل الحالات في الشرع الإسلامي تفاصيل عن كيفية المحافظة على الصلاة فيها، لكن المشكلة الكبيرة جدا والمنتشرة لدى الكثير من الناس التفريط في المحافظة على الصلاة لأسباب ثانية لا مرض ولا خوف ولا أي شيء من الأعذار الشرعية التي لها أيضا ما يناسبها ويساعد على الصلاة فيها والحفاظ على الصلاة فيها، البعض من الناس مثلا يعتادون بالذات في صلاة الفجر يعتادون السهر في فترات طويلة لغير موجب لغير موجب، البعض في حالة عبثية، البعض وهم يشاهدون التلفاز أو المسلسلات أو على ألعاب الكترونية أو لأي أشياء عابثة وتافهة في حالة من الضياع وإهدار الوقت وإهدار العمر وإهدار الحياة وتضييعها، أومسامرة باللغو بالكلام الذي لا قيمة له لا أهمية له لا ضرورة له، ثم لا ينامون إلا في وقت متأخر من الليل -هذا طبعا في غير شهر رمضان- فيأتي وقت صلاة الفجر فلا يستطيعون النهوض لصلاة الفجر فلا يُصلّون إلا في وقت متأخر والبعض يتركها نهائيا، بعد أن يفوت وقتها وقت صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أول ما تطلع الشمس خلاص فات وقتها وخرج وقتها واعتبرت إذا كان ذلك بتقصير منك مفرطا بها ومضيعا لها، ولربما صلاة الفجر يعني هي ضحية أكثر من غيرها من الصلوات البعض أيضا صلاة المغرب والعشاء يؤخرونها لغير ضرورة ولربما البعض لظروف عملية معينة من أجواء العمل والعمال قد كذلك يقصرون فيما يتعلق في صلاة الظهر والعصر

ولكن المؤمن حقا الذي هو مؤمن بالله يخاف من الله سبحانه وتعالى ويعي قيمة الصلاة أهمية الصلاة أثر الصلاة في نفسه وحياته وفي رعاية الله له، سيحرص أن لا يفرط ولن يتعمد التفريط ولن يتعمد الاستمرار على ما يؤدي إلى ضياع صلاته، لأنك إذا أضعتها عن وقتها فأنت أضعتها وإذا أنت متعمد لهذه الإضاعة فعليك وزر كبير وأنت مفرط تفريط كبير وقاطع للصلاة تارك للصلاة، لأن المطلوب أن نؤديها في أوقاتها إذا خرج وقتها خلاص إذا ما عاد بتصلي الفجر دائما إلا بعد طلوع الشمس إلا في منتصف النهار إلا في وقت متأخر مشكلة كبيرة جدا والاستمرار عليها والاعتياد لها يدل على انعدام للإيمان ما أنت مؤمن أبدا إذا أنت متعود

ومستمر دائما قد تطرأ لك ظروف معينة حالات نادرة حالات استثنائية لها اعتبارها لكن أما حالة اعتيادية مستمر عليها فهذه جريمة بكل ما تعنيه الكلمة وانعدام لحالة الإيمان.

السهر غير المبرر وآثاره السلبية

لاحظوا لا ينبغي أن يتعود الإنسان على السهر لغير ضرورة لغير حاجة عملية فقط مسامرة كلام وهذفة وهدرة ومجبر هذا لغو، أو متابعة مسلسلات وأشياء سخيفة أو لعب الكترونية وهكذا كل الأشياء التافهة التي هي مضيعة للعمر والحياة والوقت ولها تأثيراتها السلبية في نفسية الإنسان وفي حياته وفي عمله، البعض من الناس أيضا بسبب اعتيادهم لهذا السهر الذي لا ضرورة له لا ضرورة عملية له يضيعون أوقات طويلة من النهار معظم النهار حتى عن أعمالهم في هذه الحياة وعن مسؤولياتهم في هذه الحياة البعض قد يكون موظف في الدولة ما يذهب للدوام إلا في وقت متأخر يسرح لك من الساعة العاشرة والنصف أو الساعة الحادية عشر يداوم نصف ساعة أو ساعة أي دوام هذا؟ إيش عاد با تنفع الناس به في نصف ساعة ويهب لك الساعة الثانية عشر وهكذا، البعض من الناس في مسؤوليات أخرى في هذه الحياة مسؤوليات وأعمال مهمة يجلسون كذلك للسهر والبعض أيضا مدمنون على الإطالة في تخزينة القات عندنا في اليمن يجلس يخزن فترات طويلة جدا، أما هذا فأيضا يؤثر على أعصابه وعلى نفسيته ويرهق نفسه جدا ويصبح إنسانا غير طبيعي في هذه الحياة، لا حالته الانفعالية متزنة ولا وضعه النفسي متزن ولا حالته العصبية متزنة ولا أي شيء فيه متزن، ويقصر، يقصر تجاه أسرته، يقصر أيضا تجاه مسؤولياته في هذه الحياة أعماله في هذه الحياة حتى أن البعض يصبح عبئا على أسرته يعني يجوهو في أسرة معينة ما عاد يعمل لها أي شيء مرقد إلى ظهر ويستيقظ في وقت الظهر في حالة من الغضب والانفعال والتذمر والتوحش على حسب التعبير المحلي نفسه في رأس أنفه ولا أحد يقترب منه ويتسلقوه حتى أنه يخرج يشتري له شوية قات ويرجع يتغدى ويخزن، هذه ظاهر سيئة جدا في بعض المجتمعات ولدى بعض الناس.

فالعناية بصلاة الفجر حتى أوقات الصلوات هي تساعد على جو من الانتعاش وانتظام الحياة إذا أنت تنام بشكل طبيعي ويستيقظ مبكرا وتؤدي صلاة الفجر هذا يساعدك على أن تستقبل يومك بطريقة عملية ونشيطة وصحية وفعالة،

وبطاقة جيدة اكتسبتها من أنك نمت بشكل طبيعي استيقظت بشكل مبكر يعطيك فرصة للعمل في هذه الحياة فيما يتعلق بمسؤوليات الأسرية العامة الأعمال والمسؤوليات بأي شكل من الأشكال تتحرك بطاقة جيدة، فالمؤمنون يحافظون على صلواتهم ولا يفرطون بها وإلا فالإنسان غير مؤمن هذا الخلاصة، فقد إيمانه إذا هو لا يحافظ على صلاته لأن هذه من صفاتهم **(أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)** هناك مستقبل يضمنه الإنسان أعظم من هذا المستقبل؟! كل من يقولون نريد أن نسعى لضمان مستقبلنا وتأمين مستقبلنا، هذا هو المستقبل العظيم.

الذين يرثون الفردوس أعمال اهتمامات التزامات هذه نتيجتها أنت مستفيد منها في هذه الحياة حتى نفسيا وفي حياتك ومستقبلها في الآخرة هذا المستقبل العظيم الجنة وبساتين الجنة ومزارع الجنة ومساكن الجنة والنعيم الأبدي الذي لا نهاية له أليس هذا شيئا مهما وجذابا؟ بلى. شيء جذاب جدا يعني ترتاح به في الحياة تسمو به في الحياة تشرف به في الحياة له أثر وعائد إيجابي على نفسيتك على مشاعرك على واقع حياتك بكله وتسلم به من عذاب الله وتفوز من خلاله بجنة الله الجنة الدائمة، طبعا هذه الصفات البارزة هنا في هذه الآية هي تساعد في بقية الأمور امتداداتها إلى شتى حياة الإنسان إلى شتى المجالات في حياة الإنسان.

عباد الرحمن وحركتهم في الحياة

يقول الله سبحانه وتعالى: (**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**)، آيات مباركة في سورة الفرقان، يقدم فيها القرآن الكريم مجموعة من المواصفات المهمة والالتزامات لهذه الفئة المؤمنة الراقية التي تجسدت في واقع حياتها وتجلت في سلوكياتها وأعمالها وتصرفاتها أخلاق هذا الدين، تعاليم هذا الدين توجيهات الله سبحانه وتعالى، وهذا دور أساسي للإنسان المسلم، لصلاح حياته ولصلاح حياة المجتمع الإسلامي بكله، وليكون واقعا جذابا أمام بقية البشر، ليعرفوا من خلاله قيمة هذا الدين وأثر هذا الدين في نفسية الإنسان في سلوكه، في تصرفاته في أعماله، في التزاماته، و **(عباد الرحمن)**، يتحدث القرآن دائما عن الفئة المؤمنة الصادقة بتعبيرات متعددة يصفهم وكلها تنطبق عليها باعتبار معين، فهم المؤمنون مثلما تقدم، **(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون)**، والذين إلى آخر الآيات، وهذا باعتبار الإيمان، وهم المتقون، مثلما يأتي

الحديث عنهم كثيرا تحت هذا العنوان وبهذه الصفة، لأن التقوى هي ثمرة الإيمان وهي لازمة للإيمان وهي في نفس الوقت صفة مهمة وعظيمة وجذابة ونتاج مهم، للإيمان أثرها على حياة الإنسان ولصالح الإنسان في الدنيا والآخرة، هنا يتحدث عنهم بهذه الصفة العظيمة والمميزة، **(وعباد الرحمن)**، أولياؤه المختصون بتعبيد أنفسهم له، الذين التزموا بهديه وتعليماته، يتصفون بمواصفات معينة، وكما قلنا في كل عرض قرآني يقدم نماذج رئيسية تدل على ما وراءها، ويلزم من الالتزام بها تحقيق بقية الصفات، لكن لإبراز أهمية الصفات في عرض معين مثلا في سورة المؤمنون يقدم عرضا لصفات رئيسية ليبرزها وهي تدل على ما وراءها ولا تتحقق إلا ويكتمل معها بقية الصفات، في أول سورة البقرة يعرض كذلك نماذج رئيسية معينة من الصفات المهمة جدا، وأحيانا في كل عرض يعني له أيضا سياق، له دلالة بارزة بأكثر من السياق الآخر، تجد في صفات المتقين في أول سورة البقرة أن السمة البارزة هي طبيعة علاقتهم بالقرآن الكريم بهدى الله، بالكتاب الإلهي، وهي صفات إيمانية وصفات تقوى، وفي سورة المؤمنون صفات تعبر بشكل رئيسي جدا عن الحالة الإيمانية التي يعيشونها، نجد هنا في هذه المواصفات ما يعبر عن تعبيد أنفسهم لله سبحانه وتعالى فيما هم عليه من هذا الشعور وهذا الإحساس الذي تجلى وظهر في سلوكهم وفي أعمالهم وفي تصرفاتهم.

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا)، هذا الجانب من صفات المؤمنين من صفات المتقين، من صفات عباد الله الأولياء الأتقياء هو جانب رئيسي جدا، وهو يتصل بحركتهم في الحياة أنها سليمة من كل أشكال التكبر والخيلاء، وهذا جانب مهم يحتاج المجتمع المسلم إلى هذه التربية، هو في أمس الحاجة إلى هذه التربية، في حركتنا في الحياة، ونحن نذهب ونحن نجيء ونحن نمشي ونحن نتحرك بين أوساط الناس، بين أوساط المجتمع، كيف ينبغي أن تكون حركتك هذه؟ حتى هذا الجانب السلوكي يركز عليه القرآن الكريم تركيزا كبيرا، كل حركات الإنسان هي تعبير عن نفسيته، كل حركات الإنسان، سلوكك يعبر عن نفسيتك، إذا كانت هذه النفسية نفسية صالحة زكية تكون تصرفاتك وأعمالك زكية صالحة، إذا كانت نفسك مدنسة وتجذر فيها الخبث واللؤم يمتد ذلك إلى واقعك السلوكي إلى تصرفاتك إلى أعمالك والعياذ بالله.

ضبط الحالة النفسية أولاً

الله سبحانه وتعالى في هذه السورة سورة الفرقان، وفي سور أخرى مثلما ورد في سورة الإسراء، ومثلما ورد أيضا في سورة لقمان، ومثلما ورد في سور أخرى من القرآن الكريم، سور متعددة، ركز على ضبط الحالة النفسية أولا، الحالة النفسية أن تكون مشاعرك أنت كإنسان نقية، نظيفة سليمة من مشاعر التكبر والغرور والعجب بالنفس، والخيلاء، وهذا يتصل بمعالجته، أو يتجه إلى معالجته كثير من النصوص القرآنية التي تعلم الإنسان حقيقته، أنك مخلوق ضعيف عاجز، جاهل، وأنك تحتاج دائما إلى رعاية الله إلى لطف الله إلى توفيق الله وهداية الله، وأنه لا حول لك ولا قوة إلا بالله، وأنه لا توفيق لك إلا بالله، الذي عندك هو العجز، مخلوق عاجز، لا حول لك ولا قوة إلا بالله، ولا قدرة لك إلا بقدر ما يعطيك الله من القدرة، وما يهيئه لك وما يمكنك فيه، وأنك جاهل، أخرجك من بطن أمك لا تعلم شيئا على الإطلاق، **(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا)**

ثم لا تكسب من المعرفة في هذه الحياة وبالذات المعارف الحقيقية إلا بقدر ما يهيئ لك، ينعم عليك يمكنك، وإلا فقد تبقى جاهلا جهلا إما جهلا بسيطا، يعني جهل مباشر بالأمور ما عندك معرفة اصلا، وإما جهلا مركبا، والجهل المركب أخطر من الجهل البسيط، لأن الجهل المركب هو جهل بالشيء، وجهل بأنك تجهل به، فأنت تتصور أنك تعرفه من خلال معلومات مغلوطة ونظرة مغلوطة، تتصور الشيء على خلاف ما هو عليه، عندك عقيدة في مسألة معينة أنها كذا وكذا وكذا، وليست كذلك، فها هنا جهلان، جهل بأصل الشيء وجهل أيضا بأنك تجهل، لأنك تتصور أنك تعرف، وهذا جهل الطبقة المثقفة والجهل لدى العلماء، بعض العلماء يعني، والجهل لدى المثقفين، هو الجهل المركب، يقول الشاعر معلقا على ذلك:

قال حمار الحكيم يوما لو أنصف الدهر ما كنت أُركَب

لأني جاهل بسيط وصاحبي جاهل مركب

فالإنسان عندما يكون جاهلا وجاهلا بجهله مشكلة يعني هذه، يتعصب، نظرة مغلوطة وفهم مغلوط عن الأمور، لا تغلط في معرفة حقيقة نفسك، هذا أكبر الجهل، الإنسان الذي لا يعرف نفسه، إذا أنت لا تعرف نفسك ولا تعرف حقيقتك، ولا تعرف أصل خلقك وفطرتك، وعندك نظرة مغلوطة تجاه نفسك خرجت بك عن الطور الإنساني، عن التواضع الإنساني تصور نفسك مخلوقا رهيبا، جبارا،

عظيما، تشعر بالخيلاء والكبر والفخر والغرور والعجب بالنفس وتنسى الله، تنسى نعمته، تنسى فضله تنسى أنك إن حصلت واكتسبت، أو توفر لك شيء من الصفات الحميدة أو من المواصفات الكمالية البشرية فإنما كان بتوفيق الله، إنما كان بعطاء الله، إنما كان بفضل الله سبحانه وتعالى، فتتجه إلى الله شاكرا حامدا، تأمل منه المزيد من فضله، سواء النعم المعنوية، إذا أعطاك الله ذكاء إذا أعطاك الله معرفة، إذا أعطاك الله أي شيء معنوي وهو جانب مهم جدا، أو الأمور المادية، إذا مكنك الله نعم مادية معينة، ثروة، مال، إمكانات معينة، أو وجاهة في أوساط الناس وهي تعود إلى الجانب المعنوي تدرك نعمة الله عليك وأنك في أصلك أنت العجز، أنت الضعف أنت الجهل، أنت اللا شيء، إنما بالله سبحانه وتعالى وبما أعطاك الله لا تغتر بنفسك، لا تتكبر، لا تتكبر، لا تشعر بأنك بت الأكبر من الآخرين، الأعلى فوق الآخرين، الأعظم من الآخرين، الأهم من الآخرين ثم تتجه نظرتك نحو الآخرين بالاحتقار، والاستخفاف، والاستهانة بهم، تفتخر على ذلك الإنسان لماذا؟ لأنك أثرى منه، هو فقير وأنت غني، هذه جريمة خطيرة جدا، غناك أو ثروتك لا تمثل قيمة، لا تمثل قيمة لك في الاعتبارات الإلهية، يمكن أن يكون ذلك الفقير أعلى منزلة عند الله منك، أرقى رتبة عند الله منك، أعظم شأنا عند الله منك، وأن يكون مستقره في الجنة أعظم منك إن لم تكن إلى النار والعياذ بالله.

مقياس العظمة في الميزان الإلهي

لا تفتخر بنسبك على الآخرين، بأي نسب، أي نسب تنتمي إليه، ربما ذاك الذي ترى في نسبه أنه أدنى من نسبك يكون هو عند الله سبحانه وتعالى أعلى منزلة وأقرب إلى الله سبحانه وتعالى وأقرب إلى أنبيائه وأوليائه وربما يكون مستقره في الجنة خير منك إن لم تكن في النار، وربما يمتلك من الرصيد الأخلاقي والقيمي والمعرفي بأكثر مما تمتلك أنت، فلا ينفعك نسبك بشيء وأنت مفلس، مفلس في علاقتك بالله سبحانه وتعالى، ولا تمتلك ذلك الرصيد الأخلاقي والقيمي والمعرفي والعملي، "قيمة كل امرئ ما يحسنه" قال الإمام علي عليه السلام، لن تكون قيمتك في نسبك ولن تكون قيمتك في ثروتك ولن تكون قيمتك بأي من هذه الاعتبارات إذا أنت تفتخر على الآخر باعتبار منصبك أن لديك منصبا معينا إما منصب في الدولة أنت وزير أنت رئيس أنت مسؤول أنت مدير أنت بأي صفة أنت ضابط أنت في أي موقع من مواقع المسؤولية لا تتكبر لا تتكبر على الآخرين لأن

الذي أنت فيه هو عبارة عن مسؤولية تكون فيها خادما لأولئك الآخرين هذا هو حقيقة دورك هذا هو حقيقة دورك المسؤوليات كلها في هذه الحياة نكون فيها في موقع الخدمة نقدم الخدمة للآخرين وليس للاستعلاء التكبر والغطرسة عليهم حتى المقام الديني المقام الديني لا يسمح الله ولا يأذن الله لأن يكون وسيلة للتكبر على الآخرين أو الغرور والعجب أنت إمام مسجد أنت خطيب أنت إنسان معروف بالتدين والالتزام أنت بصفة عالم ديني أنت بصفة بأي صفة بأي صفة أنت بأي صفة أنت المقام الديني هو مقام خضوع لله وتواضع لعباده وإحسان إلى عباده وتقدير لقيمة الناس أعظم الناس دينا هو الأكثر إدراكا لقيمة المجتمع الإنساني لقيمة هذا الإنسان هو الأكثر احتراما للناس أكثر اهتماما بأمر الناس الأحرص على صلاح الناس وعلى عزة الناس وعلى كرامتهم، في المقامات الدينية أرقى مقام أعظم مقام أعلى مقام هو مقام من وهو المستوى الذي وصل إليه من؟ رسول الله محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله هذا أعلى مقام رسول الله محمد بن عبد الله مقام الرسالة الذي هو أعلى مقام في المسؤوليات الدينية والمقامات الدينية وهو خاتم المرسلين وسيد المرسلين ثم هو في أعلى مقام في هذا السلم سلم الرسالة سلم الكمال في موقعه في الرسالة وفي موقعه الإيماني أعلى مقام وصل إليه البشر في مكارم أخلاقه في سموه كإنسان في ما يمتلك من قيم وأخلاق في رصيده العملي وتأثيره في الساحة وتأثيره الإيجابي هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منزلته عند الله في كمالاته أذكى إنسان هو رسول الله محمد أعظم إنسان في شجاعته في قوته في كرمه في كمال نفسه في كل عناصر السمو وفي كل مكارم الأخلاق وكل حميد الصفات هو رسول الله محمد صلوات الله عليه وعلى آله كيف قال الله له {وَاخفِض جَناحَكَ لِلمُؤمِنينَ} [الحجر: ٨٨] اخفض جناحك كن متواضعاً لهم كل لين الجانب إليهم هو في نفسه كيف كان يقول الله {فَبِما رَحمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُم وَلَو كُنتَ فَظًّا غَليظَ القَلبِ لَانفَضّوا مِن حَولِكَ} [آل عمران: ١٥٩] لانفضوا من حولك {فَاعفُ عَنهُم وَاستَغفِر لَهُم وَشاوِرهُم فِي الأَمرِ} [آل عمران: ١٥٩] ما معنى إذا أنت مثلا بصفة عالم أو متدين تأتي إلى الآخرين مترفعاً عليهم متعاظما عليهم متساميًا فوقهم تسيء إليهم تحتقرهم تعتبر الناس لا شيء أمامك لا، كيف كانت الروحية والسلوك لدى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله تجاه الناس {لَقَد جاءَكُم رَسولٌ مِن أَنفُسِكُم عَزيزٌ عَلَيهِ ما عَنِتُّم حَريصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنينَ رَءوفٌ رَحيمٌ} [التوبة:١٢٨] بالمؤمنين رءوف رحيم الرأفة الرحمة الحنان التواضع يعز عليه ويؤلمه أن يلحق بكم العناء أن تلحق بكم المشقة أن يلحق بكم الضرر.

فأي مقام أنت فيه وأي نعمة أعطاك الله سبحانه وتعالى لا ينبغي أن يكون أثرها في نفسك حالة من الكبرياء والغرور والعجب بالنفس أحرص أولا أن تدرك إنما هي نعمة من الله وأن ذلك كان بفضل من الله سبحانه وتعالى وإلا فأنت العجز وأنت الضعف وأنت الجهل وأنت اللاشيء، بدون الله أنت لا شيء، ثم لتعي جيدا أن كل ما أعطاك الله يترتب عليه مسؤوليات يترتب عليه مسؤوليات أعطاك ذكاء هذا يترتب عليه مسؤولية أعطاك مالا هذا يترتب عليه مسؤولية أعطاك وجاهه هذا يترتب عليه مسؤولية أعطاك كذا كل نعم الله سبحانه وتعالى هي نعم يترتب عليها مسؤوليات ليست عبثية ما أعطاك كذيّهْ من دون شيء بل لتكون مسؤولا بما أعطاك كيف تتحرك بما أعطاك فيما فيه مصلحة لك فيما فيه خير لك وفيما فيه مصلحة للأمة من حولك المؤمنين من حولك وتتجه بما أعطاك لتفعله بشكل صحيح وفي الاتجاه الصحيح وليس في معصية الله وليس في التكبر على عباد الله هذه مسألة مهمة جدا بل في غاية الأهمية ثم أن تدرك أيضا نقاط ضعفك جوانب القصور لديك لأن البعض لم يعد يلتفت إلى أنه مهما كان مهما امتلك مهما بلغ مهما تحقق له لا يزال لدى الإنسان دائما ودائما ودائما نقاط ضعف جوانب قصور جوانب خلل جوانب تقصير ليعرف حقيقة نفسه ومقدار نفسه فلا يتكبر على الآخرين.

"واقصد في مشيك"

ثم في حركتك حتى في مشيك في الأرض أسلوب التعامل مع الآخرين والحركة بين الآخرين كيف تكون معبرا عن كريم أخلاقك عن صفاتك الطيبة والحسنة لا تتكبر على الآخرين مثلا الآن زمن السيارات أولا قبل أن ندخل في مسألة السيارات أسلوبك في المشي لا تتعاظم أسلوبك في التخاطب والتعامل مع الآخرين لا تتعالى عليهم {ولا تصعر خدك للناس} [لقمان: ١٨] إذا أحد بيتحدث معك ويتكلم معك ويتبادل الحديث معك تجي أنت تشيح بوجهك عنه كذا وتلقي له خدك اقبل إليه من يتخاطب معك من يتحدث معك أقبل إليه التفت إليه هذا نهى الله سبحانه وتعالى في سورة لقمان { **ولا تصعر خدك للناس**} [لقمان: ١٨] الخد شق الوجه هذا خد وهذا خد لا تصعره لا تمله هكذا وتشيح بوجهك عنه حضرتك مسؤول ولا تاجر ولا متضيخم يعني بتقدر أيش قد أنت ما عاد تتنازل بتعتبر الذي يتحدث إليك إنسان مسكين وأنت عسر وضخم إما أنك وإما أنك تفتخر بمقام أو بمنصب أو بأي شيء فلا تلتفت إليه وهو يتحدث معك.

أسلوبك في الحركة في المشي لا تجيء تحاول تفتح يدينك وتطلع صدرك زيادة وتقعر رأسك حتى ما عاد تستضي القاع وأنت متضيخم خليك يا أخي انظر أنظر إلى الأرض أنت من هذه الأرض وأنت في هذه الأرض لا تتحول إلى إنسان في أسلوبه وفي حركته وتتبختر في مشيك حالة من التبختر والخيلاء تعبر فيها عن أنك شيء عجيب في هذه الدنيا لا، هذا غير لائق أبدا تمشي بتواضع بشكل طبيعي، كذلك في حركة السيارات وما أدراك ما حركة السيارات إذا أنت إما أن معك سيارة ضخمة لا تنخط بسيارتك الضخمة وفي الآخر موديل، ولا التي هي من نوعية فارهة وغالية الثمن وو إلى آخره، أو أنك ذو منصب معين أو مقام معين فتتحرك بشكل يعبر عن حالة من النخيط والتكبر والغرور تدخل السوق ولا الأماكن المزدحمة أو المدينة أو الشارع ازدحم والناس يتطايروا من قدامك لا تصدمهم حضرتك مسرع وبشكل يعني السلوكيات هذه معروفة السلوكيات التي تعبر عن حالة تكبر أو حالة غرور أو حالة ازدهاء في النفس أو بالإمكانات لا مبالاة بالناس وعسارة عليهم ومدري أيش هذه حركات سيئة من أي كانت من أي كان، لاحظوا نحن نفترض في حركه الإنسان في الحياة سواء في سيارة أو وهو يمشي أن يكون طبيعيا في ذلك يمشي بشكل طبيعي أو بحسب ما يقتضيه الحال مثلا نتفهم بسرعة الإنسان أسرع لأنه معه مريض أو معه جريح وهو بيسعفه حالة طارئة عنده حالة طارئة وبالتالي هو حريص أن يبادر لإسعاف هذا المريض أو هذا المريض أو الجريح ما يشتي له حتى المقصود في النص القرآني ليس المقصود أنك قد با تتبطل في حركتك وتتمسكن لا الحالة الطبيعية مثلما قال الله تعالى {واقصد في مشيك} [لقمان: ١٩] حالة طبيعية امشي بحالة طبيعية لأنك تتبختر أو بشكل عنيف أو بشكل يعبر عن غرور أو ازدهاء أو كبرياء أو احتقار للناس ولا أنك بشكل متمسكن ومتبهطل وحالتك حالة من يراك يرحمك ولا يغثاك يقل ويش مال هذا كذا متخيضع زيادة، الحركة الطبيعية التي هي قصد عدل، عدل في الأمور وبمقتضى الحال، صحيح مثلا حالة قصف حالة حرب الذي عليه قصف يضطر يعني يسابق أكيد ما هو سابر يمشي هونا وبسكينة وتأني فتجي له قذيفة وهو وسيارته فالأمور أو ما يقتضيه الحال هذا له حكمه ما يقتضيه الحال حال المرض حال سرعة من أجل مبادرة لإنجاز شيء وليس سرعة جنونية لأن السرعة الجنونية تتسبب بحوادث سير وحوادث مؤلمة ومأساوية وكارثية كم في العالم يحصل من حالة وفيات نتيجة السرعة الجنونية وغير المتزنة والإفراط هذا أثر على الناس، {الذين يمشون على الأرض هونا} [الفرقان:٦٣] يعني بسكينة وبوقار وبشكل سليم من أشكال التكبر والخيلاء والغرور.

ونجد في قول الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء {ولا تمش في الأرض مرحا إنك

لن تخرق الأرض} [الإسراء: ٣٧] لا تتعيسر وتتضيخم وتتكبر أنت ما أنت خازق للدنيا هذه أيش با تجي عليه لو تدعس بهمة وقوة من يسبر حتى تكتسر رجلك تكتسر رجلك والدنيا سليمة اعرف حقيقتك اعرف قدرك إنسان مسكين قدراتك محدودة **{ولن تبلغ الجبال طولا}** [الإسراء: ٣٧] ما أنت جايي مثل الجبل يكون حجمك مثل حجم الجبل تتضيخم وتتعيسر أحيانا بعض الجبال بيجي عرضها -في السكان- عندنا في اليمن يقل لك جبل رازح، جبل كذا، جبل ١٥٠ ألف نسمة ساكنين في جبل واحد ما قد غطوه عاد فيه مساحات فراغ وكل إنسان كيف بيكون عرض الجبل صغير جدا الإنسان واهم ومغرور عندما يتعاظم نفسه ينسى حقيقته أنه كائن ضعيف محدود الحال في كل شيء في طاقته في قوته في إدراكه في فهمه في كل ما فيه ربما البعض إذا مرض عرف حقيقة نفسه أو في ظروف معينة أو أجواء معينة.

يقول الله سبحانه وتعالى أيضا في سورة لقمان **{واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير}** [لقمان: ١٩] كذلك هذا واقصد في مشيك واقصد في مشيك امشي بقصد بعدل بما يقتضيه الحال بما يتناسب وليس بحالة غرور وحالة استكبار ولهذا الجميع معنيون يعني لاحظوا كل الناس بحاجة إلى هذه التوجيهات في أي عمل في أي مستوى في أي دور أنت في الحياة أيضا الذين يتحركون في الأعمال الأمنية الذين لهم انتساب في العمل العسكري وعادة بيكونوا قد جفوا شوية نشفوا معنيون أيضا بذلك المسؤول بيقدر أنه قدهي حالة روتينية للمسؤولين ويتعيسر لا الكل بحاجة إلى هذه التوجيه التواضع **{الذين يمشون على الأرض هونا}** [الفرقان: ٦٣] فحركتهم ومعاملتهم متزنة بالسكينة بالوقار خالية من أشكال التكبر والخيلاء والغرور والاحتقار للناس وعدم المبالاة بالناس إلى آخره

«واغضض من صوتك»

{واغضض من صوتك} [لقمان: ١٩] حتى في الصوت حتى في نبرة الصوت وأنت تتبادل الحديث مع الآخرين تتحدث إلى شخص تناقش معه موضوع معين لا تجي ترفع صوتك عيه بحالة من الاستفزاز وفعلا يكون هذا الأسلوب مستفزا إذا أنت تتحدث مع واحد وقام يرفع صوته عليك ويتكلم بصوت مرتفع ويهزئك ولا يعاشلك ولا هذا الإنسان يستفزك عادة يعني صوتك يبقى طبيعي يعني وكذلك مثلما الحركة الصوت بما يقتضيه المقام والحال يعني المؤذن مطلوب يرفع صوته

لأنه المقام مقام رفع الصوت أصلا الخطيب في مقامات معينة ونصوص معينة يريد أن يعطيها صوتا يساعد على إيصالها إلى أذهان الناس ويشتي لا يرقدوا هم وهو خافت صوته وموطي زيادة يكونوا متنبهين هذا مقام مقام مناسب أو أي مقام يناسب ذلك يعني في المعركة واحد ينادي المقاتلين يحرضهم يرفع معنوياتهم أو يحتاج إلى إيصال الصوت لكن المقام الذي هو مقام تكبر الذي هو مقام تكبر أو بغير مناسبة لأن الحمير ترفع أصواتها لغير مناسبة (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) صوت رفيع جدا ولغير مناسبة شيء مزعج يعني فالإنسان كذلك يكون متنبها لهذه السلوكيات **(وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)** أسلوبهم في التخاطب مع الآخرين والحديث مع الآخرين

مثلا الجهلة من الناس غير متزنين في كلامهم في تعبيراتهم قد يتكلم معك بالكلام المستفز بجهالته بانعدام أخلاقه بانعدام وعيه قد يتخاطب معك بكلام مستفز بكلام سلبي بكلام مسيء بكلام جارح فهم يترفعون عن الدخول في المهاترات ما هو مشغول بأنه يدخل في مهاترات مع كل من هب ودب ومن لقيه ولا هبا له كلمة بدّلها بعشر، ولا أساء إليه بكلام جارح بدله بأجرح، و هكذا |لا|

هم يتصفون بحالة من التحمل والانضباط وكظم الغيظ والعفو والترفع الترفع بكرامة عن الدخول في مهاترات وسباب وأشياء سيئة ما هو با يريع مثلا أو يتجه إلى من تكلم بإساءة إليه بالسب مثلا فيبادله بالسب ويستخدم مثلما تكلم ذاك يستخدم كلمات بذيئة كلمات تافهة كلمات فاحشة، نزيهون عن ذلك بتخاطبهم نزيهون عن الكلام الفاحش عن الكلام البذيء ومترفعون عن الدخول في مهاترات مع من هب ودب با يتجاهل بعض السفهاء بعض الناس يقول اتركه اتركه هذا ويتكلم بكلام سليم أو كلام فيه نصح أو كلام يلقن ذلك الحجر بدلا من أن ينشغل به:

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت
سكتُّ عن السفيه فظن أني عييت عن الجواب وما عييت

الكثير من الناس يعني كم يدخل الإنسان في مشاكل يومية لو يبني على إنه حينما يذهب مثلا إلى السوق حينما يذهب إلى الشارع إذا بقي منشغلا بأن يتفاعل عمليا مع كل كلمة، مع كل إساءة مع كل حركة، كم يغرق الإنسان.

التوازن والاستقرار النفسي من أهم ثمار الإيمان

يقول الله تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا *)

تحدثنا بالأمس عن قوله تعالى: (الذين يمشون على الأرض هونا)، ومن الملاحظ أهمية هذه الآية المباركة وحاجة الناس إليها خصوصا في هذا الزمن، زمن السيارات، زمن الازدحام المروري، زمن الحوادث المرورية، زمن مشكلة المخالفات المرورية في المدن وما ينتج عنها من حوادث مأساوية تودي بحياة الكثير من الناس، اليوم حياة الآلاف من الناس تهدر والكثير منهم يكونون ضحية لكثير من الحوادث، الحوادث المأساوية المرورية.

وأكبر سبب فيها وأول عامل رئيسي هو انعدام التحلي بالمسؤولية في حركة الكثير من الناس، فهو إما مستهتر ولا يبالي وإما يتحرك مثلا وهو يقود سيارته ويمارس هواية السرعة، البعض عنده هذه الهواية، السرعة الجنونية، السرعة غير الطبيعية، البعض أيضا مثلا في المدن في التقاطعات، والشوارع المختلفة يأتي بدافع التكبر وعدم الانضباط والنفسية المستهترة بالآخرين فلا يلتزم بالضوابط المرورية والإرشادات المرورية التي تنظم حركة السير ويتفادى الناس بها الحوادث المأساوية، حوادث الصدام والاصطدام بين السيارات، وهكذا تحصل الكثير من الحوادث، الإنسان المؤمن، نفسيته نفسية متزنة، وهو يعيش حالة الإحساس بالمسؤولية في كل شؤون الحياة، في كل تصرفاته في كل أعماله، ونفسيته وقورة متزنة، ليس متسرعا في كل أموره، ليس مستهترا بحياة الناس، لا، عنده حرص على حياة الناس من حوله، وعلى ممتلكاتهم، لا يسعى بالإضرار بالناس بغير حق، وفي نفس الوقت نفسيته متزنة يعني البعض مثلا في شهر رمضان المبارك، لشدة حرصه أن لا يتأخر عن الإفطار ثانية أو دقيقة، يتهور بشكل رهيب جدا إذا كان قد تأخر في آخر النهار وهو يظن أن الأذان-أذان المغرب- سيكون قبل أن يصل إلى المنزل مثلا، يتهور بشكل جنوني جدا، يصل ويفطر أول ما يدخل وقت الأذان، أول ما يأذن، لا،

النفسية المؤمنة نفسية متزنة وقورة هادئة، ليست هلوعة، هذا التوازن وهذا الاستقرار النفسي هو واحد من أهم ثمار الإيمان، هذه السكينة النفسية، الإنسان

المتهور غير المتزن في الحياة، الذي قد يتسرع جدا ويسبب حوادث كثيرة في واقع الحياة هو فاقد لهذا الاتزان وهذه السكينة، السكينة النفسية، وهو يعيش تلك الحالة من التهور، من انعدام الاستقرار النفسي، من الانزعاج الشديد والتسرع الشديد، والانفعال الشديد، والاندفاع اللامسؤول في كل الأمور، لا يعيش حالة السكينة ولا الوقار ولا الاتزان ولا التماسك، التماسك النفسي الذي هو واحد من أهم الثمار الإيمانية، من أهم ما تجنيه من ثمار الإيمان هو التماسك النفسي، في كل الظروف، في كل الأحوال، عند الخير وعند الشر، في أي واقع أنت فيه تعيش حالة التماسك النفسي، السيطرة على النفس، السيطرة على الأعصاب، فتحظى في ذلك برعاية من الله الذي تلتجئ إليه على الدوام، تلتمس توفيقه على الدوام، تستعين به في كل أمرك وشأنك وشؤون حياتك، فلو أخذ مجتمعنا المسلم بهذه الآية المباركة لكان من أحسن المجتمعات استقرارا وأقلها حوادث، بالنسبة لحوادث السير، الحوادث المرورية، مشاكل الازدحام في المدن، لأن حالة الانتظام ستساعد على معالجة الكثير من المشاكل، أيضا الألفة لأن هذه الحالة من العنجهية واللامبالاة والغطرسة في أثناء قيادة السيارة تؤدي إلى استفزاز لمشاعر الناس، الناس يستفزون من إنسان يجي يخج بسيارته ولا يحترم أحد ولا يبالي بأحد، أو يمر من إمكان مزدحمة بطريقة عبثية

ومستفزة ومظاهر اللامبالاة بالناس، هذا كان قد صدمه، وهذا كان قد أعماه، وهذا ما بلا نكع في ذا الاتجاه، وهذا ذهب إلى الاتجاه الآخر، استفزاز كبير ومقت لدى الناس، يصبح الإنسان ممقوتا، مكروها، لا يحظى بالاحترام،

التواضع، حسن التصرف، الالتفات إلى واقع الناس، الاهتمام بالناس، الحرص على الناس، يساعد على إيجاد بيئة من المحبة من المودة، من الاحترام المتبادل، من التقدير، من تفادي الكثير من المشاكل، والمشاحنات، والبغضاء والعداوات وإلى آخره،

الانضباط في حركة المرور من مكارم الأخلاق

يدخل ضمن هذه السكينة والوقار في حركة الإنسان ليس فقط مثلا عندما ننظر مثلا إلى قضية السرعة الجنونية الزائدة، أو حركة السير التي تنبئ عن لامبالاة بالناس واستهتار بهم، واستهتار بحياتهم، استهتار بممتلكاتهم، الحالة الأخرى، هناك حالة سلبية أخرى غير مسألة السرعة الزائدة، غير مسألة مظاهر التكبر في السرعة، وهي الإضرار بالناس، بطريقة مختلفة، مثل الوقوف حيث لا ينبغي أن تقف، حيث

ستقطع على الناس حركة السير مثلا، البعض يتصرف بهذه الطريقة، يوقف، يتوقف بسيارته في مكان مهم، الناس بحاجة للعبور منه بشكل مستمر، إذا توقفت فيه أنت توقف حركة السير، وأنت تقطع على الناس طريقهم، والبعض بكل برودة أعصاب قد يتوقف في وسط الطريق أو وسط الشارع إما ليتحدث مع شخص آخر، تأتي سيارة من هناك وسيارة من هناك بينهم صحبة أو بينهم موضوع لتبادل الحديث بشأنه، توقفا بكل برودة أعصاب ولامبالاة بالناس، الذين قد قطعوا عليهم الطريق بتوقفهم ذلك، لامبالاة بالناس، لا احترام، لا تقدير للناس، أنهم سيتأذون من قطع الطريق عليهم، من إيقاف حركة السير عليهم، ويجلس يتبادل الحديث مع ذلك الشخص بكل استهتار ولامبالاة، الناس الآخرين بمجرد قطع الطريق عليهم سيتأذون، بمجرد إيقاف حركة السير سيتأذون، ما بالك أن البعض قد يكون مستعجلا لمرض أو لظروف معينة أو لموعد والتزام معين، هذا الوعي في مجتمعنا الإسلامي الذي يربينا في كل مجالات الحياة، في كل مسارات الحياة، في حركتنا في الحياة، بحيث نطبع واقعنا بكله انطباعا بالأخلاق، بمكارم الأخلاق، بالصفات الحسنة، بالآداب الحميدة والجميلة والعظيمة، نحتاج إليه كمجتمع مسلم، نحتاج إليه، في أمس الحاجة إليه، ونحن أولى من كل الشعوب، أولى من كل الأمم، في الأرض قاطبة، في الأرض كافة بهذه الآداب بهذه الصفات الحميدة، بهذا الانضباط وهذا الالتزام في حركتنا في الحياة، هذه مسألة مهمة جدا، وأن تتعالج أيضا بصفة أخلاقية، وباعتبارها من مكارم الأخلاق التي يدعو إليها ديننا.

(الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا)، السكينة، الوقار، الاحترام للناس، الالتفات إلى الناس وعدم الإضرار بهم، الخلو من كل حالات التكبر، الخيلاء، اللامبالاة بالناس، اللامبالاة، اللامبالاة حالة خطيرة تستفز الناس، لأنه تنبئ عن عدم احترام للناس، عن عدم تقدير للناس، وبالتالي التكبر يعني، التكبر على الناس، يعني أنت تحتقرهم، أنت تستهين بهم، أنت تستخف بهم، أنت لا تبالي لا بمشاعرهم، لا بحياتهم، لا بأذيتهم والإضرار بهم، طبيعي عندك، حالة غير إيجابية نهائيا، حالة سلبية، حالة لا تنبئ عن واقع إيماني في الحالة النفسية.

فلذلك مطلوب اليوم من كل فئات المجتمع، المسؤولين، المؤمنين، العسكريين، الشخصيات والوجاهات الاجتماعية، كل الناس الذين يعتبرون أنفسهم أصحاب شأن وأصحاب أهمية، عليهم أن يكونوا هم القدوة للمجتمع في التواضع في الاتزان، في أن يكون مشيهم على الأرض هونا، بسكينة بوقار، أن لا يمشوا بمرح، أن لا يمشوا بتكبر، أن لا يستخفوا بالناس ولا

بمشاعرهم، ولا بممتلكاتهم، البعض قد يزهق روحا بعنجهيته ولا مبالاته، بسرعته الجنونية والعبثية، غير اللازمة، قد يزهق أرواحا، قد يتحمل في ذمته ناس، بشر، حياة ناس، مسألة خطيرة، أو يضر بممتلكات الآخرين، أو يؤذي الناس ويوجد حالة من الاستفزاز والانزعاج في حياة الناس، في مشاعرهم، يوجد جو مزعج يعني، فمطلوب يعني أن يلحظ الناس بحركتهم في الحياة هذه المسألة، وأن يتخلقوا بهذا الخلق، وأن يلتزموا هذا السلوك الراقي الإيماني.

الترفع عن مجاراة السفهاء

(وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)، كذلك تحدثنا بالأمس ونزيد اليوم أن هذا مما يساعد على الاستقرار وسلامة البيئة الداخلية للمجتمع المسلم يقلل من كثير من المشاكل ما أكثر المشاكل التي كان وراءها كلمة زادت وكلمة نقصت، يأتي سفيه يأتي إنسان جاهل غير متزن لا يتحدث عن أخلاق عن معرفة عن وعي عن رشد في الحالة التي لا يتحدث فيها الإنسان عن رشد وعن فهم وعن أخلاق هي جهالة فيسيء إلى هذا أو يجرح مشاعر هذا يتكلم إلى ذاك، البعض من الناس قد يستفز بشكل سريع فيبادل بموقف أو بكلمة أكثر إساءة وهكذا كما يقولون كلمة زادت وكلمة نقصت ومشكلة، فترى هذا اقتتل مع ذاك وهذا دخل في اشتباك مع هذاك وهكذا تحصل مشاكل كثيرة فالبيئة الإيمانية هي بيئة ترفع بيئة كرامة بيئة عدم انزلاق إلى أبسط وأتفه الأشياء بيئة يتحلى الناس فيها بالمسؤولية يحرصون على سلامة الوضع الداخلي والتركيز على قضايا كبيرة على هموم كبيرة على تحديات كبيرة على مشاكل كبيرة، مثلا بعض من الناس عنده رغبة في المشاكل مشكلاني الإنسان يتمشكل في محلها يعني حيث ينبغي أن يتمشكل يذهب إلى حيث يكون للموقف قيمته إلى حيث يكون لما يحاول أن يبرز نفسه به من قوة أو فتوة أو شجاعة أو بطولة أو اعتبار ذاتي أو إلى آخرة إلى الميدان إلى الميدان الذي موقفك فيه موقف مشرف موقف مشرف في محله تدافع عن المظلومين تقف ضد الطغاة والظالمين والمجرمين والمستكبرين تتصدى للمعتدين المجرمين من قتلة الأطفال والنساء الغزاة المحتلين هناك المكان المناسب التي تبرز فيه شجاعتك فتوتك بطولتك قوتك بسالتك شجاعتك هناك

ليالي عباد الرحمن

(وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) ليلهم ليس ليل عبثٍ ولهو ولا مضيعة، وما أحوجنا في مجتمعنا المسلم في كل المجتمعات إلى أن نكون متنبهين إلى أهمية

هـذه المسـألة للأسـف الشـديد الشـباب بالـذات في كثـير مـن الأقطـار الإسـلامية باتـوا عرضـة للضيـاع مـن خـلال الجـر لهـم إلى أن يكـون ليلهـم ليـل عبـث وليـل لهـو وليـل ضيـاع، بعـض المجتمعـات والعيـاذ بالله فيهـا المراقـص فيهـا بـارات الدعـارة والفسـاد والجريمـة والرذيلـة ويعمـل الشـيطان وأوليـاء الشـيطان والنفـوس الأمـارة بالسـوء إلى الضيـاع بالنـاس والضيـاع بالشـباب في تلـك الأماكـن القـذرة ليضيعـوا فيهـا ليلهـم، وهـذه قضيـة خطـيرة خطـيرة للغايـة تفسـد النفـس البشريـة وتفسـد المجتمـع المسـلم وتضيعـه وتضيـع إيمانـه وقيمـه وأخلاقـه وإحساسـه بالمسـؤولية وتـضرب كرامتـه، هـي أكـبر معـول هـدم يدمـر الكرامـة الإنسـانية والشـعور بالكرامـة والإحسـاس بكرامـة والـشرف والسـمو والعـزة وكل مـن يسـاعد مجتمعنـا الإسـلامي عـلى التماسـك وعـلى الصمـود وعـلى القـوة وعلى المنعة المعنوية والذاتية والداخلية والأخلاقية.

أضـف إلى ذلـك أن البعـض مثـلا يضيعـون ليلهـم عـلى مواقـع التواصـل الاجتماعـي يضيـع كل ليلـه عـلى مواقـع التواصـل الاجتماعـي يكـون أكـثر مـا يركـز عليـه في انشـغاله ذلـك لهـو عبـث كلـمات سـيئة لغـو بـكل مـا تعنيـه الكلمـة لغـو كلـمات تافهـة كلـمات لا قيمـة لهـا لا أهميـة لهـا فيهـدر الكثـير مـن وقتـه في الليـل في ذلـك، البعـض مثـلا وراء المسلسـلات قـد يضيـع كل ليلـه وهـو متسـمر بعينيـه باتجـاه شاشـة التلفـاز يراقـب المسلسـلات طـوال الليـل، البعـض مسـامرة يجلسـون إمـا في الشـارع إمـا في مجالـس اللهـو وتبـادل للـكلام اللغـو والـكلام التافـه، البعـض في الألعـاب في الألعـاب إمـا الألعـاب الإلكترونيـة وباتـت مـضرة رهيبـة جـدا ومفسـدة هائلـة عـلى الكثـير مـن الشـباب تضيـع كل أوقاتهـم وكذلـك البعـض مثـلا عـلى البـاصرة أو عـلى أشـكال متنوعـة ومتعـددة يمـضون كل وقتهـم عليهـا يمـضي الليـل بكلـه حتـى في ليـالي شـهر رمضـان المبـارك خـير الليـالي وأفضـل الليـالي وأعظـم الليـالي حتـى في العـشر الأواخـر التـي هـي مضنـة ليلـة القدر البعض يهدر هذا الوقت الثمين والعظيم الذي

سـيتندم عـلى تضييعـه أشـد النـدم يـوم القيامـة ويشـعر كـم كانـت خسـارته كـم كانـت كذلـك كـم كانـت هـذه الخسـارة فضيعـة جـدا ورهيبـة جـدا حينـما أهدرهـا إمـا في معصيـة تحمـل فيهـا الـوزر والإثـم والذنـب والعقـاب وإمـا أنـه أضاعهـا ضياعـا عبثيـا فخسـر بـدل أن يسـتثمر في أقـل الأحـوال أنـه أضاعهـا أضـاع أوقـات ثمينـة وعظيمـة كان بالإمكان أن يستثمرها فيما ينفع ويفيد في طاعة الله سبحانه وتعالى.

عبـاد الرحمـن المتقـون المؤمنـون كيـف يسـتقبلون ليلهـم؟ يسـتقبلونه هـذا الاسـتقبال الراقـي العظيـم بالإقبـال إلى اللـه سـبحانه وتعـالى سـجدا وقيامـا يسـتقبلون ليلهـم بالصلاة واللـه قـد نظـم لنـا كيـف نسـتقبل ليلنـا وكيف نسـتفيد منه بـدءً بصـلاة المغرب والعشـاء

والتي يفترض أن يحرص الإنسان المسلم عليها بشكل كبير وأن يستقبل بها ليله وأن يجعلها أيضا دخولا في هذا الليل ويجعل معها الكثير من الطاعات والعبادات تلاوة قرآن أو المزيد من النافلة الإقبال إلى الله سبحانه وتعالى، آخر الليل كذلك يمكن للإنسان أن ينهض من نومه هذه حالة الإنسان المؤمن يستيقظ مبكراً ما قبل دخول الفجر كعادة يحاول أن يتعود عليها ليدرك وقت السحر ويدرك صلاة الليل يدرك الذكر والتسبيح والاستغفار والإقبال إلى الله ثم يستقبل نهاره بصلاة الفجر،

عباد الله المؤمنون المتقون جزء من ليلهم يمضونه في طاعة الله سبحانه وتعالى في الإقبال إلى الله سبحانه وتعالى حيث ينفعهم حيث يستثمرون أحسن استثمار تلك الأوقات الثمينة والمهمة بعيدا عن اللغو واللهو والعصيان ثم بإمكان الإنسان والله جعل الليل سكناً كما في القرآن الكريم يجعل جزءًا من ليله للسكن للاطمئنان للنوم للراحة حتى يكون في نهاره في حالة من النشاط والحيوية والقدرة الذهنية والنفسية والعصبية والبدنية للتوجه في أعماله ومسؤولياته في هذه الحياة

أما في شهر رمضان المبارك ونحن في العشر الأواخر فليالي هذا الشهر المبارك هي ليالي قيام في كثير من مجتمعاتنا الإسلامية يعتادون القيام واليقظة طوال الليل ولكن للأسف الشديد البعض منهم يضيع حتى ليالي شهر رمضان المبارك هناك إما في اللهو واللغو إما في العبث وهذا خسارة رهيبة جدا هذه حالة غير سليمة أبدا بكل الاعتبارات إذا كان لا بد يعني من أن تقضي ليلك بشكل أو بآخر أقل شيء في عمل البعض لا بأس عاد با يمضي جزءًا من ليله في عمل يلهم الله يشتغل يكد يعمل ينفع أما الذين يضيعونه باللهو والعبث هذا جريمة بالمعصية التي تدنس النفس هذه قضية خطيرة جدا وما أسوء أن يتحول عمرك إلى مصدر تتحمل به الأوزار والآثام والذنوب إلى ما يفسد نفسيتك

عباد الرحمن ولجوؤهم إلى الله

[وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا] خائفون من الله سبحانه وتعالى مؤمنون بوعيده مؤمنون بالآخرة يخافون من جهنم يدركون أن العبث أن الإهمال أن التفريط في هذه الحياة أن الاستهتار بالمسؤولية أن الانجرار وراء هوى النفس وشهوات النفس ورغبات النفس أن معناه الخسارة الرهيبة التي تودي بالإنسان إلى جهنم.

من يعبث في هذه الحياة من يعيش بعيدا عن الإحساس بالمسؤولية من يفرط من يهمل من يعصي من يستهتر النتيجة هي جهنم والعياذ بالله قضية خطيرة

فهم يسعون عملياً ويلتجئون إلى الله بالدعاء التجاء بأن يصرف عنهم عذاب جهنم إن عذابها كان غراما عذاب رهيب وملازم للإنسان يعيش فيه للأبد قضية خطيرة ومزعجة جدا لأي إنسان يتأملها إنها ساءت مستقرا ومقاما ساءت مستقرا أسوء مكان يستقر فيه الإنسان ما أسوء وما أكبرها من خسارة أن يتحول مستقر حياتك الأبدي في الآخرة في جهنم وأن تكون دار إقامتك هذه كارثة رهيبة لا ينجيك منها إلا العمل الصالح والإقبال إلى الله وفق ما رسمه الله في كتابه الكريم.

عباد الرحمن وتصرفاتهم المالية

(وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا) الاستقامة في التصرفات المالية المال نعمة أعطاك الله سبحانه وتعالى ومسؤولية ويرتبط بالمال مسؤوليات كبيرة في هذه الحياة ويريد الله منك أن تشكر نعمه عليك وعطاءه لكل الأشياء المادية يعني المال نقدا أو كل ما مكنك الله فيه من إمكانات هي نعمة عليك وما بيدك من هذه النعم يجب أن تتعامل معه بمسؤولية فيما ينفع في هذه الحياة أن تكون نفقاتك في هذه الحياة حتى نفقاتك المنزلية متزنة لا إسراف فيها ولا تبذير هذا الاتزان هذا التوازن في الإنفاق هو هادف ومهم هادف ومهم لأن هناك مسؤوليات الأخرى تتصل بالجانب المالي إذا عندك مال أنت معني بالإنفاق في سبيل الله كواحدة من أهم مسؤولياتك وواجباتك المالية عندك مسألة الزكاة عندك مسألة الإحسان والصدقات وعندك الإنفاق في وجوه البر فإذا كنت متزناً في نفقاتك المنزلية واحتياجاتك في الحياة وتتصرف بشكل متزن فهذا سيتيح لك المجال إلى أن تلتفت إلى بقية المسؤوليات التي عليك لاحظوا.

أولاً: نتحدث عن الإسراف قضية الإسراف قضية خطيرة جدا من أكبر الآفات في التجاوزات في النفقة ويعاني منها الكثير من الناس من ذوي اليسر والسعة هي الإسراف وأيضا أخو الإسراف وقرينه وهو التبذير الإسراف هو التجاوز الحد في النفقة من حيث الإنفاق في معصية الله، أي مال تصرفه في معصية أو في باطل هو إسراف أنت أسرفت المبالغة أيضا مثلا عندما تشتري شيئاً تافهاً بمبلغ كبير جدا أو تنفق أموال طائلة جدا في أشياء تافهة هذا عبث فكل ما تنفقه في معصية الله كل ما يزيد عن الحاجة وأصبح إما للمباهاة والتعالي بهِ أو كذلك فيه معصية وجه ومن وجوه المعصية والفساد يعتبر إسراف وتجاوز يعتبر إسرافا وتجاوزا، التبذير كذلك الإضاعة والعبث بالنعمة مثلا البعض يحضرون كميات كبيرة من الطعام إما في

المنـزل وإمـا فيـما يشـترونه في المطعـم يبقـى الكثـير أكلـوا قليـلاً منـه وبقـي الكثـير يذهـب البعـض حتـى مـن طيـب الطعـام اللحـوم الأرز الفاكهـة الخبـز كميـات كبـيرة ليرمـي بهـا إلى القمامـة هـذا تبذيـر هـذا يعتـبر تبذيـراً، أي شـكل مـن أشـكال الإضاعـة للـمال أو للطعـام أو مـا شـاكل مـن إمكانـات بـكل حـالات العبـث والاسـتهتار التـي تعطـل النعـم التـي تضيـع النعـم التـي تفقـدك قيمـة هـذه النعمـة والاسـتفادة مـن هذه النعمة.

أحيانـاً حالـة مـن العبث والإهمال الشـديد تعطـل عليك الاسـتفادة أو تتلف عليك بعض مقتنياتـك في المنـزل، هـذه الحالـة مـن الإضاعـة والإهـمال والعبث هـي تصرفـات ممقوتة ومحرمـة، المـاء أيضـاً البعـض - والمـاء مـن أعظـم النعـم - البعـض يبـذر بالمـاء يفتـح مثـلاً حنفيـة المـاء يتركهـا تسـكب بقـوة ويضيـع الكثـير مـن المـاء مـن أجـل أن يغسـل وجهه أو يتوضآ أو يغسـل يديه ويترك هذا الماء يسـكب ويسـكب ويسـكب بغزارة كبيرة فيسـتهلك كمية كبيرة جداً في مقابل الحاجة الفعلية التي كانت شيئاً قليلاً.

لتكن التصرفات المالية وفق الاحتياج

تصرفاتنـا الماليـة يفـترض أن تكـون متطابقـة مـع الاحتيـاج مـع الاحتيـاج وضمـن أولويـات هادفـة في هـذه الحيـاة وبالمحافظـة عـلى مـا أولانـا اللـه وأعطانـا مـن النعـم ومـا مكننـا منـه، لا يكـون الإنسـان ينفـق أمـوال تفاهـة أمـوال كثـيرة في معصيـة اللـه هـذا إسراف محـرم وذنـب كبـير وكفـران للنعمـة عندمـا تـصرف الأمـوال في معصيـة اللـه إما في دعم باطل وإما في الحصول على حرام، وإما لتتمكن من فعل حرام هذا

أولاً: لا تتـصرف في مالـك ولا في إمكاناتـك مـن أجـل هـذا الـشيء البعـض قـد ينفـق لـشراء محرمـات أو لفعـل محرمـات أو لارتـكاب رذائـل وجرائـم أخلاقيـة والعيـاذ باللـه أو لأي شـكل مـن أشـكال التمويـل الـذي يسـاعد عـلى محرمـات أو معـاصي، هـذا يجـب أن يشطبه الإنسان وألا يكون ضمن تصرفاته المالية.

ثانيـاً: حـالات العبـث والإهـمال العبـث الـذي تتلـف فيـه مقتنيـات منزلـك أو تخـسر فيـه مـن أمـلاكك في أشـياء تافهـة لا قيمـة لهـا حـالات التبذيـر التـي تضيـع فيهـا أشـياء كثـيرة، والإنسـان إذا تعـود عـلى الإهـمال والضيـاع والتبذيـر والإسراف كـم يضيع كم يضيع.

واحـد مـن الإخـوة التجـار الذيـن يبتاعـون ويشـترون في القمـح قـام عمـل دراسـة مـن خـلال فريـق كلّفـه أن يعمـل دراسـة مثـلاً في الفائـض مـن الخبـز الـذي يذهـب مـن

المنـازل والمطاعـم، تصـوروا أن الدراسـة هـذه قـدرت هـذا الـذي يذهـب بـه النـاس إلى القمامـة مـن الخبـز الـذي يفيـض في المنـازل والـذي يزيـد ويبقـى بعدهـم وبعـد تنـاول وجباتهـم في المطاعـم قـد يعـادل ثلـث أو نصـف الاسـتهلاك مـن القمـح، قـد يعـادل ثلـث أو نصـف الاسـتهلاك مـن القمـح، فـإذا كنـا مثـلاً النـاس عـادةً يبقـى في أكـثر النـاس يبقـى بعـد وجباتهـم بعضـاً مـن الخبـز أو في المطاعـم بعضـاً مـن الطعـام أو مـا شـاكل ليتعلـم الناس الاتزان في كل أمورهم، والالتفات والتركيز على بقية الأمور

تعليمات مهمة

لاحـظ مثـلاً طريقـة النـاس في تنـاول الطعـام، تكـون طريقـة يحرصـون فيهـا إذا بقـي شـيئاً مـن الطعـام أن يبقـى سـليماً، مثـلاً حتـى في أقـراص الخبـز، يأكلـون القـرص الأول القـرص الثـاني لا تجـي تقطـع مـن هـذا القـرص قطعـة ومـن القـرص الـذي تحتـه قطعـة ومن القرص الذي تحته قطعة أخرى وهكذا.

لا، بقيـت أقـراص سـليمة هـذه الأقـراص التـي بقيـت سـليمة يمكنـك وأنـت في المدينـة كـم في المدينـة مـن جوعـى كـم في المدينـة مـن الذيـن يعانـون ويتمنـون الحصـول عـلى لقمـة خبـز، أن تخـرج هـذه الأقـراص وتصونهـا وتحفظهـا وتسـتخدم لهـا أي غطـاء تلفهـا فيـه، وتخرجهـا بكرامـة إلى جائـع تطعمـه، كـم لـك في هـذا مـن عظيـم الأجـر والثـواب، بـدلاً مـن أن تذهـب بهـا إلى القمامـة فتتحمـل إثمـاً، تكـون مصـدر للأجـر والثـواب، بقـي أيضـاً جـزء مـن الإدام نظـم النـاس مثـلاً بالـذات في أوقـات الضيافـة ونحوهـا ينظمـون أسـاليبهم التـي يسـعون مـن خلالهـا إذا بقـي شيء مـن الإدام أن يبقـى نظيفـاً أن يبقـى صالحـاً أن يبقـى سـليماً بحيـث يمكـن أن يكـون منعـزلاً يعنـي في صحنـة يفرغـون منهـا أو في أواني أو قـدور أو غـير ذلـك يفرغـون منهـا ومـا بقـي بقـي محترمـاً وليـس فضـلات بقـي في ذلـك الوعـاء أو ذلـك الإنـاء وأخرجـوه للفقـراء يطعموهـم بـه يطعمونهـم بـه ينالـون بذلـك أجـراً عظيـماً مـن اللـه سـبحانه وتعـالى، وفعـل الخـير عـادة، يمكـن يتعـود الإنسـان عـلى هـذا يمكـن يضـع النـاس آليـات تسـاعد عـلى هـذا يمكـن الكثـير مـن النـاس أن يهتـم بجيرانـه وأن يحسـن إليهـم وكثـير مـن النـاس لهـم جـيران فقـراء ويعانـون، يعانـون قـد يكـون في منزلـك اللحـم والمـرق والأرز والفاكهـة وفي منزلـه الزبـادي والخبـز القليـل الـذي لا يشـبعهم مـن جـوع، فسـاهمت ببعـض مـما لديـك مـن تلـك الفاكهـة مـن ذلـك اللحـم وقدمتـه إليهـم بطريقـة محترمـة ولائقـة وكريمـة، تحـرص عـلى هـذا كي لا تحبـط أجـرك وكي لا تخجلهـم كي لا تكـن بطريقـة مسـيئة لهـم كـم في ذلـك مـن أجـر وثواب وفضل.

لم يسرفوا ولم يقتروا

الاتـزان في نفقاتـك الماليـة سـيوفر لـك مـا تسـتطيع أن تسـهم بـه في سـبيل اللـه في مواجهـة العـدوان مـا تسـاهم بـه للفقـراء والمسـاكين قـد تسـاهم في مسـاعدة أسرة فقـيرٍ مـن أسر الشـهداء مـن أسر المرابطـين الـذي أحـصروا في سـبيل اللـه لا يسـتطيعون ضربـاً في الأرض أسرة جريـح أسرة معـاق أسرة فقـير مـن فقـراء المجتمـع يعـاني الأمريـن يعـاني البؤس والحرمان والعناء.

فالمؤمنـون المتقـون حكـماء ومتزنـون ومسـؤولون في تصرفاتهـم في حياتهـم فيـما يتعلـق بالإمكانـات والماديـات وفي طريقتهـم في الإنفـاق لم يسرفـوا مـا عندهـم إسراف مـا عندهـم أيضـاً تبذيـر والتبذيـر خطـير جـداً قـال اللـه تعـالى (وَلَا تُبَـذِّرْ تَبْذِيـرًا) (إِنَّ الْمُبَذِّرِيـنَ كَانُـوا إِخْـوَانَ الشَّـيَاطِينِ وَكَانَ الشَّـيْطَانُ لِرَبِّـهِ كَفُـورًا) والجميـع بحاجـة إلى أن يتثقـف بهـذه الثقافـة أماكـن القمامـة في المـدن والأريـاف تشـهد عـلى أن هـذه الثقافـة ضعيفـة في المجتمـع وأن هنـاك حالـة مـن الإسراف والتبذيـر منتـشرة بشـكل كبـير ويجـب أن يتثقـف النـاس الثقافـة التـي تسـاعدهم عـلى الالتـزام في هـذه الأمـور والاهتـمام والانتبـاه وثقافـة تكـون لـدى الرجـال ولـدى النسـاء لـدى النسـاء أيضـاً حتـى تكـون في مطبخهـا تحسـن التـصرف والتقديـر المتـزن لمـا تقدمـهُ وتعـدهُ مـن طعـام، ولم يقـتروا ولم يكونـوا بخـلاء ومقتريـن وقليـلي النفقـة عـن الحـد المحتـاج إليـه مـع التوفـر عنـدك مـال عنـدك يـسر عنـدك سـعت فـإذا بـكى شـحيح وإذا بـكى بخيـل وإذا بـكى تـترك أسرتـك يعانـون ولا تقـدم لهـم بمقـدار حاجتهـم مـن تلـك الضروريـات المهمـة لحياتهـم هـذا الحـال مـن التـوازن عـبر عنـه القـرآن بقولـه (وَكَانَ بَـيْنَ ذَلِـكَ قَوَامًـا) يعنـي مـا تقـوم بـه الحالـة العـدل التـصرف الصحيـح بمقـدار الحاجـة وضمـن الأولويـات ضمـن الأولويـات هـذه الثقافـة وهـذه الأخـلاق وهـذه السـلوكيات الراقيـة جـداً والحضاريـة فعـلاً هـذه التصرفـات الحضاريـة التـي نحتـاج إليهـا والتـي ستسـاعد مجتمعنـا الإسـلامي إلى إعـادة النظـر في كثـيرٍ مـن الأشـياء التـي يهدرهـا يتلفهـا يضيعهـا في الغـرب يسـتفيدون مـن كل شيء المجتمـع الغـربي الكافـر بـات أرقـى وعيـاً مـن مجتمعنـا الإسـلامي تجـاه الاسـتثمار والاسـتغلال الأمثـل للنعمـة في أقـصى مسـتوى حتـى القمامـات عندهـم يسـتفيدون منهـا بأشـكال كثـيرة جـداً القمامـات تتحـول عندنـا في مجتمعنـا الإسـلامي إلى مشـكلة كبـيرة على النظافة على النظافة تصنع مشكلة نظافة في المجتمعات الغربية

في كثـيرٍ مـن المجتمعـات الغربيـة القمامـة عندهـم يسـتفيدون منهـا في توليـد الطاقـة الكهربائيـة يسـتفيدون منهـا في إعـادة الإنتـاج لأشـياء كثـيرة في عمليـة التصنيـع يسـتفيدون

منها في أشكال وأغراض متنوعة كم يا برامج تلفزيونية تتحدث عن إعادة التدوير إعادة الاستفادة من تلك الأغراض.

الحالة العبثية عند الكثير منا في مجتمعاتنا الإسلامية تجعلهم يتركون أكثر الأشياء يعبثون بأكثر الأشياء يهملون أكثر الأشياء يضيعون أكثر الأشياء يعبثون بأكثر الأشياء حالة رهيبة، أما المجتمعات الثرية مثلما هو حاصل لدى البعض في مجتمعات الخليج فكارثية البعض يحكي لنا كيف يخرجون من بعض الولائم بأعداد كبيرة مما تبقى من الطعام وفيها الكثير من الغنم الكثير من الكباش الكثير من اللحوم الفاكهة، كميات مازالت كما هي يذهبون بها إلى القمامة، أما إنفاقهم في معصية الله المليارات تذهب لدعم الصهاينة والأمريكان الأموال الكثيرة التي ينفقونها في تغذية الفتن والنزاعات والصراعات وسفك الدماء في نشر الباطل في نشر الكراهية والعقد والفرقة والبغضاء بين المجتمع الإسلامي، في تمويل قنوات خليعة وفاسدة في أشياء كثيرة جدا وأشكال كبيرة جدا.

من أهم ما تحتاج البشرية فيه إلى الرشد وإلى الحكمة وإلى الإيمان وإلى التحلي بالمسؤولية، التعامل مع النعم التعامل مع المال التعامل مع الإمكانات.

المحاضرات الرمضانية ١٤٣٩

من مواصفات المؤمنين.. السعي لترسيخ الأخوة الإيمانية

الله "جلَّ شأنه" يقول: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: الآية ٧١]. فمن ضمن مواصفاتهم الإيمانية، والتزاماتهم الإيمانية، وما يدخل في إطار التزامهم الإيماني، واستقامتهم الإيمانية، قوله: {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}، فهم يتجهون كأمةٍ واحدة، متآخية، متعاونة، متفاهمة، تتظافر جهودها للنهوض بهذه المسؤولية الجماعية: {يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} ...إلى آخر الآية المباركة، {أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

يقول أيضاً: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا} [الصف: من الآية ٤]، صف واحد، يجمعهم التوجه الواحد، الموقف الواحد، التعاون فيما بينهم، تتظافر جهودهم فيما بينهم، {كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف: من الآية ٤]، في مستوى تعاونهم، تآخيهم، تماسكهم، صلابتهم، قوتهم، كالبنيان المرصوص.

في القرآن الكريم هدايةٌ واسعة إلى العوامل التي تساعد على الأخوّة الإيمانية، التي تساعد على الحفاظ على وحدة الكلمة، وعلى اجتماع الكلمة من كل الجوانب، كما هو على المستوى الفكري، والثقافي، والرؤية العملية الواحدة، هو أيضاً على مستوى المسؤولية الجامعة، المسؤولية الواحدة التي يتحركون فيها، ويؤلف الله بين قلوبهم، بتوجههم الصادق، بإخلاصهم في ذلك لله "سبحانه وتعالى"، بتوجههم لتنفيذ ذلك من أجل الله "سبحانه وتعالى".

هناك ما تبنى عليه هذه الوحدة، وهناك ما يحافظ عليها، ويساعد عليها، على المستوى النفسي، على المستوى التربوي، القرآن الكريم يقدِّم ما يزكي النفوس، ما يُخَلِّصَها من الشوائب الخطيرة التي تعيق مسألة الأخوّة والتعاون، يُخَلِّص النفس البشرية من الأنانية، من الحسد، من الكبر، من الطمع، من الجشع، يساعد الإنسان على أن تزكو نفسه، وزكاء النفس يجعل نفسية الإنسان قابلةً للألفة، سليمةً من العقد، قريبةً من الأخوّة، ليس فيها ما يصنع الحواجز والعقد من السلبيات الخطيرة.

ثم على مستوى حسن التعامل، وبذل المعروف، والإحسان، والسعي لصلاح ذات البين، والتحلي بالقيم المساعدة على ذلك، فتأتي المواصفات المهمة، التي تبيِّن ما هم عليه فيما بينهم، من مثل قوله "سبحانه وتعالى": {رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: من الآية ٢٩]، إذا ترسَّخت هذه المواصفات العظيمة، إذا كانت الرحمة هي السائدة فيما بينهم، في تعاملهم مع بعضهم البعض، في اهتمامهم ببعضهم البعض، في أسلوبهم في التعامل مع بعضهم البعض، في الاهتمام بشؤون بعضهم البعض، إذا كانت الرحمة هي السائدة، أَلَا ينتج عنها الألفة؟ أَلَا ينتج عنها الأخوّة؟ أَلَا ينتج عنها التعاون؟ بلى، وحالة مستمرة، {رُحَمَاءُ}، تصبح من المواصفات الرئيسية التي يستمرون عليها، ويبنى عليها سلوكهم، وتعاملاتهم فيما بينهم، ونظرتهم تجاه بعضهم البعض، وبذلهم المعروف لبعضهم البعض، ومستوى التعاطف فيما بينهم لكل ما يستدعي حالة الرحمة.

يقول أيضاً عنهم: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [المائدة: من الآية ٥٤]، وهذا كذلك قدَّمه كمواصفة من المواصفات الأساسية المهمة، {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}، فهم فيما بينهم، في معاملاتهم، في تصرفاتهم تجاه بعضهم البعض، يتعاملون بمنتهى التواضع، ليس فيهم الجرأة على الإساءة إلى بعضهم البعض، القسوة على بعضهم البعض، الغلظة على بعضهم البعض، الجرأة بارتكاب الجريمة في الاعتداء على بعضهم البعض، هم

بعيدون عن كل ذلك، هم في منتهى التواضع فيما بينهم، ليس عنده الجرأة لا في الإساءة، ولا في الاعتداء، ولا في الظلم، ولا في أي تصرفٍ سيء يصدر من جانبه عمداً تجاه أخيه المؤمن، {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}.

كظم الغيظ والعفو دليل صفاء النفس والوعي الكبير

يقول عنهم أيضاً: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} [آل عمران: من الآية ١٣٤]، أيضاً يتحلون بصفة كظم الغيظ، حتى إذا بَدَر من أخيه المؤمن ما قد يزعجه، أو ينفعل منه، فهو لا يبادر فوراً إلى الإساءة، وإلى الرد حتى بأكثر من ذلك، وإلى أن يُخرِج كل ما في قلبه بشكل إساءات، واتهامات، وكلام جارح، إذا اغتاظ، والغيظ هو أشد حالة من حالات الانفعال والغضب، وهي الحالة الخطيرة على الكثير من الناس، الذين إذا عانوا من هذه الحالة، لم يعودوا ينضبطون بأي ضوابط، سيقولون أي كلام، مهما كان جارحاً، مهما كان مسيئاً، مهما كان فيه أيضاً أحياناً افتراءات، وإساءات، واتهامات باطلة، وكلام جارح، فيتحمل الإنسان الوزر الكبير، ويصنع الفجوة التي تزداد يوماً بعد يوم.

فهم قال الله عنهم: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ}، بما يفيد أنها صفة يستمرون عليها، ليس بمجرد أي حالة انفعال يبدأ يتكلم، ويسيء، وتحصل من جانبه ردة فعل، وكثيراً ما تكون ردود الأفعال مبالغاً فيها، أكثر ما تكون مبالغاً فيها، فيها اتهامات أكثر، فيها إساءات أكثر، فيها جرح أكثر، القليل من الناس الذين قد ينضبط حتى في مستوى ردة الفعل، عندما يصدر ما يزعجه، أو ما يجرح مشاعره، أكثر ما يحصل هو: الرد المبالغ فيه، الذي يتحمل الإنسان فيه الوزر، وهو يريد أن يشفي غيظه، أو كما يقولون: [أن يبرد غليله]، أن يتكلم، يتكلم، ويسيء، ويجرح، ويقول ما يرى أنه ارتاح بكل ما قد قال، ولكن هذا لا يليق، لا يليق أخلاقياً، ولا إنسانياً، ولا إيمانياً، وهو- في نفس الوقت- مما يورِّط الإنسان في أن يحمِّل نفسه الوزر والإثم، وهذا يحصل للكثير، يحصل للكثير في ردود أفعالهم الظالمة، المشحونة بالافتراءات، والإساءات، والكلام الجارح، والاتهامات الباطلة، والبعض أيضاً قد يضيف إليها أيمان، ويقسم على ذلك، وهذه أمور شنيعة، وأمر رهيب جداً عندما يحلف الإنسان أيضاً اليمين الفاجرة، يضيف إلى ذلك ذنباً على ذنب.

{وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}، قد حتى يعفو؛ لأنه يحمل اهتمامات كبيرة، مسؤولية عظيمة، حريص جداً على ما هو أهم، على القضية الكبرى، على مواجهة التحديات

الخطيرة، يمتلك الوعي الكافي عن مخاطر الفرقة، وعمَّا تسببه من ضعف، وشتات، وفشل، وتمكين للأعداء، وما ينتج عن ذلك من مخاطر كبيرة جداً على الناس في دينهم ودنياهم.

يقول عنهم، عن المؤمنين: {وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} [الشورى: من الآية ٣٧]، في واقعهم الداخلي تجاه ما قد يبدر مما يستفزهم، مما يغضبهم من كلمةٍ من هناك، أو تصرفٍ من هناك، هم لا يبادرون بكل سرعة، بكل جرأة، بكل شدة، على ردة الفعل المسيئة، أو الجارحة، أو المؤلمة، أو الانتقامية، لا يعيشون حالة العقدة، عقدة الحقد، وعقدة الانتقام تجاه كل شيء، كل شيء، أبسط كلمة، أبسط استفزاز، أبسط مشكلة، ثم تأتي ردة الفعل المبالغ فيها، الانتقامية، الحنقة، التي تعبَّر عن أنَّ الإنسان يحمل في داخله حقداً، كراهيةً، عقداً، ليست نفسيته سليمة في ذلك؛ أمَّا هم فيقول عنهم: {وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ}، ويأتي هذا في سياق نقاء أنفسهم، صفاء أنفسهم، اهتماماتهم الكبيرة بالأمور العظيمة، بالمسؤوليات الكبيرة، وعيهم بخطر الأعداء، وخطر التفريط في مواجهتهم، وعيهم بحجم القضايا، لا يجعلون من الحبة قبة، يساوي أي إشكالية، أي قضية، أي سوء تفاهم، بأكبر مشكلة، البعض من الناس يعني أبسط قضية عنده أكبر من المشكلة الفلسطينية، أكبر من العدوان الجاري على البلد، أكبر من أي قضية أخرى، انفعاله من ذلك الأمر الذي استفزه، غضبه، توتره الشديد، انزعاجه الشديد، ردة فعله، اهتمامه الكبير، يفوق كل أمرٍ آخر، هذا يدل على حالة نفسية غير سليمة، حالة نفسية صغيرة، لا تحمل الاهتمامات الكبيرة، المشاعر الإيمانية، لا تعطي قيمة للتوجيهات الإلهية

حسن التعامل ودوره في ترسيخ الأخوة الإيمانية

أرشد الله في القرآن الكريم إلى أسلوب التعامل، كيف يكون أيضاً على النحو الذي يساعد على الأخوّة الإيمانية، من ضمن ذلك قوله تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء: الآية ٥٣].

قلنا في بداية المحاضرة بالأمس: أن مبدأ الأخوّة الإيمانية، والتوحد، والاعتصام بحبل الله جميعاً، مما يلقى محاربةً شرسة من الشيطان وأوليائه، حربهم شديدة على هذا الموضوع، يركِّزون عليه تركيزاً كبيراً، يبذلون كل جهد، ويسعون بكل جد إلى إثارة الفرقة، إلى إثارة الخلاف، إلى تشتيت شمل المؤمنين، ولذلك أرشد الله في

هـذه الآيـة المباركـة إلى مـا يسـاعد عـلى تعزيـز الأخـوّة الإيمانيـة، عندمـا قـال: {وَقُـلْ لِعِبَـادِي يَقُولُـوا الَّتِـي هِـيَ أَحْسَـنُ}، فيـما يقولـون، فيـما يتخاطبـون فيـما بينهـم، فيـما يتحـاورون فيـه في إطـار مسـؤولياتهم، هـذا موضـوعٌ يحتـاج الإنسـان إليـه في المعاملـة بشـكلٍ عـام، وفي أداء الأعـمال، وفي أداء المسـؤوليات، أن يراعـي هـذا، أن يقـول التـي هـي أحسـن، وأن يـترك الكلـمات السـيئة، المسـتفزة، الجارحـة، التـي لهـا آثار سـلبية عـلى مشـاعر الآخريـن؛ لأن البعـض مـن النـاس حـاد اللسـان، جـريء اللسـان، والبعـض تصـل جرأتـه إلى حـد الوقاحـة، و-أحيانـاً- قـد يكـون الإنسـان مـن موقـع أنـه يـرى نفسـه مهـماً، أو في موقـع مسـؤولية معينـة، يـرى لنفسـه الحـق في أن يقـول أي شيء، وأن يتكلـم بـأي كلام مهـما كان مسـيئاً، هـذا المعيـار المهـم في الآيـة المباركـة: {يَقُولُـوا الَّتِـي هِـيَ أَحْسَنُ}، من المهم الالتزام به.

{يَقُولُـوا الَّتِـي هِـيَ أَحْسَـنُ إِنَّ الشَّـيْطَانَ يَنْـزَغُ بَيْنَهُـمْ} [الإسراء: مـن الآيـة ٥٣]، فالشـيطان يسـتغل، عندمـا تكـون طريقـة التخاطـب والـكلام طريقـة مسـتفزة، مسـتفزة بالفعـل، البعـض مـن النـاس كل شيء يصبـح عنـده مسـتفزاً، حتـى الـكلام الطبيعـي، حتى الـكلام العـادي، حتـى الـكلام المسـؤول، مـا الـذي ينبغـي أن يسـتفزك؟ مثـلاً: التـواصي بالحـق، النصيحـة، التنبيـه عـلى الخطـأ بطريقـة محترمـة، لا ينبغـي أن يسـتفزك، الكلـمات التـي هـي بالفعـل كلـمات مسـيئة، موبخـة، جارحـة، مهينـة، البعـض مـن النـاس، إمـا لأنـه حسـاسٌ جـدًّا جـدًّا، أو متكـبر، أو مغـرور، يجعـل أي كلمـة مهـما كانـت كلمـة محترمـة، يجعلهـا وكأنهـا جارحـة جـدًّا، وكأنهـا مـن أسـوأ مـا يمكـن أن يقـال، وعندمـا يسـمعها النـاس، أو تعـرض عليهـم، الـكل يعـرف أنهـا كلمـة عاديـة، لا ينبغـي أن يسـتفز منها إلى تلك الدرجة.

{يَقُولُـوا الَّتِـي هِـيَ أَحْسَـنُ إِنَّ الشَّـيْطَانَ يَنْـزَغُ بَيْنَهُـمْ}، فهـو يسـتغل الموضـوع، {إِنَّ الشَّـيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَـانِ عَـدُوًّا مُبِينًـا} [الإسراء: مـن الآيـة ٥٣]، ولذلـك هـو يجعـل مـن أهـم مـا يسـعى لـه: أن يثـير الفتنـة والمشـاكل بـين بنـي آدم، هـذا بدافعـه العـدائي بالنسبة للشيطان.

تحدثنـا بالأمـس عـن قولـه تعـالى: {رُحَـمَاءُ بَيْنَهُـمْ} [الفتـح: مـن الآيـة ٢٩]، وكيـف أن التراحـم الـذي يـأتي إلى كل الواقـع، إلى كل الظـروف، إلى كل الحـالات التـي تسـتدعي الالتفاتـة الإنسـانية، أن لـه أهميتـه الكبـيرة في ذلـك، لـه أهميتـه الكبـيرة في تعزيـز الروابط والأخوّة، وفي تعزيز المشاعر الأخوية.

أهمية التواضع وكظم الغيظ ومصارعة الغضب

التواضع كذلك، في قوله تعالى: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [المائدة: من الآية ٥٤]، من أهم ما يفيد ويؤثر هو التواضع، والتواضع من الجميع، ممن هم في مقامات المسؤولية، ومواقع المسؤولية، بأي صفة، وبالأولى هم أن يكونوا أكثر تواضعاً، أو في مختلف الأعمال، أو بشكلٍ عام، التواضع من الجميع مطلوب، ومهمٌ جدًّا أن يكون سلوكاً قائماً.

الله قال حتى للنبي "صلوات الله عليه وعلى آله": {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر: من الآية ٨٨]، خفض الجناح هو تعبير عن حالة التواضع، وحسن التعامل مع الآخرين، وهذه مسألة مهمة جدًّا، أسلوب التكبر، والتعالي، والاحتقار، أو الترفع على الآخرين، السلوك الذي يعبِّر عن ذلك عادةً ما يكون مستفزاً، ويصنع الفوارق؛ بينما التواضع يعزز من حالة الإخاء.

كظم الغيظ، كما مرَّ بنا بالأمس في قوله تعالى: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ} [آل عمران: من الآية ١٣٤]؛ لأن الناس ليسوا بمعصومين، قد يصدر هفوة من هنا أو هناك، تأتي كلمة مستفزة من هنا أو هناك، أو تصرف مستفز، فالإنسان يكظم غيظه، ولا ينفجر، يتحول إلى قنبلة مشحونة بالعقد، أبسط كلمة مستفزة وانفجر بشكلٍ كامل، وإذا هو ذلك المملوء سخطاً، المملوء عقداً، المشحون عقداً، فيثور بالكلام السيء، أو التصرفات السيئة، أو يتهور بارتكاب جريمة عدائية، البعض يقتل، البعض يضرب، البعض يرتكب جريمة من الجرائم، يسيء إساءة بالغة تبطل عمله، تحبط أجره وثوابه حتى على جهاده وعمله، الإنسان يكظم غيظه، والقضايا التي تحتاج إلى معالجة، تعالج بروح عملية، بدلاً من ردة الفعل غير الواعية، ردة الفعل التي تتجاوز التقوى، تتجاوز الضوابط الأخلاقية، والإيمانية، والإنسانية حتى.

{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ}، فكظم الغيظ هو مما يساعد على الحفاظ على الأخوّة، إذا لم يكن هناك كظم غيظ، وكان هناك على أبسط إشكالية، أو أبسط كلمة، أو أي استفزاز، أو أي شيء يغضب الإنسان، ردة فعل، ردة فعل، ردة فعل، تتحول الظروف العملية، وظروف الحياة، حتى على مستوى الأسرة الواحدة، أو القرية الواحدة، أو الحي الواحد، أو الحارة الواحدة، إلى ساحة مشحونة بالصراعات، والتوترات، والنزاعات، وبيئة مليئة بالقلق، مليئة بالتوتر، مليئة بالانزعاج، هذا لا ينبغي أبداً.

العفو {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} [آل عمران: من الآية ١٣٤]، صفة مستمرة؛ لأن كثيراً من الأمور لا ينبغي أن تبقى مشكلة، تحل، أو بعض الأمور قد يتجاوزها الإنسان

وتنتهي، والتي قد لا يفيد حتى تجاوزها في أن تنتهي، يمكن معالجتها لتنتهي.

طبيعة البعض من الناس أن يجمع المشكلة عند المشكلة، والكلمة عند الكلمة، وتكون ذاكرته في ذلك ذاكرة نشطة، يحفظ ولا ينسى، طالما والمسألة مسألة عقد فهو لا ينسى، يمكن أن يذكرك بما قلت قبل سنوات طويلة، [أنك قلت في يوم كذا، في ساعة كذا، كلمة كذا]، وأنها لا زالت تَحُزُّ في نفسه، والكلمة عند الكلمة، حتى التي ليست في أصلها كما فهم؛ إنما بحسب سوء فهمه، سوء ظنه، سوء تقديره للأمور، جعل منها مشكلة، والبعض قد تكون إشكاليةً حقيقية، ولكنه ليس ممن يعفو، ليس ممن: {وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} [الشورى: من الآية ٣٧]، لا يغفر، ولا يعفو، ولا يسامح، ولا...وكثيرٌ من الأمور التي لا تستحق أصلاً أن تمثل إشكالية وعقدة، يحتفظ بها الإنسان ويراكمها، ويبني عليها ردود أفعاله.

والبعض من الناس إذا كان في إطار عمل، حتى في إطار العمل في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله، تؤثر عليه حتى في عمله في سبيل الله، وفي جهاده في سبيل الله، حتى في هذه المسألة: مسألة الاستجابة لله في الأخوّة الإيمانية، في الاعتصام بحبل الله جميعاً، هو لا يطيق أن يتوحد مع إخوته الآخرين، أن يؤاخيهم؛ لأنه معقدٌ جدًّا على ذلك الذي قد قيل له عنه أنه قال كذا، ومعقدٌ جدًّا ومستاءٌ من ذلك الذي كان قد صدر بينه وبينه حدث سوء تفاهم...وهكذا.

فالعفو، المغفرة، {وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ}، هل أنت هكذا؟ قيِّم نفسك، هل أنت ممن يغفر، ممن يسامح، ممن يتجاوز عن كثير من الأمور، لله وفي سبيل الله، من أجل الأمور المهمة، لاهتماماتك الكبرى، لصالح القضايا الكبرى، أو لست ممن هم كذلك؟ هل أنت ممن يعفو؟ قيم نفسك أنت، قيم نفسك على أساس كتاب الله، آيات الله، وأصلح نفسك، ووجّه نفسك على هذا الأساس، والله وعد في القرآن بأن يعفو عن العافين، أنت عندما تعفو عمَّن بدرت منه زلةٌ إليك، يقابلها أن يعفو الله عنك في زلةٍ بدرت منك كانت ستحسب عليك ما بينك وبين الله، {أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} [النور: من الآية ٢٢]، هكذا قال عن العفو في سورة النور، هذا مرغِّب بشكل كبير جدًّا.

المحاضرات الرمضانية ١٤٤٣

من أهم مواصفات المتقين

١. استشعارهم للمسؤولية

من أهم مواصفات المتقين: أنهم يستشعرون مسؤوليتهم تجاه أعمالهم وتصرفاتهم، فهم هنا يتوجهون إلى الله "سبحانه وتعالى" في طلب المغفرة، فيقولون: {رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا}، إننا آمنا: آمنا بك؛ فاستشعرنا عظيم حقك علينا، آمنا بوعدك ووعيدك؛ فأدركنا أهمية ما نعمل، وما يترتب عليه من الجزاء في الآخرة، وما يترتب عليه حتى من العواقب والنتائج في هذه الدنيا، فأدركنا الخطورة في تصرفاتنا وأعمالنا، عندما نعصي، عندما نذنب، عندما نفرط، عندما نقصر، عندما نهمل، عندما نفرط في شيءٍ من التزاماتنا العملية الإيمانية فلا نقوم به، عندما لا نعمل ما ينبغي علينا أن نعمله، يستشعرون الخطورة، ليسوا مستهترين في أعمالهم، في تصرفاتهم، هم يدركون المسؤولية فيما يفعلون، فيما يتصرفون، في مواقفهم، فيما عليهم من التزامات إيمانية وعملية، ولذلك يطلبون من الله المغفرة، يطلبون من الله المغفرة، يدركون خطورة الذنوب، خطورة التفريط، خطورة التقصير، خطورة الإهمال تجاه التزاماتهم الإيمانية فيما أمرهم الله به، ويدركون الخطورة الرهيبة لتجاوز حدود الله "سبحانه وتعالى"، أو لفعل الحرام، مسألة خطيرة جداً لديهم، فهم يخافون من ذنوبهم، وتقصيرهم، وإهمالهم، وتفريطهم، ليسوا متهاونين، ليسوا مستهترين.

{فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا}؛ لأنهم يدركون أن ما يصل بالإنسان إلى نار جهنم هي ذنوبه، ذنوبه التي هي إما بشكل تفريطٍ فيما أمر الله به من الالتزامات العملية، وهذه من أخطر الذنوب التي يغفل عنها الكثير من الناس، ما علينا أن نعمله، ما أمرنا الله به.

أو بشكل انتهاكٍ لحرمات الله وفعل المحرم، فهم يدركون خطورة الذنوب أنها هي التي تصل بالإنسان إلى نار جهنم، هي التي تسبب للإنسان سخط الله، هي التي تسبب للإنسان المصائب الخطيرة والعقوبات العاجلة في الدنيا، هي التي تسبب للمجتمعات النكبات، مجتمعات بأكثرها تدخل في نكبات كبيرة؛ نتيجة ذنوب، نتيجة تقصير في مسؤولياتها، في واجباتها، في الأعمال الصالحة التي أمر الله بها، تقصير في إتباع ما أنزل الله، تفريط تجاه توجيهات الله "سبحانه وتعالى".

{فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، فهم يؤمنون بوعيد الله، ويوقنون بالآخرة، ويدركون أن النار هي العقوبة الحتمية على الإنسان المستهتر، أو للإنسان

المستهتر المتهاون، الذي لا يرجع إلى الله، لا ينيب إلى الله، لا يستقيم على أساس هدى الله، لا يلتزم بتعليمات الله وتوجيهاته، فيصر، على عصيانه، يصر على تقصيره، يصر على تفريطه، فيدركون الخطورة في ذلك، ولذلك يضرعون إلى الله، وعندهم اهتمام عملي، ليسوا فقط يقولون ذلك، ثم لا يلتفتون إلى واقعهم العملي لمعرفة ما هم مقصرون فيه، فيتداركون ذلك، لمعرفة ما قد يكون الإنسان واقعاً فيه، مما فيه إثم في سلوكياته، أو في تصرفاته، أو في طريقته في أداء المسؤولية، فيقلعون عن ذلك وينتبهون، يقولون وهم يلتفتون إلى واقعهم العملي، يقيمون واقعهم العملي، يحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

٢. الصبر والصدق

{الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ} [آل عمران: من الآية ١٧]، {الصَّابِرِينَ}، الصابرين وهم يؤدون مسؤولياتهم العملية عندما يواجهون المشاق، أو الصعوبات، أو التحديات، الصابرين على ظروف هذه الحياة، التي يواجهونها وهم يستمرون في السير وفق منهج الله وتعليمات الله "سبحانه وتعالى"؛ لأن الكثير من الناس مشكلته في الصبر، أمام شهوات نفسه ورغباتها لا يصبر، فيرتكب المحرم، أو يقف في صف الباطل، أمام البعض من العوائق، أو الصعوبات، أو المشاق، في أداء المسؤولية، في فعل ما أمرنا الله به، لا يصبر، فيتقاعس عن ذلك، أمام أي مشاق، أو متاعب نفسية، أو جسدية، لا يريد أن يصبر، فيفرط في عملٍ مهم، أو يفعل ما هو من المحرمات.

فالصبر مسألة مهمة جداً وأساسية، والإنسان المؤمن هو أولاً يطلب من الله "سبحانه وتعالى" أن يفرغ عليه الصبر، الله يقول في القرآن الكريم: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} [النحل: من الآية ١٢٧]، ثم هو يوطِّن نفسه على الصبر، يروض نفسه على الصبر، يستفيد من كل الوسائل التربوية التي ترتقي به، تمنحه القوة، قوة التحمل، تهيئه للاستعداد للصبر، من مثل صيام شهر رمضان، الذي هو عملية ترويضيه على الصبر، والإنسان يصبر على: أولاً على السيطرة على شهوات نفسه تجاه الطعام، والشراب، والمعاشرة الزوجية، ثم أيضاً يصبر على الجوع، على العطش، على متاعب معينة جسدية، عملية ترويضيه تكسب الإنسان قوة التحمل، وارتفاع المعنويات، والمزيد من القدرة والطاقة.

{الصَّابِرِينَ}، والصبر لا بدَّ منه، لا بدَّ منه، كثير من الناس يتهربون من المسؤوليات المهمة، كالجهاد في سبيل الله؛ لأنهم لا يريدون أن يصبروا، أو ظروف معينة، أو معاناة معينة، أو أحزان معينة؛ لأنهم لا يريدون أن يصبروا، فالصبر لا بدَّ

منه في التقوى، في تحقيق التقوى لا بدَّ من الصبر، فبالتالي تعمل من خلال الصبر الأعمال العظيمة التي تقيك من عذاب الله، تقي الأمة من الخزي والهوان، تقي المجتمع من سيطرة أعدائه عليه، تقينا من مختلف الشرور، وتقينا من عذاب الله، ومن النار.

{وَالصَّادِقِينَ}، الصادقين في إيمانهم، عندما قالوا آمنا قالوها بصدق، آمنوا فعلاً، آمنوا بالله، آمنوا بوعده ووعيده، وكان لإيمانهم ثمرة هي التقوى، والصادقين في إيمانهم، في فهمهم لدينهم، فهموه بصدق، ولديهم المصداقية في أدائهم العملي، في التزامهم الإيماني، فيما عليهم أن يعملوا، وفيما عليهم أن يتركوا، مصداقية في الانتماء، في العمل، في الموقف، وهم من يتحرون الصدق فيما يقولون، من يتحرون الصدق في أدائهم لمسؤولياتهم، الصدق من أهم العناوين التي تترتب عليها مصداقية الإنسان في انتمائه الإيماني، الصدق عنوانٌ إيمانيٌ مهم، وأساسيٌ في تحقيق التقوى، ولذلك واقع المؤمنين المتقين أنهم أهل صدق، ويتحرون دائماً الصدق.

{وَالصَّادِقِينَ}، في التزاماتهم الإيمانية، والعملية، وانتماءاتهم، ومواقفهم، ويتحرون الصدق فيما يقولون.

٣. القانتين

{وَالْقَانِتِينَ}، هم دائماً في حالة خضوعٍ لله "سبحانه وتعالى"، خاضعين لله، خاشعين لله، ولذلك لديهم استعداد في طاعة الله في كل شيء، ليس هناك بالنسبة لهم تأثيرات سلبية لمزاجهم الشخصي، أو لنوازعهم وعقدهم الشخصية، فيأنفون من تنفيذ أي شيءٍ فيه رضاً لله، أو أمر الله به "سبحانه وتعالى"، المهم بالنسبة لهم هو رضوان الله، كيف يرضى عنهم، مقابل أن المهم لدى الكثير من الناس هو الناس وليس رضا الله، رضا الله هو المهم بالنسبة لعباده المؤمنين المتقين، ولا يأنفون، ولا يستنكفون، ولا يستكبرون من أن يعملوا ما هو رضا الله "سبحانه وتعالى"، ولو كان مزاجهم الشخصي قد لا ينسجم مع ذلك، أو كلام الناس، أو إثارة الناس، وبالذات أن البعض من الناس لديهم خبرة شيطانية في استثارة الإنسان تجاه عمل قد يكون مهماً، وفيه مرضاةٌ لله "سبحانه وتعالى"، فيأتون لاستثارة الإنسان؛ ليعيقوه عن ذلك العمل، مهما كان عظيماً ومهماً.

أو أحياناً في سياق العمل في سبيل الله وطاعة الله، والأعمال التي هي أعمالٌ منسجمةٌ مع التقوى، وقائمةٌ على أساس التقوى، قد يأتي من يثير فيك الحساسيات الشخصية، والحسابات الشخصية، والعقد الشخصية؛ لينفرك منها، ويجعل حساباتك

فيها حسابات شخصية، مناصب، مواقع وهمية، مسميات معينة، حسابات معينة، وبالتالي تأنف، أو أحياناً بدافع العقدة تتوقف عن عمل معين، {وَالْقَانِتِينَ}، فهم في حالة خضوع تام لله، وانقياد تام لأمر الله "سبحانه وتعالى"، لا أنفة فيهم، لا كبر فيهم، لا عقد لديهم.

٤. الْمُنْفِقِينَ

{وَالْمُنْفِقِينَ}، فنلاحظ مثلاً وصفهم بالمنفقين، حتى تكون نظرتنا صحيحة إلى مسألة الإمكانات المادية، أن المسألة بالنسبة للمتقين أنهم يتعاملون بها كوسيلة وليس كغاية، فهم يبتغون فيما مكنهم الله منها يبتغون الدار الآخرة، يستشعرون مسؤوليتهم فيها، فهم في حالة إنفاق من كل ما رزقهم الله، ومن كل إمكاناتهم التي مكنهم الله بها "سبحانه وتعالى"، وبشكلٍ مستمر، روحيتهم روحية عطاء.

في مقابل أن روحية البعض هي روحية أخذ، واستغلال، وانتهازية، واكتساب دائم، واستحواذ دائم، وطمع، فهم على العكس من ذلك، هم يحملون روحية الإنفاق، روحية العطاء، يجودون مما رزقهم الله "سبحانه وتعالى" ضمن التزاماتهم الإيمانية، في مقدمها الإنفاق في سبيل الله، ومن ضمنها الصدقات على الفقراء والمساكين، والإحسان إلى الناس، والإحسان إلى ذوي القربى، إلى غير ذلك.

٥. الْمُسْتَغْفِرِينَ

{وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}، وهم أيضاً، ختم في هذه المواصفات ختمها بالاستغفار، وبدأها أيضاً بطلبهم للمغفرة، فهم على ما هم عليه من صبر عملي في ميدان العمل، ينهضون بمسؤولياتهم وواجباتهم، صبر في مقام التزامهم الإيماني وحذرهم من المعاصي والمحرمات، صدق، انقياد تام لأمر لله، إنفاق مستمر وروحية عطاء، طاعة تامة لله "سبحانه وتعالى"، هم لا يحملون حالة الغرور، الغرور والعجب بالنفس، فينظرون إلى أنفسهم بغرور كبير، يتصور أن الله يتمنى أنه قد مات ليدخله الجنة فوراً، هم لا يزالون يستشعرون تقصيرهم، وهم لا يزالون يخافون من الذنوب والمعاصي، وهم لا يزالون يستشعرون خطورة التفريط، خطورة التقصير، فيبادرون دائماً بالاستغفار وتلافي جوانب التقصير لديهم، حتى في وقت من أحسن الأوقات للذكر والدعاء والاستغفار، يخصصونه للاستغفار، هو وقت الأسحار، في آخر الليل ما قبل طلوع الفجر، ما قبل طلوع الفجر هو وقت السحر، وقت

مـن أحسـن الأوقـات عـلى مسـتوى قبـول الدعـاء، عـلى مسـتوى قيمـة الذكـر والعبـادة، عـلى مسـتوى الأجـواء الذهنيـة والنفسـية للإنسـان، وهـو يتفـرغ في ذلـك الوقـت لذكـر الله "سبحانه وتعالى"، ويتوجه إلى الله "سبحانه وتعالى".

في ذلـك الوقـت مـن يـداوم عـلى اليقظـة فيـه قـد ينظـر إلى نفسـه أنـه أصبـح مـن عظـماء أوليـاء اللـه، ومـن العبَّـاد الذيـن أصبحـت مرتبتهـم ودرجاتهـم في التقـوى والعبـادة والإيمـان عاليـة، فقـد يحمـل شـيئاً مـن الغـرور، وهـم عـلى العكـس مـن ذلـك، لا يشـعرون بغـرور لا تجـاه أعمالهـم واهتماماتهـم والتزاماتهـم، ولا تجـاه قيامهـم في مثـل ذلـك الوقـت الـذي يخصصونـه للاسـتغفار؛ لأنهـم يدركـون أهميـة ذلـك الوقـت فيـما يطلبونه من الله، وأهم وأول مطلبٍ لهم هو طلب المغفرة، طلب المغفرة.

هـذه النـماذج يقدمهـا اللـه "سـبحانه وتعـالى" يعرفنـا بها عـن التقـوى والمتقـين، إضافةً إلى مـا وعدهـم اللـه بـه "سـبحانه وتعـالى"، هـذه كلهـا في متناولنـا جميعـاً، في متنـاول الفقـير والغنـي، في متنـاول المسـؤول والشـخص العـادي مثـلاً الـذي هـو مواطـن ليـس في موقـع مسـؤولية معينـة، وهـذه المواصفـات في قولـه: {الصَّابِرِيـنَ وَالصَّادِقِـينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِـينَ وَالْمُسْـتَغْفِرِينَ}، هـي تفيـد الاسـتمرارية، هـم هكـذا بشـكلٍ مسـتمر، البعـض مـن النـاس يصـبر مرحلـة معينـة، بعـد ذلـك يتغـير تمامـاً، يكـون قانتـاً منطلقـاً بتسـليمٍ تـام لأمـر اللـه، في طاعـة اللـه، فيـما هـو رضـا للـه، لمراحـل معينـة، في مراحـل يتغـير، تصبـح عنـده أولويـات، اعتبـارات أخـرى، يريـد مناصـب، يريـد مكاسـب، يريـد أهدافـاً شـخصية، أو البعـض مـن النـاس يصـل إلى مسـتوى معـين فيدخـل في عقـد وإشكالات فيتوقف؛ أما هؤلاء فمواصفاتهم هذه تفيد الاستمرارية.

تذكر الحساب والجزاء وأثره في الاستقامة

جاءَ الحديثُ أيضاً عن الجزاءِ عن الوعدِ والوعيدِ الإلهي، والإيمانُ بوعدِ اللهِ ووعيدِه في الدنيا وفي الآخرةِ جانبٌ أساسيٌ من الإيمانِ وهو جزءٌ من الإيمانِ باللهِ سبحانه وتعالى، الإيمان بصدقِ وعدِهِ ووعيدِه، الإيمانُ بعزتِه أنَّه العزيزُ وبحكمتِه أنه الحكيم، ولأنَّه العزيزُ ولأنَّه الحكيمُ جلَّ شأنُه فهو لا بدَّ أن يُجازيَ العُصاةَ، لا بدَّ أن يفرِّقَ بين المُحسِنِ والمُسيئ، والمطيعِ والعاصي من عبادِه. وهو أيضاً الذي رَسَمَ لِعبادِه في هذهِ الحياةِ مَنهجاً ليسيروا عليه في حياتِهم ولم يخلُقْهُم عَبَثاً، {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} (المؤمنون ـ ١١٥)، هكذا يقولُ اللهُ جلَّ شأنُه في كتابِه الكريم. لو كانت الحياةُ هذهِ قائمةً على أساسِ الانفلاتِ والفوضى ولا جزاءَ ولا حِسابَ ولا عِقابَ لكانت عبثاً، لكانت عبثاً، اللهُ سبحانه وتعالى هو الحكيم وهو العزيز ولذلك كان للإيمانِ باللهِ جلَّ شأنُه، والإيمانِ بوعدِه ووعيدِه والإيمانِ بالآخرة والإيمانِ بأنَّ الله يُعاقبُ ويُجازي في الدنيا، والإيمانِ بِصدقِ نُذُرِهِ ما جاءَ من الإنذارِ عن طريقِ الرُسلِ والأنبياء وما جاءَ في كُتبِ اللهِ سبحانه وتعالى، والاعتبارِ بما يحدثُ في واقعِ هذهِ الحياة من مَصاديقَ للنذيرِ الإلهي من عقوباتٍ على مرِّ التاريخ لأُممٍ تحدّثَ القرآنُ الكريمُ عنها وعِبَرٍ يُشاهدُها الإنسان حتى في واقعِ حياتِه في عَصرِهِ وزَمنِه تجاهَ ما يُشاهدُ في واقعِ الحياةِ من أحداث، أمّا في هذا الزمنِ تُنقل لنا الكثيرُ من الأحداثِ عَبرَ شاشةِ التلفزيون، ونكادُ نتمكن من الاطلاع على كثيرٍ من الأحداثِ اليوميةِ وبالصوتِ والصورةِ وفيها الكثيرُ من العِبر والكثيرُ من الدروس.

مَرجِعُنا إلى اللهِ سبحانه وتعالى، نحنُ في هذه الحياةِ في قبضتِه وتحتَ سُلطانِه ومَرجِعُنا إليه، وللحسابِ والجزاءِ، والموتُ كما ذكّرنا اللهُ سبحانه وتعالى هو بدايةُ الرجوعِ هذا نحوَ اللهِ سبحانه وتعالى، ونهايةٌ للفرصةِ للعملِ في هذه الحياةِ وللإنابةِ إلى اللهِ سبحانه تعالى، هذا أهمُ ما في الموتِ، الموتُ يعني الموت في حدِّ ذاتِه لا يُعتبرُ عقوبةً ولا يُعتبرُ أمراً مخيفاً لأنه ليسَ بنفسِه عذاباً يُعذبُ اللهُ به الناسَ، يموتُ الأنبياءُ ويموتُ الصالحون ويموتُ الكُل، كُلُ الناسِ يموتون، ولكن

بالنسبةِ لمن أضاعوا هذه الحياةَ وفوّتوا هذه الفرصةَ فمعناهُ أنه أُغلقَ المجالُ أمامَهم نهائياً عن تداركِ ما فوّتوا وفرَّطوا فيهِ في حياتِهم وهنا الخسارةُ وهنا الخطورةُ الكبيرة.

الذين حَسبُوا حسابَ الرجوعِ إلى اللهِ آمنوا بوعدِه ووعيدِه وبالجزاءِ في الدنيا والآخرةِ وبالتالي كانوا يخافون من عذابِ اللهِ سبحانه وتعالى إن فرّطوا أو عصوا اللهَ جلَّ شأنُه أو انحرفوا عن نهجهِ وتوجيهاتِه استفادوا من ذلك، خَشيتُهم من اللهِ وخوفُهم من عذابِه إن فرّطوا أو تورطوا بالعصيانِ كان له أهميةٌ كبيرةٌ في استقامتِهم، عدمُ غَفلتِهم عن الحسابِ والجزاءِ عن المستقبلِ الأبدي الكبيرِ كان له تأثيرٌ إيجابيٌ في استقامتِهم وبالتالي في نجاتِهم، وهذه هي ثمرةُ الخوفِ من اللهِ سبحانه وتعالى ثمرةٌ إيجابيةٌ ليست حالةً سلبيةً، حتى على نفسيةِ الإنسان لا تُمثل حالةً سلبيةً، اللهُ يقولُ لنبيه صلواتُ اللهِ عليهِ وعلى آلِه **{قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}** (الزمر ـ ١٣)، فهذه المخافةُ من عذابِ اللهِ سبحانه وتعالى كانت عاملاً مُهماً في الاستقامةِ وعاملاً مُهماً في النجاةِ شكَّلَتْ وقايةً من الوقوعِ في عذابِ اللهِ سبحانه وتعالى.

في القرآنِ الكريم يأتي الثناءُ على فئةٍ من المؤمنين تميزَتْ باستشعارِها الدائمِ لِقُربِ لقاءِ اللهِ سبحانه وتعالى، هؤلاء الذين يقولُ عنهم في القرآن الكريم **{الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}** (البقرة ـ ٤٦)، يستشعرون بشكلٍ مستمرٍ قُربَ لقاءِ اللهِ سبحانه وتعالى فهم لا يعيشون الغفلةَ عن ذلك يدركون أنَه من المتوقعِ من المُحتملِ أن يكونَ لقاءُ اللهِ في هذا اليوم أو في هذه الساعةِ في الغدِ في كلِ يوم، وبالتالي هُم في حالةِ انتباهٍ ويقظةٍ واستشعارٍ لِقُربِ لقاءِ اللهِ سبحانه وتعالى، يُهيئهم هذا لماذا؟ للاستعدادِ المستمرِ، للسعي لأن يكونوا في جُهوزيةٍ لهذا اللقاءِ، لهذا الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وأنَّهم إليه راجعون.

ويأتي الحديثُ عن الرجاءِ وعن الاستشعارِ لقُربِ لقاءِ اللهِ الذي يترك أثراً عظيماً في جانبين، في جانبِ الانتباهِ من المعاصي، الانتباهِ لما يُسببُ سَخطَ اللهِ وعذابَ اللهِ وغضبَ اللهِ جلَّ شأنُه، والاهتمامِ أيضاً والسعي لما يُوصِلُ إلى ما وَعدَ بهِ من الجزاءِ العظيمِ والفوزِ العظيمِ والخيرِ الكبيرِ والأجرِ الكبيرِ، فَهُم يعيشون حالةَ الرجاءِ والأملِ والتطلعِ إلى ما عندَ اللهِ سبحانه وتعالى من الخيرِ العظيمِ والواسعِ إلى ما وَعدَ بهِ من رِضوانِه وجَنتِه والجَزاءِ الحَسَن، وأيضاً ما وَعَدَ بهِ في الدنيا من العِزةِ من النصرِ من الكرامةِ من الحياةِ الطيبةِ، فهم يعيشون الأملَ والأفُقَ الواسعَ

في حياتِهم متطلعين إلى ما عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، آمالٌ واسعةٌ ولكن في مَحلِها، لا يعيشون وراءَ الوهمِ والسَرابِ والغُرورِ، آمالٌ مُتصلةٌ باللهِ جلّ شأنُه وبما عندَ اللهَ وبما وَعدَ بهِ اللهُ، وفي الوقتِ نفسِهِ أيضاً حالة من الحَذرِ والخَشيةِ تُساعد على الانضباطِ والاستقامة، وهذهِ هي الحالةُ الإيمانيةُ التي يعيشُ فيها الإنسان الرجاءَ والأملَ بالفوزِ العظيمِ لأن يَصلَ إلى أعظمِ خيرٍ وأكبرِ نعيمٍ وأعظمِ سعادة، وفي الوقتِ نفسِهِ أن ينجوَ من عذابِ اللهِ ويسعى للنجاةِ من سَخطِ اللهِ ومن عذابِ اللهِ لأنَّه يُؤمنُ بوعدِ اللهِ وتحتَ هذا العنوانِ كلُ الخيرِ الذي وَعدَ بهِ اللهِ جلَّ شأنُه في الدنيا والآخرةِ، وبوعيدِه، ويَدخل في هذا كلُ العذابِ والانتقامِ الإلهي في الدنيا وفي الآخرة، نستجيرُ بالله من سخط الله.

التكذيب والغفلة عن الحساب والجزاء وآثاره الخطيرة

الصِنفُ الآخرُ همُ الذين يعيشون حالةَ الغفلةِ أو ما قبلَ الغفلة، وأكثرُ من الغفلةِ التكذيبُ، البعضُ من البشر كذَّبوا بلقاءِ اللهِ كذَّبوا بالآخرةِ كذَّبوا بالجزاءِ اعتبروا هذه الحياةَ حياةً عبثيةً غيرَ هادفةٍ، وجودٌ هكذا لمجردِ أن نعيشَ في هذه الحياةِ في وضعٍ مادي بحت، وأن نتصارعَ في هذه الدنيا كبشرٍ يأكلُ القويُ منا الضعيفَ ونبقى نتنافسُ ونتنازعُ ونختلفُ ونلهو ونأكلُ ونشربُ كالأنعام.

هؤلاء الذين كذَّبوا بلقاء اللهِ وكذَّبوا بالآخرة كانت نتيجةُ تكذيبِهم هي الاستمرارُ في الغفلة واللامبالاة والعصيان والانفلات، وهذا وِزرُه عليهم، هذا يُشكلُ خطورةً على الإنسان، التكذيبُ بالحقائقِ الثابتةِ والوقائعِ الآتية التي لا رَيبَ فيها لا ينفعُ الإنسان بشيء لا يُجديه {بَلْ يُرِيدُ الإنسان لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} (القيامة ـ ٥)، سعيُ الإنسان للتكذيبِ بهذهِ الحقيقةِ الكُبرى بالجزاءِ والحسابِ ليطمئنَ نفسَه في حالةِ الانفلاتِ والفوضى والمعاصي والاتِّباع للشهوات هي حالةٌ لا تنفعُ الإنسان بشيء إنما شكَّلت خطورةً كبيرةً عليهِ تُورطهُ تُنسيه الاستعدادَ لهذا المستقبلِ الكبيرِ وتُساعدهُ على الانفلاتِ والضياع، ثمَّ عندما يأتي العذابُ يندمُ الإنسان، والقرآنُ الكريمُ تحدَّث عن خسارةِ هذه الفئةِ من الناس، هذه الفئة أيضاً تشتركُ معها فئاتٌ أخرى من الذين لم يرتقِ إيمانُهم باللهِ ووعدِه ووعيدِه وبالآخرةِ إلى المستوى المطلوب، أي إيمان ضعيف، فعاشوا حالةَ الغفلةِ وحالةَ النسيان، وهذه الفئةُ كثيرة حتى بينَ المُقرِّين بوعدِ اللهِ ووعيدِه والمُقرِّين بالآخرةِ ولكن إقرارٌ بإيمانٍ ضعيفٍ وليسَ بيقينٍ وإيمانٍ قوي، هذه الحالةُ التي يعيشُ فيها الكثيرُ من الناسِ هي حالةُ الغفلة والنسيان، أيضا تشكلُ خطورةً كبيرة على الإنسان فلا يستعد ولا ينضبط ولا يلتزم ولا يتعامل بمسؤولية ويَحسب حسابَ أعمالِه وما يترتبُ عليها من الجزاء،

حالـةٌ خطـيرةٌ جـداً، اللـهُ جـلَّ شـأنُه حـذَّر منهـا في القـرآن الكريـم قـال جـلَّ شـأنُه {اقْـتَرَبَ لِلنَّـاسِ حِسَـابُهُمْ وَهُـمْ فِي غَفْلَـةٍ مُّعْرِضُـونَ * مَـا يَأْتِيهِـم مِّـن ذِكْـرٍ مِّـن رَّبِّهِـم مُّحْـدَثٍ إِلَّا اسْـتَمَعُوهُ وَهُـمْ يَلْعَبُـونَ * لَاهِيَـةً قُلُوبُهُـمْ} (الأنبياء ـ ١،٢،٣)، {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ}، بات قريبا، الوقتُ قريب، الإنسان حتى في حياتِه هذه هي حياةٌ

محـدودةٌ، حيـاةٌ محـدودة تنقـضي وعندمـا تصـلُ إلى نهايتِهـا يُـدرك الإنسـان كـم أنهـا كانـت محـدودةً وكـم كانـت خسـارتُه في تفويـتِ الاسـتفادةِ منهـا وكـم كانـت خسـارتُه فادحـةً عندمـا أضـاعَ الفرصـةَ، ثـمَّ الحيـاة بِكُلِهـا، حيـاة عـلى مسـتوى أمـةٍ أو جيـلٍ أو عـلى المسـتوى البـشري، أمـا في واقعنـا نحـنُ ونحـنُ في آخـرِ الزمـانِ فالمسـألةُ أكـثرُ اقترابـا والآخـرةُ باتـت قريبـةً والحسـابُ ليـس أمـرا سـهلا، الحسـابُ عـلى الأعـمال، الحسـابُ عـلى مـا عَمِلنـاه في هـذه الحيـاةِ من سـيئاتٍ وما لم نعملـهُ في إطـارِ مسـؤولياتِنا وواجباتِنا، والحسابُ على كلِ ما عَمِلَ الإنسان إنْ خيراً فخير وإن شراً فَشر.

اقـترَب، لم يعـدْ بعيـداً بـاتَ قريبـاً، والمسـألةُ مهمـةٌ جـدا لأنـه سـيترتب عليهـا نتائـجُ كبـيرة، المشـكلةُ هـي مـاذا؟ {وَهُـمْ فِي غَفْلَـةٍ}، هـذه هـي حالـةُ الغفلـة التـي تُنـسي الإنسـان عـن أن يُحاسـبَ نفسَـهُ هُنـا في الدنيـا ليصحـحَ وضعيتَـه ليُصلـحَ عَملَـه ليتـداركَ مـا فاتَـهُ لِيُنيـبَ إلى ربِـه، ليُصـوِبَ مَسـارهُ لا يكـون إلى جهنَّـم ليتزحـزحَ هنـا في الدنيـا يتزحزح عن النار.

حالـةُ الغفلـة حالـةٌ خطـيرة جـدا نتيجتُهـا بالتـالي الإعـراض، {وَهُـمْ فِي غَفْلَـةٍ مُّعْرِضُـونَ}، الإعـراضُ عـن النذيـر، الإعـراضُ عـن العمـلِ الصالـح، الإعـراضُ عـن التحـركِ الجـادِ عـن تصحيحِ الوضعِ، وأمـامَ كُلِ تذكيرٍ مـن اللـه سـبحانه وتعـالى وتنبيـهٍ ودلالـةٍ عـلى الأعـمالِ المُنجيـةِ والمفيـدةِ والصالحـةِ تسـتمرُ حالـةُ الغفلـةِ والإعـراضِ واللهـوِ والانشـغالِ الذهنـي والنفـسي بشـكلٍ كبـيرٍ وراءَ الأشـياءِ الهامشـيةِ التـي كان بالإمـكان حتـى لـو انشـغل بهـا الإنسـان أن ينشـغلَ بهـا بحجمِهـا وبمسـتواها ألَّا تأخـذَ كلَّ اهتماماتـه وكلَّ تفكـيره وكلَّ انشـغالِه الذهنـي والنفـسي، يُمكـنُ أن تُعطيَهـا مسـاحةً، اهتماماتُـك اليوميـةُ اهتماماتُـك المعيشـيةُ اهتماماتُـك بشـؤونِ حياتِـك يُمكـنُ أن تُعطيَهـا مسـاحةً معينـةً مـن التفكـيرِ مـن الانشـغالِ الذهنـي مـن الانشـغالِ النفـسي لكـن أن يَصِـلَ الحـالُ بكَ إلى نسـيانِ مُسـتقبلِك الأبـدي والدائـم ونسـيانِ مـا بينَـك وبـينَ اللـهِ والنسـيانِ للـهِ والغفلـةِ عـن اللـهِ وعـن الآخـرةِ فهـذه قضيـةٌ خطـيرةٌ عليـك، خطورتُهـا كبـيرةٌ عليـك، وفي الوقـتِ نفسـه ليسـت مـن الحِكمـة أن تنشـغلَ بأمـورٍ بسـيطةٍ كلَ الانشـغال كلَ الاهتـمامِ وتُعطيهـا كلَ قلبِـك وكلَ مشـاعرِك وكلَ تفكـيرِك وتغفـلَ عـن الأشـياءِ الكبـيرةِ جـداً والمهمـةِ جـداً، فهـذه حالـة

تشكلُ خطورةً عليك، يقول الله في آيةً أخرى {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ} (الأعراف من الآية ١٧٩)، أمرٌ رهيبٌ وخطيرٌ، الكثيرُ والكثيرُ، عددٌ هائلٌ قد يكونون بالمليارات من البشرِ، واللهُ أعلمُ كم من الجِنِّ من الجن والإنس إلى جهنم مستقبلهم إلى جهنم، وكلٌ منّا بحاجةٍ أن يُفكرَ أن يحسبَ حسابَ نفسه ألّا يكون من تلك الأعدادِ الكبيرةِ من تلك المليارات الكثيرةِ من البشرِ والأعدادِ الهائلةِ التي ستتجهُ إلى جهنم، لماذا؟ ما هو السبب؟ ما الذي يؤدي بهؤلاء الكُثر إلى أن يكونَ مصيرُهم

جهنم؟ ما هو؟ لنحذرْ لننتبهْ حتى لا يكونَ الإنسان منهم {لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ؟ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} (الأعراف من الآية ١٧٩)، اللهُ سبحانه وتعالى زَوّدَنا بوسائلَ للمعرفةِ ووسائلَ للتلقي لما يُنذرنا بهِ ويَهدينا إليه بما يصلُ إلينا من هَديهِ وتوجيهاتهِ وإنذارِه ولما نستفيدُ بهِ في واقع حياتِنا ونحن نرى العِبرَ والدروسَ لما يُساعدنا على اليقظةِ على المعرفةِ الصحيحةِ على الانتباه، قلوبٌ وأفئدةٌ نستفيدُ منها فيما نتلقاه بحاسةِ السَمعِ وحاسةِ البصرِ لنخرجَ من حالةِ الغفلة، ولكن إذا لم تستفدْ من هذه الوسائلِ فتنتبه وتتعظ وتحذر فتكونُ النتيجةُ عندَ ذلك هي الغفلةُ، فلا أنت استفدتَ من سَمعِكَ ولا من بَصرِكَ ولا من قلبِكَ و فؤادِكَ وعِشتَ كأنك أصَمٌ لا تسمع وكأنك أعمى لا تُبصر وكأنه لم يكن لك فؤادٌ وقلبٌ يساعدك اللهُ به على الاستيعابِ والفَهمِ فيما يخاطبُك به ويُنذرك به ويُحذرك منه، هذه الغفلةُ هي التي أوصلت الكثيرَ من هؤلاء كثيرا أوصلتهم إلى جَهنّم وأدت بهم إلى جهنّم، حالةٌ خطيرةٌ جداً جداً فالإنسان بحاجةٍ إلى أن يعيشَ حالةَ اليقظةِ وحالةَ الحذرِ وحالةَ الانتباه.

في القرآنِ الكريم مساحةٌ واسعةٌ جداً جداً، مئاتُ الآياتِ القرآنيةُ التي حذَّرتْ وأنذرَتْ، القرآنُ الكريم هو كتابُ إنذارٍ وكتابُ بشارة، والرسولُ صلواتُ الله عليه وعلى أله ورُسلُ الله صلوات الله عليهم بكلِهم كانوا مُنذرين وكانوا مُبشّرين ومنذرين {مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} (النساء من الآية ١٦٥)، والإنسان عندما يعودُ إلى القرآن الكريم ويتأملُه ونحن في هذا الشهرِ المبارك في فرصةٍ مهمة لهذه العودة إلى القرآن والتدبرِ لآياتِه والتأملِ فيما فيه سيزدادُ إيمانا وخوفا من التفريط والإهمال والغفلةِ، وهذا يساعدُ الإنسان على الاستقامةِ على الاتجاهِ بشكلٍ صحيحٍ على ضَبطِ مسيرةِ حياتِه بشكلٍ صحيح.

كما قلنا؛ الفئةُ المؤمنةُ عاشت حالةَ الرجاءِ والأملِ فيما وعدَ اللهُ بهِ، وحالةَ الخَشيةِ والخوفِ والحذرِ من الوقوعِ فيما يُسببُ سَخطَ الله سبحانه، اتجهت في آمالِها ورغباتِها ورجائِها إلى اللهِ، فلم تؤثرْ فيها أيُّ إغراءاتٍ من جانبِ الآخرين، واتجهت في خوفِها من عذابِ الله سبحانه وتعالى فخافت من ذلك فوقَ كلِ خوفٍ فلم تؤثرْ فيها المخاوفُ من الآخرين.

أهم عوامل الانحراف وكيف نتحرر منها؟

من أهمِ عواملِ الانحرافِ في هذهِ الحياةِ في المواقفِ والأعمالِ والتصرفاتِ هي إمّا حالةُ الإغراءاتِ والرغباتِ والشهواتِ، وإمّا حالةُ المخاوفِ تُؤثر في الكثيرِ من الناسِ، لو تُصَنِّف وتُحلل ـ غير التحليلِ السياسي الذي يذهبُ إلى عوارضِ الأشياء ونتائجِ الأشياءِ ولا يُحلل من الواقعِ من مَنبعِ الدوافعِ والأسباب ـ لو تُحلل مواقفَ الكثيرِ من الناسِ من المنحرفين عن نهجِ الله وتوجيهاتِه ممن عبَّدوا أنفسَهم للطاغوتِ حتى في ساحتنا الإسلامية، لو تُصنِّف مواقفَ الكثيرِ من المنافقين من الضائعين من المنحرفين عن نهجِ الله من الذين لم يَزِنُوا مواقفَهم بميزانِ القرآن بميزانِ الحق واتجهوا فيها بدوافعَ أخرى لم يحَسبوا حسابَ أن تكونَ مواقفَ الحقِ التي تُرضي الله وأن ينطلقوا بناءً على توجيهاتِ الله وعلى نهجِه وهَديه، الكثيرُ اتجهوا بدافعِ المطامعِ والرغبات، أطماعٌ في الدنيا، كم الكثيرُ والكثيرُ من الناسِ ممن باعوا مواقفَهم بثمنٍ مادي؟، شخصياتٌ سياسيةٌ كثيرةٌ لأنها تُريدُ أن تحصلَ على أموالٍ معينةٍ باعت مواقفَها، وبالتالي تريدُ أن تحصلَ على رَفاهٍ في المعيشةِ والحياةِ، شخصياتٌ اجتماعيةٌ مشايخ ووجاهات، كثيرٌ من الناس حتى من الأفراد من عامةِ الناس، كثيرٌ من الناس اتجه بدافعِ الحصولِ على مكاسبَ ماديةٍ وباعَ موقفَه، كان هذا هو الدافعُ الرئيسي، لم يحسب حسابَ أي مسألةٍ أخرى، آخرون أثَّرتْ فيهم المخاوفُ، خوفُهم من قوى الطاغوتِ والشرِ والإجرامِ والاستكبار أخضعَهم لها أقعدَهم عن طاعةِ الله، آثروا ـ في مقابلِ أن يحسبوا حسابَ الآخرين، قوى الطاغوت والشر وما بيدِها من وسائلِ القتلِ والدمار ـ آثروا أن يقعدوا وأن يعصوا الله سبحانه وتعالى، أن يخالفوا توجيهاتِه أن يتنصلوا عن المسؤولياتِ التي أمر بها وقعدوا، قعدوا بينما أمرَهُم الله أن يقوموا أن يتحركوا أن يُجاهدوا أن يكونَ لهم مواقفُ رَسمَها في كتابِه الكريم

حدَّدها في آياتِه المباركة، أعرضوا عن كلِ تلك الآيات وتجاهلوها، لماذا؟ تحتَ تأثيرِ الخوف تحت تأثير الخوف، ما يُحررُ الإنسان من أن يَسقُطَ في صفِّ الباطلِ أو أن ينحرفَ في هذه الحياةِ في أفعالِه وتصرفاتِه تحتَ تأثيرِ الرغبةِ وتحتَ تأثيرِ الطمعِ

أو حتى تحت تأثيرِ الخوفِ هو الإيمانُ الصادقُ بوعدِ اللهِ ووعيدِه، معرفةُ اللهِ سبحانه وتعالى مَعرفةً كاملةً ومَعرِفَةَ أنَّه العزيزُ الجبارُ المتكبرُ والحكيمُ والذي سيجازي عبادَه على كلِ أعمالِهم وتصرفاتِهم، أنَّ ما تَرغبُ به نفوسُنا وما نطمحُ إليهِ من حياةٍ طيبةٍ من نعيمٍ هو عندَ اللهِ وبأعظمَ من كلِ ما نُؤمِّلُه، أكبرُ حتى من خيالِنا وأكبرُ حتى من طموحاتِنا وأوسعُ حتى من رغباتِنا، نعيمٌ عظيمٌ لا يُساويه نعيم، وللأبدِ لا نهايةَ له، وأن ما يُمكنُ أن نخافَ منهَ أو أن نَرحمَ أنفسَنا ونسعى أن لا تقعَ فيه من العذابِ والشدائدِ هو عذابُ الله سبحانه وتعالى الذي هو أكبرُ عذاب، {فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} (الفجر٢٥-٢٦)، هذه المسألةُ بحدِّ ذاتِها كفيلةٌ بأن تُصحح مسيرةَ حياةِ الإنسان في أفعالِه ومواقفِه وتصرفاتِه وأن تُحررَه من كلِ التأثيراتِ التي يَسقطُ فيها الكثيرُ من الناس، تأثيرُ الإغراءِ والترغيبِ والشهواتِ، وتأثيرُ المخاوفِ والقلقِ والضغوطِ والتهديدِ والوعيدِ من جانبِ الآخرين، والإنسان إذا صحّحَ إيمانَه بوعدِ الله ووعيدِه وتأملَ في آياتِ الله وكتابِه في ما يتصلُ بهذا الجانبِ سيخافُ اللهَ ويخافُ من عذابِ الله فوقَ كلِ شيء ويرغبُ إلى ما عندَ الله فوقَ كلِ شيء ويتحررُ من العبوديةِ للآخرين ومن الخُنوعِ للآخرين والوقوعِ تحتَ تأثيرهم.

الطامة الكبرى.. مشهد لأحداث يوم القيامة

يقولُ اللهُ سبحانه وتعالى في آياتٍ مباركة وهو يذكّرنا بمستقبلِنا الكبيرِ والحَدثِ الهائلِ الآتي الذي لا ريبَ فيه {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسان مَا سَعَى * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى * فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا *} (النازعات ٣٤-٤٣).

هذا العالَمُ لهُ بدايةٌ وله نهاية، والوجودُ البشريُ أيضاً في إطارِ هذا العالمِ لهُ بداية، وكانت بدايتُه متأخرةً مقارنةً بخلقِ السماواتِ والأرض، ولهُ نهاية، ورأينا الآجالَ طَوت الأجيالَ من قَبلِنا ورحلتْ أُمم، قرونٌ خَلَتْ وذهبت بالكثيرِ من البشريةِ، والقيامةُ آتيةٌ لا ريبَ فيها، نهايةُ هذا العالمِ ونهايةُ هذا الوجودِ هو بقيامِ الساعة، عبَّر القرآنُ الكريم بتعبيراتٍ وعناوينَ وأسماء متعددةٍ عن هذا الحدثِ الكبيرِ والهائل الآتي الذي لا ريب فيه {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ} (النازعات ـ ٣٤).

{الطَّامَّةُ} اسمٌ من أسماءِ الساعة وقيامِ القيامة، {الطَّامَّةُ} هي الكارثةُ الهائلةُ المُدمرة التي ستشملُ كلَ هذا العالم وتشملُ كلَ هذا الوجودِ الذي خَلَقَهُ اللهُ سبحانه وتعالى، وهي أكبرُ حدثٍ هائلٍ منذُ خَلْقِ السماواتِ والأرض، حدثٌ رهيبٌ وهائل جدا يشملُ الأرضَ يشملُ كلَ المجرّاتِ في هذا العالم، يشملُ النجومَ والكواكبَ بكلِها، يشملُ هذا العالَمَ بكلِ ما فيه، يُدمره بالكامل، وحدثٌ هائلٌ جدا ورهيب، ثم بعدَ التدميرِ الكُلي لهذا العالم بكلِ ما فيهِ بمجراتِه بنجومِه بكواكبِه بأرضِه بسمائِه، تُعادُ من جديدٍ صياغةُ هذا العالم وصياغةُ حتى هذه الأرض وتسويةُ هذه الأرض وفقَ مخططٍ إلهي جديدٍ للحسابِ ثمّ الجزاء، {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ} هذا الحدث الهائل هذه الكارثة الهائلة جدا، والمدمرة الشاملة التي لا يستطيع أحدٌ أبداً أن يوقفَها أو أن يحولَ دونَها، {الْكُبْرَى}، كبرى هائلة جدا ومدمرة بشكل رهيب جدا، تحدّثَ القرآنُ الكريم عن تفاصيلِ هذا الدمارِ وهذا الخرابِ الذي سَيحلُ بالعالم، وعن حِصةِ الأرضِ من هذا الدمار، وكيف ستنهارُ بالكاملِ كلُ هذه المجرات، ينهارُ كلُ هذا العالمِ بسمائِه وأرضِه، الكواكبُ تندثر، النجومُ تنطفئ وتتلاشى وتتبعثر، الشمسُ وهي الكتلةُ المتوهجةُ والسراجُ الوَهّاج تنطفئُ وتتكورُ وتتلاشى وتتبعثرُ وتتقطعُ، السماءُ كذلك تنشقُ وتنفطرُ ثم تنهارُ كُلياً وتطوى وتتقطعُ بالغَمامِ ثم تنكمشُ وتتلاشى، الأرضُ كذلك، الأرضُ تتدمرُ تدميراً هائلا، {وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً} (الحاقة ـ ١٤)، واحدة، دكةٌ واحدةٌ تُغيرُ واقعَ الأرضِ بكلِه، تدمرُها تدميراً كليا، فجبالُها تُنسف، كل ما فيها من الجبال {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا(١٠٧)} (طه)، ما بالُك بالعُمرانِ الذي على هذه الأرض، المدن، القرى، المساكن المبعثرة والمُفرّقة على كوكبِ الأرض، بكلِها تنتهي بكلِ بساطة، وتدميرُها ـ في مُقدمةِ دَمارِ هذه الأرضِ ـ سيكون سريعاً وسهلاً جدا، لأنَّ الجبالَ بكلِها تنتسف، لا يبقى لها أثرٌ، تتحولُ إلى غُبارٍ يتطايرُ في الجو، بشكلِه ولونِه، {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} (النمل من الآية ٨٨).

البحارُ والمحيطاتُ التي تُغطي مساحةً كبيرة على الأرضِ ما يُقارب ٧٠٪ أو أكثر فوق الأرض كلُها تتبخرُ وتحترقُ وتُسَجّرُ وتتلاشى، لا يبقى ماءٌ ولا بحارٌ ولا محيطاتٌ ولا جبالٌ ولا مساكنُ ولا مدنٌ ولا قرى، ضربةٌ واحدةٌ، دَكةٌ واحدةٌ تُنهي كلَ هذه الحالة، مع زلزالٍ عظيم جدا يترافق معها في الأرض نفسها، {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإنسان مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى؟ لَهَا (٥)} (الزلزلة)، في بدايةِ القيامة، في بدايةِ

زِلزالِها العظيم، يتفاجأ الإنسان لكن ويموت، يموتُ من تبقى من البشرِ الذين تأتي القيامة ـ وهي قد اقتربت ـ وهُم على قيدِ الحياةِ يموتون بأجمعِهم، يَصعقُ من في السماواتِ ومن في الأرض إلا من شاءَ اللهُ، يموتُ الجميعُ تنتهي الحياة، ودمارٌ هائلٌ جداً لا يطيقُ أحدٌ أبدا أن يتماسكَ مع قيامِ الساعة وهذا الحدثِ الهائل جدا.

إطلالة على ساحة الحشر!

بعد كلِ هذا الدمارِ الذي يُغير مَلامحَ هذا العالمِ تتحولُ الأرضُ إلى ساحة، ساحةٍ مُستويةٍ لا تبقى حتى بشكلِها الكُروي، بل تتحولُ إلى ساحةٍ مستوية، {لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا} (طه ـ ١٠٧)، حتى أبسط عِوجٍ، لا مُنخفضاتٍ ولا مُرتفعاتٍ ولا أماكنَ طالعةً ولا نازلة، بل تتحول إلى ساحةٍ واحدة، إلى عَرَصةٍ واحدة، ويبعثُنا اللهُ من جديد، يبعثُنا لماذا؟ مناسبةُ احتفالٍ واجتماعٍ عادي؟، لا، ذلك اليوم هو يومُ الجَمْعُ الذي جَمعَ اللهُ البشريةَ لهُ وبَعثَها بكلِها، وليس هناك أيُ استثناءاتٍ في عمليةِ البعث، لن يَنسى اللهُ أحداً من خلقِه أبدا، الكلُ سيبعثون بدونِ استثناء، كلُ البشريةِ منذُ آدمَ إلى آخرِ مَولودٍ في هذه البشرية، آخرِ من وضعته أُمُه، الكلُ يبعثُهم اللهُ جميعاً للحساب، ويأتي الجميعُ بعدَ البعثِ في النفخة الثانية، في الصعقةِ الثانية، في الصيحةِ الثانية، يُبعث الجميعُ قياما، {فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ} (الزمر من الآية ٦٨)، يتطلعون إلى ساحةِ الأرضِ وقد أصبحت ساحةً مختلفةً لا مدنَ لا جبالَ، لا قُرى لا أشجارَ، {صَعِيدًا جُرُزًا} (الكهف من الآية ٨)، كما قال في آية أخرى في سورة الكهف، صعيدا مستويا، جرزا يابسا، لا نباتَ فيه أبدا، يُبعث الجميع، يحشرُهم اللهُ قياما واقفين، يتطلعون إلى هذا المنظر، يرى الإنسان نفسَه بينَ كلِ البشرية، بينَ كلِ البشر، قد خُلقوا بأجمعِهم، اجتماعٌ كبيرٌ جداً لم يسبِقْ مِثلَه اجتماعٌ في واقعِ البشرية أبدا، كلُ الأجيال قد بُعثت واجتمعت وحُشرت، والملائكةُ تتحركُ بالجميع، والداعي من الله يُناديهم لتبدأ عمليةُ الانتظام والتنظيمِ والتجهيزِ لعمليةِ الحسابِ في تلك الساحةِ الواسعةِ والشاسعةِ والكبيرة، الجميعُ يُحشرون في حالةِ عبوديةٍ لله سبحانه وتعالى، انتهت كلُ تلك الشكليات التي كانوا عليها في الدنيا، القادةُ، الزعماءُ، الملوكُ، الأمراءُ، المتبوعون، خلاص، الكلُ يُحشرون في حالةِ عبوديةٍ واستسلامٍ وخضوعٍ كاملٍ لله سبحانه وتعالى،

{إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} (مريم ـ ٩٣)، في حالة من العبودية التامة، لا يأتي أحدٌ مَهما كانَ في هذه الدنيا كبيراً أو متكبراً أو مغروراً

أو معظّمَاً، لا يأتي في ذلك اليوم لا بمرافقيه ولا بجيوشِه ولا بأنصارِه ولا يُعاضدُه أحدٌ، لا، يأتي كعبد، {إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} (مريم ـ ٩٣، ٩٤، ٩٥)، إحصاءٌ كاملٌ للبشريةِ بكلِها لكلِ إنسان، لا نسيانَ لأحدٍ ولا غفلةً عن أحد، ولكن كلُ يأتي كفرد، ليسَ كقائدٍ لهُ جيوشٌ ويُحيطُ به أنصارٌ وحِماية، لا، فردا، بمفردِه، عبدا ضعيفا عاجزا لا يستطيع أن يحتميَ بأحدٍ ولا أن يستنصرَ بأحِد، ولا أن يُدافعَ عنه من الناس أحد، لا قرابةَ ولا أصحابَ ولا أي شيء، {لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا} (لقمان من الآية ٣٣).

مرحلة تدمير العالم ثم البعث من جديد

هَولُ الساعةِ الذي يُدمِّرُ هذا العالمَ بكلِه، ويُدمر الأرضَ تدميراً كلياً، ينسفُ جبالَها، ويُسجِّرُ ويبخرُ مياهَها وبحارَها ومحيطاتِها، ويُسوي الأرضَ على نحوٍ تام، لا يَبقى فيها أيُ عِوج ولا أيُ منخفضاتٍ ولا مُرتفعات، لا منخفضات ولا مرتفعات، {فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً} (طه ـ ١٠٦، ١٠٧)، أي يتبدّلُ هذا العالَمُ، تتبدَّلُ الأرضُ، تتبدَّلُ السماواتُ، كما قال الله {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} (إبراهيم ـ الآية ٤٨)، هذه الحالة من تدميرِ الأرضِ وتسويتِها إلى ساحةٍ مستويةٍ تماماً لتؤديَ دوراً آخرَ ووظيفةً أخرى، هي في البدايةِ كانت عالماً لنعيشَ فيه كبشرٍ، مهيأةً لمعيشتِنا ولكلِ أسبابِ معيشتِنا، أمّا بعدَ القيامةِ فلها وظيفةٌ أخرى ومحدودةٌ ومؤقتة جداً.

الله جلَّ شأنُه يبعثُ الخلائقَ ما بعَد قيامِ الساعةِ وتدميرِ هذا العالم وتدميرِ الأرض، وفَناءِ كلِ مَن كانوا لا يزالون على قيدِ الحياة، يَنفخ في الصُورِ مرةً أخرى، وتأتي صيحةٌ أخرى، صيحةٌ واحدةٌ، صيحةٌ واحدة، فيبعثُ اللهُ البشرَ من جديدٍ، ويبعثُ الخلائقَ من جديد، ويُعيدُ إليهم الحياة. مَشهَدُ البعثِ تحدَّثتْ عنه آياتٌ قرآنيةٌ مثلُ قولِ الله سبحانه وتعالى {يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} (ق ـ الآية ٤٤)، {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ} (يس ـ الآية ٥١)، يقول أيضاً في آيةٍ أخرى {يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ} (القمر ـ من الآية ٧)، هذه حالةُ البعثِ السريعةُ جداً التي يَبعثُ اللهُ فيها البشرَ فيخرجون من بطنِ الأرض، يخرجون من التُربة، وبشكلٍ سريع {سِرَاعاً} {تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً} فيخرجون، {يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ} بكثرةٍ كبيرة، كلُ البشرِ يُبعثون ويخرجون، فعندما يخرجون وبعد عمليةِ الحياةِ والبعثِ يقولُ اللهُ سبحانه وتعالى عنهم {مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ} (القمر ـ من الآية ٨).

الترتيبات لعملية الحساب!

بعد عمليةِ البعثِ وعودةِ الحياة والخروجِ من الأجداث ومن التربة من القبور، من التربة من الأرضِ نفسِها، تأتي العمليةُ الرئيسيةُ للحَشرِ والحساب، التي هي عمليةُ تجميعِ البشر، وتنظيمِهم، تجميعهم وتنظيمِهم لعمليةِ الحساب، والقضاءِ فيما بينهم، الحسابِ على أعمالِهم، والمساءلةِ على أعمالِهم، وإثباتِ الملفاتِ المتعلقةِ بأعمالِهم وتصرفاتِهم في هذه الحياة، والقضاء فيما بينهم، فيما بينهم من مظالم، فيما بينهم من نزاعاتٍ واختلافات وخُصومات، يقضي اللهُ بينهم، ثم بعدَ ذلك عمليةُ الانتقالِ من على الأرضِ بالكامل، الانتقالِ إلى عالَمِ الجزاء، عالَم الجنة وعالم النار.

ولذلك بعدَ البعثِ مباشرةً هناك عمليةُ تنظيمٍ لهم وتجميع، ولهذا قال الله جلَّ شأنه عن هذه الحالة {مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ} (القمر ـ من الآية ٨)، طبعاً حالةُ الذهول بعد البعثِ والتفاجؤ بتلك اللحظة، بالذات مَن كانوا مُكذبين بها ولا يحسبون حسابَها، {يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} (يس ـ من الآية ٥٢).

والإنسان في تلك اللحظةِ يَستقلُّ كلَ ماضي حياتِه في الدنيا، الحالةُ التي عاشها الإنسان في الدنيا عبَّر القرآنُ عن استقلالِ الناس لهذه الحالة {كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ} (يونس ـ من الآية ٤٥)، كأنَّ المرحلةَ في الدنيا هذه لم تكُنْ إلا ساعةً واحدةً، وكأنَّها كانت عبارةً عن ساعةٍ تعارفَ فيها الكلُ ثم انتهت وانقضت، والمرحلةُ من بعدِ الموتِ إلى يوم الحسابِ كذلك يستقلُها الإنسان جدًّا، يستقلُها الإنسان وكأنَّها كانت كذلك، ساعةً، يوماً، بعضَ يوم، بحسبِ التقديراتِ المختلفة، بحسبِ التقديراتِ المختلفة، {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} (الروم ـ من الآية ٥٥)، {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ} (الروم ـ من الآية ٥٦)، {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} (النازعات ـ من الآية ٤٦)، {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ} (المؤمنون ـ ١١٢ - ١١٣)، تختلف وتتفاوت التقديرات، {إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً} (طه ـ من الآية ١٠٤)، أو {إِلَّا عَشْراً} (طه ـ من الآية ١٠٣)، البعضُ يُقدِّرُ عشرةَ أيام، البعضُ يُقدِّرُ يوماً، البعض يُقدِّرُ بعضَ يوم، البعض يُقدِّرُ، تختلفُ التقديراتُ فيما بينهم، أكبرُ التقديراتِ للبعض يقول "عشرة أيام"، البعض يقول "بعض يوم"، البعض يقول "يوماً"، البعض يقول "ساعةً واحدة"، يستقلُ الناسُ كلَ

ذلك الماضي، يُصبح قليلاً جدًّا، وقد بُعثوا لحياةٍ أبديةٍ لا حسابَ فيها للزمنِ ولا تقديرَ فيها للأعمَار، حياةٍ أبديةٍ

{مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ}، {يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ} (طه ـ من الآية ١٠٨)، استجابة تامة وانقياد وخضوع تام، ليس هناك أحدٌ كما في الدنيا يَعصي، يتمرد، يتعنت على اللهِ سبحانه وتعالى، لا، الداعي الذي يدعوهم ويُنظمهم يستجيبون لهُ بشكلٍ تام، وبشكلٍ سريع، وبدونِ تردُّد، وبخشوعٍ تام، والمقام آنذاك مقامُ خشوعٍ وخُضوع واستشعارٍ لعظمةِ الله سبحانه وتعالى واستشعارٍ لجلالِ الموقف {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً} (طه ـ من الآية ١٠٨)، بالرغمِ من كثرةِ الخلائق، من كثرةِ الناس، وقد حُشر الجميع، ولكن هناك خضوعٌ ورهبةٌ وإجلالٌ للموقف، الخشوعُ هذا لدرجةِ أنَّك لا تسمعُ إلا الهَمس، ليس هناك صِياح، ليس هناك أصوات مرتفعة، ليس هناك حُنجرات تصدَحُ بكلِ قوة، ليس هناك أحدٌ يتكلمُ بصوتٍ رفيع، لا، الكلُ في حالةٍ تامة من الخشوع والخضوع، وإذا تكلموا فيما بينهم يتكلمون بالهمسِ والصوتِ المنخفض جدًّا، حالةٌ مَهيبةٌ جدًّا، حالة مهيبة جدًّا، وُصولاً إلى الصمتِ الكلي، في مرحلةٍ من مراحلِ الحسابِ يصمتُ الجميع {يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ} (هود ـ من الآية ١٠٥)، يصمتُ الجميعُ لا يتكلم أحدٌ إلا بإذن.

وتأتي عمليةُ التنظيم للحساب، يقول الله جلَّ شأنُه {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً} (الكهف ـ ٤٧)، مُستويةً لم يَعُدْ فيها لا جبالَ، ولا موانعَ، ولا حواجزَ ولا أي شيء، {وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً * وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} (الكهف ـ ٤٧ - ٤٨)، تبدأُ عمليةُ العَرضِ على الله جلَّ شأنه، العرض في مقام الحساب، والتنظيم بشكلِ صفٍ مستوٍ، يُصَفَّ الناس، يُصَفّون ويقفون في مقامِ الحسابِ للعرضِ أمام الله سبحانه وتعالى، ومقامٍ عظيم ومَهيب جدًّا، مهيبٍ للغاية.

الإنسان في مواقفِ الحساب وهي مواقفُ متعددةٌ ومراحلُ متعددة، ما بعدَ البعثِ والنشر، ما بعد عملية التجميعِ للحساب، ما بينَ الترتيباتِ الأولية لعمليةِ الحساب، وفي بدايتِها قُدومُ الملائكةِ بأعدادٍ هائلةٍ جدًّا، قُدومُهم ونُزولُهم إلى ساحةِ المحشرِ مرحلةٌ مهيبة جدًّا، والاستحضارُ والاستشعارُ للقُربِ من الله سبحانه وتعالى ولحضورِه على نحوٍ غيرِ مسبوق، {كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً * وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً} (الفجر ـ ٢١ - ٢٢)، لحظة مهيبة، اللحظة التي يستشعرُ فيها البشرُ قُربَ الله سبحانه وتعالى والقربَ من الله، والحضورَ الإلهي، يستشعرون هذا على نحوٍ لم يسبقْ لهُم أن استشعروه أبداً، ومجيئُ الأفواجِ الهائلة والأعدادِ الكبيرة جدًّا من

الملائكـة، وحضورُهـم إلى سـاحةِ المحـشر والمشـاهدةُ لهـم، الإنسـان يشـاهدُ الملائكـةَ وهـم آتـون، والمجيـئُ بالعـرشِ الـذي سـيكون بمثابـةِ القِبلَـةِ والمقـرِ لكبـارِ الملائكـة، ولإدارةِ عمليةِ الحساب، أمرٌ هائل جدًّا، وأمرٌ رهيب للغاية.

"وجيء يومئذ بجهنم".. اللحظة الرهيبة!!

أيضاً لحظـة مـن اللحظـات الرهيبـة في سـاحةِ المحـشر والمهيبـة جـدًّا هـي مَجـيءُ جهنـم، هـذه لحظـةٌ رهيبـةٌ جـدًّا، ومهيبـة جـدًّا، {وَجِـيءَ يَوْمَئِـذٍ بِجَهَنَّـمَ} (الفجر ـ مـن الآيـة ٢٣)، وفي آيـةٍ أخـرى كذلـك {وَبُـرِّزَتِ الْجَحِيـمُ لِمَـن يَـرَى} (النازعـات ـ الآيـة ٣٦)، {لِمَـن يَـرَى} لحظـة مهيبـة جـدًّا؛ لأنَّ جهنّـمَ هـي عبـارةٌ عـن عالَـمٍ كبيرٍ جـدًّا، والمجـيءُ بهـا والتقريـبُ لهـا حتـى تُشـاهَدَ مـن سـاحةِ المحـشر سيشـاهدُها البـشر، عندمـا تـأتي كلُ هـذه الترتيبـاتِ والإجـراءاتِ والحضـور الهائـل للملائكـة والانتشـار الواسـع لهـم في سـاحةِ المحـشر، ثـم التقريـبُ لعالَـمِ جهنّـم حتـى تُشـاهَدَ مـن عـلى سـاحةِ المَحـشر ويراهـا البـشر، في تلـك اللحظـات أكـثرُ مـا يُركِّـزُ عليـه الإنسـان ويُـدركُ أهميتَـهُ وحساسـيتَه هـو مـاذا؟ العمـل، العمـل ومـا أدراك مـا العمـل، {وَبُـرِّزَتِ الْجَحِيـمُ لِمَـن يَـرَى}، في تلـك اللحظـة الإنسـان يتذكـرُ عَمَلَـه، {وَجِـيءَ يَوْمَئِـذٍ بِجَهَنَّـمَ يَوْمَئِـذٍ يَتَذَكَّـرُ الإنسـان وَأَنَّى لَـهُ الذِّكْـرَى} (الفجـر ـ الآيـة ٢٣)، حتـى أولئـك الذيـن عاشـوا في هـذه الحيـاة حالـةَ الغفلـة والتجاهـل واللامبـالاة، والبعـضُ إلى درجـةِ التكـبرِ والنكـرانِ لهـذه الحقائـق، والجُـرأةِ الشـديدةِ عـلى إنكارِهـا، في تلـك اللحظـات خـلاص، لا مجـالَ للإنـكار، {يَتَذَكَّـرُ الإنسـان} ينتبهُ ويُدرك أهميةَ العمل.

الإنسـان في تلـك الحالـة {يَتَذَكَّـرُ الإنسـان مَـا سَـعَى} (النازعـات ـ مـن الآيـة ٣٥)، يتذكـرُ أعمالَـهُ التـي قـد عَمِلَهـا في هـذه الحيـاة، في الوقـتِ نفسِـه يتذكـرُ تقصيرَه، يتذكـرُ أهميـةَ الأعـمالِ ذاتِ القيمـةِ العظيمـة للنجـاةِ والفـوزِ والتـي لم يتفاعـل معهـا حينـما عُرضـت عليـهِ في الدنيـا، حينـما عُرضـت عليـه في حياتـه، حينـما كانـت تُتـلى عليـه آيـاتُ اللـه وفيهـا الإرشـادُ مـن اللـه إلى تلـك الأعـمالِ العظيمـةِ التـي فيهـا نجاتُـه وفـوزُه، الوعـدُ عليهـا بالجنـةِ والفـوزِ والرضـوان، والتفريـطُ فيهـا يُسـببُ للإنسـانِ الخسـارةَ والوصـولَ إلى جهنَّـم، لذلـك مـاذا سـيقولُ الإنسـان في تلـك اللحظـة؟ يـرى الملائكـةَ وقـد احتشـدت بالمليـارات، وانتـشرت بشـكلٍ كبـير، يَـرى ترتيبـاتِ وإجـراءاتِ الحسـابِ والمسـاءلة، يـرى جهنـمَ وقـد اقتربـت كعـالمٍ رهيـبٍ وهائـل، كلُـه عـذاب وكلُـه نـيرانٌ مستعرة {يَقُـولُ يَـا لَيْتَنِـي قَدَّمْـتُ لِحَيَـاتِي} (الفجـر ـ الآيـة ٢٤)، يتمنـى وهـو يتحـسرُ تحسراً شـديداً، ومـا مـن

فرصةٍ آنذاك ما من فرصةٍ لأي عملٍ يعملُه الإنسان لا للخلاصِ مما قد تورَّط فيه في حياتِه في الدنيا، ولا لتداركِ ما فاتَ بعملٍ يقرِّبُه إلى الله سبحانه وتعالى ويكسب به مرضاتَه والنجاةَ من عذابِه.

{يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} (الفجر ـ الآية ٢٤)، كلُ هذه التفاصيل التي عرَضَها القرآنُ الكريم عن مراحلِ الحسابِ والجزاءِ والقيامة والتفاصيلِ المتعلِّقةِ بالجنة والتفاصيلِ المتعلِّقة بعذابِ الله في النار، كلُ تلك التفاصيل التي عرَضَها لنا القرآنُ الكريم لنتذكرَ هنا، لنتأثرَ هنا، لنستفيدَ هنا، لنتداركَ هنا، وأمامَنا الفرصةُ، لا نُفوِّت هذه الفرصةَ، هذه الحالةُ المهمة والرهيبة التي يتذكرُ الإنسان فيها العمل، {يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإنسان مَا سَعَى} (النازعات ـ الآية ٣٥)، الإنسان في تلك الحالة {يُنَبَّأُ الإنسان يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} (القيامة ـ الآية ١٣)، ولا مفرَّ ولا مَهرب، {يَقُولُ الإنسان يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ} (القيامة ـ ١٠ - ١١)، ليس هناك من مَلجأ ولا مَنجى، ولا مكانَ للاختباءِ فيه، ولا للتملصِ والتهربِ من المحاسبةِ أمام الله سبحانه وتعالى.

"وإذا الصحف نشرت" وتبدأ عملية الحساب

في تلك اللحظات الرهيبة والهائلة جدًّا تأتي مرحلةُ الحساب، تبدأُ عمليةُ الحسابِ بتوزيعِ الصُحُف، ويُؤتَى كلُ إنسانٍ كتابَه {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً} (الإسراء ـ من الآية ١٣)، لكل إنسانٍ صحيفةُ أعمالِه، هذا الكتابُ هو صحيفةٌ لعملِ الإنسان، مُوثَّقٌ فيه ما عَمِلَه هذا الإنسان توثيقاً دقيقاً، لا يَفوتُ شيءٌ من أعمالِ الإنسان في الخير، أو في الشر إن كان عملُه عملَ الشر، الإنسان يستلمُ هذا الكتاب، وحتى عملية التسليمِ هي تدلُ على محتوى هذا الكتاب، وعلى مَصيرِ هذا الإنسان، الإنسان إما أن يُؤتَى كتابَه بيمينه، وهذه بشارةٌ للإنسان، والإنسان المؤمن الإنسان الفائز تأتيه البشاراتُ والطمأنةُ من بعدِ عمليةِ البعثِ مباشرةً، وفي مراحلِ الحسابِ مرحلةً مرحلة، أمّا الخاسرين فلا، العكسُ من ذلك، كلُ مرحلةٍ من تلك المراحل تأتي فيها المؤشراتُ المخيفةُ والعلاماتُ السيئةُ لخسارتِهم وهلاكِهم، وهذه أمورٌ رهيبة جدًّا في العرضِ على الله سبحانه وتعالى {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ} (الحاقة ـ الآية ١٨)، وتسليمُ الصحفِ والكتب، {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً} (الانشقاق ـ ٧،٨،٩)، {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ} (الحاقة ـ الآية ١٩)، يَسعد يستبشر يعيشُ حالةً من الفرحةِ لم يسبِقْ له أن فَرِحَ بمثلِها أبداً،

هـذه فرحـةٌ كبـيرة جـدًّا، {فَيَقُـولُ هَـاؤُمُ اقْـرَؤُوا كِتَابِيَـهْ}، هـذه حالـةٌ مـن السـرور والسـعادةِ والابتهـاج؛ لأنها حالـةٌ اطـمأنَ فيهـا إلى مسـتقبلِه الأبـدي الـذي لا نهايـةَ لـه، إلى مسـتقبلِه الدائـم، مسـتقبلٍ كبـيرٍ وعظيـم ومهـمٍ للغايـة، {فَيَقُـولُ هَـاؤُمُ اقْـرَؤُوا كِتَابِيَـهْ * إِنِّي ظَنَنـتُ أَنِّي مُـلَاقٍ حِسَـابِيَهْ} (الحاقـة ـ ١٩ - ٢٠)، كنـت أستشـعرُ هـذا اليـوم، كنـت أستشـعرُ في الدنيـا أننـي سأحاسـب؛ وبالتـالي كنـت أعمـلُ لحسـابِ هـذا اليـوم، وأحسـب حسـابَه في أعـمالي؛ لأعمـلَ الأعـمالَ التـي فيهـا نجـاتي، وفيهـا فـوزي، وفيهـا رضى الله سبحانه وتعالى وفيها الوصولُ إلى جنتِه، فرحةٌ كبيرة جدًّا.

العلامة الخطيرة للخسارة الكبيرة

لكـنَّ الإنسـان الخـاسرَ والخائـبَ عندمـا يُـؤتى كتابَـه مـن وراءِ ظَهـرِه، عندمـا يُـؤتى كتابَه مـن وراءِ ظَهـرِه ليسـتلَمه بِشـمالِه تكـونُ علامـةً خطـيرةً جـدًّا، علامـةً للخسـارةِ فهـو يصيـحُ، يصيـح {يَـا لَيْتَنِـي لَـمْ أُوتَ كِتَابِيَـهْ}، يقـول اللـهُ عـمَّا يقولونـه آنـذاك {يَـا لَيْتَنِـي لَـمْ أُوتَ كِتَابِيَـهْ * وَلَـمْ أَدْرِ مَـا حِسَـابِيَهْ} (الحاقـة ـ ٢٥ - ٢٦)، يـا ليتنـي لم أسـتلمْ هـذا الكتـاب، ويـا ليتنـي لم أدرِ مـا هـو حسـابي، ومـا هـو جـزائي، وأيـن هـو مصـيري، وحالـة مـن التحسُـرِ والعـذابِ النفسـي لا يُمكـن أن نتخيلَهـا، الإنسـان يـرى أنـه سـيعيش للأبـد في حالـةِ خُـسرانٍ وعـذاب، كـم هـي حسرتُـه، كـم هـي ندامتُـه، كـم هـو عذابُـه النفسـي وتحسُـرُه وهـو يـدركُ أنهـا قـد أتتـه الفرصـةُ التـي كانَ بإمكانـه أن يفـوزَ بهـا، وأن ينجـوَ فيهـا، ولكنـه أضاعهـا وأهملَهـا، وغَفـل، وتجاهـلَ، ولم يبـالِ، ولم ينتبـهْ، لم يسـمعْ لنـداءاتِ اللـه، ولا لتوجيهاتِـه، ولا لآياتِـه، تكـبَّرَ، واغـترَّ، وأعـرضَ، وتجاهـلَ، واسـتهترَ، وسَـخِرَ، ولم يبـالِ، حـسرةً كبـيرة جـدًّا جـدًّا. {وَوُضِـعَ الْكِتَـابُ فَـتَرَى الْمُجْرِمِـينَ مُشْـفِقِينَ مِـمَّا فِيـهِ وَيَقُولُـونَ يَـا وَيْلَتَنَـا مَـالِ هَـذَا الْكِتَـابِ لَا يُغَـادِرُ صَغِـيرَةً وَلَا كَبِـيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَـا وَوَجَـدُوا مَـا عَمِلُـوا حَـاضِراً} (الكهـف ـ الآيـة ٤٩)، يندهشـون، يندهـشُ الإنسـان حينئـذٍ، يندهـشُ بشـكلٍ كبـير، لأنـه يجـدُ في صحيفـةِ أعمالـه كلُ التفاصيـل، كلُ التفاصيـل، كيـف سُـجّلَتْ ووثقـتْ عليـه كلُ تلـك التفاصيـل، {يَعْلَـمُ خَائِنَـةَ الْأَعْيُـنِ وَمَـا تُخْفِـي الصُّـدُورُ} (غافـر ـ مـن الآيـة ١٩)، تفاصيـل كثـيرةٌ وجزئيـاتٌ كثـيرة مـن أعـمالٍ لم يكـن يتوقـع أنهـا سـتُحصَى عليـه، وأنـه لـن يفـوتَ منهـا شيء، وأنهـا قـد وثِّقـت بكلِهـا، وتوثيقـاً مرئيـاً حتـى، {وَأَنَّ سَـعْيَهُ سَـوْفَ يُـرَى * ثُـمَّ يُجْـزَاهُ الْجَـزَاءَ الْأَوْفَى} (النجـم ـ ٤٠،٤١)، توثيـقٌ لـكل أعـمالِ الإنسـان وكلِ تصرفاتِـه السـيئة، عـلى مسـتوى خائنـةِ الأعـين، تلـك النظـرةُ الحـرامُ والتـي لم تـدُمْ طويـلاً ولكنهـا كانـت متعمـدةً وسُـجِّلَتْ عليـه، خفايـا الصـدورِ التـي كانـت مُخبـأة، تطلـع عَـداوات، أحقـادٌ بغـير حـق، سـوءُ ظـنٍ بغـيرِ حـق، معـاصي كثـيرة، كانـت مخبـأة في

خفايا النفوس والصدور {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} (الطارق ـ ٩)، {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} (غافر ـ الآية ١٩)، حالة رهيبة جدًّا آنذاك، حالة الحسرة والندم، وحالة الخوف الشديد لكل الخاسرين وكل الخائبين، وحالةُ الرهبةِ الشديدةُ والكربِ الشديدِ جدًّا {إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ} (غافر ـ من الآية ١٨)، تصل قلوبُهم إلى حناجرِهم من شدةِ الرُعبِ والفزعِ والخوفِ والرهبة، حالةٌ رهيبة جدًّا، وحالةٌ مَهيبة للغاية، والإنسان فيها يتحسر ويتندم.

يوم الفصل.. وما أدراك ما يوم الفصل؟!

وتبدأ في عمليةِ الحسابِ على المستوى الشخصي، وعلى المستوى الجماعي، على مستوى الإنسان كإنسان، ملفاتُ أعمالِه الشخصية، وتصرفاتُه الشخصية، مشاكلُه مع الآخرين والفصلُ فيما بينهم، مع ذلك الشخص، مع تلك المنطقة، وهكذا، ثم المُحاسباتُ العامةُ للأمم والأقوام والتوجهات، كلُ أُمّةٍ جمعتَها فكرةٌ وعقيدةٌ وقضيةٌ وقيادةٌ ومنهجٌ تعتمدُ عليه، كذلك يُفصل ما بينَها وبينَ تلك الأمةِ الأخرى التي اختلفت معها وتعارضت معها وتنازعت معها، ويأتي الفصلُ الإلهيُ بين الجميع {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} (الزمر ـ الآية ٦٩)، {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} (الإسراء ـ من الآية ٧١)، يأتي بعد الحسابِ الشخصي الحسابُ الجماعي، ويفصلُ اللهُ بين العباد، في تلك الساحة ساحةِ الحسابِ ساحةِ الجزاء، لا مجالَ للمغالطة، لا يمكنُ أن يَستندَ طرفٌ ما إلى ماكينةٍ إعلاميةٍ تُروجُ له طُغيانَه وظُلمَه، وتُبررُ له جرائمَه، لا، حينئذٍ لا ماكينة إعلامية، ولا إمكانيةً للتزييف للحقائق ولا للخداع، الحقائقُ هي التي ستكون متجليةً وواضحةً وظاهرة، والحكمُ هو اللهُ الذي لم يَخْفَ عليهِ شيءٌ، {أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} (الطلاق ـ من الآية ١٢)، والشهودُ هم الملائكة، والوثائقُ هي الصُحف التي تَوثقتْ فيها كلُ الأعمالِ والمواقف والتصرفات، لا مجالَ للمخادعةِ، ولا مجالَ لتضييعِ الحقائقِ أبداً، ويفصلُ اللهُ بين العبادِ، لا يستطيع الإنسان أن يأتيَ مستنداً إلى قُدراتٍ إعلامية، أو قدراتٍ فكريةٍ وثقافية، أو مواهب معينةٍ ليغطيَ على الحقائق، ذلك اليومُ هو يومُ تجلي الحقائق، وظهورِ الحقائقِ والخفايا والحسابِ بين البشر، هو يومُ الفصلِ الذي يفصل اللهُ فيه بين العباد، ولذلك من أهمِ ما في يومِ القيامةِ تجلي

العدلِ الإلهي، الفصلُ هناك والفرزُ بين الحقِ والباطل، بين المُحقين والمُبطلين، بين الظالمين والمظلومين، ليس هناك أيُ اصطفافاتٍ وتموضعاتٍ من نوعٍ آخر، لا، أبداً، لم يعدْ من مجالٍ أبداً، الفرزُ سيأتي على هذا الأساس، المؤمن والفاجر، البار

والفاجِر، المُطيع والعاصي، المظلوم والظالم، المُحق والمُبطِل، تبدأُ عمليةُ الفرز، من أهمِ مواطنِ الانتصار والانتصارِ الكبيرِ حينئذٍ هو للمظلومين والمؤمنين والمستجيبين لله سبحانه وتعالى، والذين وقفوا في هذه الدنيا متمسكين بنهجِ الله، ومتَّبعين لِرُسلِه وأنبيائِه، ومُطيعين له سبحانه وتعالى، الذين كانوا في هذه الحياةِ يخشون الله، يخشون ربَهم بالغيب، ويُؤثرون طاعتَه، وحَسبوا حسابَ ذلك اليوم وتلك الوقفةِ أمام الله سبحانه وتعالى وهم في هذه الدنيا، اللهُ جلَّ شأنُه قال {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} (غافر ـ ٥١،٥٢)، الظالمون حينئذٍ، الظالمون يوم ذاك سيكونون في وضعيةٍ فظيعةٍ ورهيبة جدًّا، كلُ تبريراتِهم، وكلُ الأعذارِ التي سيحاولون أن يبرروا بها ما فعلوه في هذه الدنيا وقد ظلموا عبادَ الله، ظلموا من اتجهوا في هذه الحياةِ ليتمسكوا بنهجِ الله، ليؤمنوا باللهِ العزيزِ الحميد، ليتَّبعوا منهجَه، ليتمسكوا بآياتِه، فطغى عليهم الظالمون وحاربوهم وظلموهم في هذه الحياة، لماذا؟ لأنهم لم يخضعوا لهم، لم يَسيروا في صَفِهم، لم يطيعوهم في معصيةِ الله، لم ينهجوا منهجَهم في الباطل، فظلموهم، حينئذٍ يأتي الانتصارُ الكبير {يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ}، يلعنُهم اللهُ ويُقررُ مصيرَهم إلى جهنم والعياذ بالله.

عملية الفرز.. قبل الانتقال إلى عالم الجزاء

حالاتُ الفرزِ الجماعي في ساحةِ المحشر هي من المراحلِ المهمة في يوم القيامة، والتي سيظهر فيها أو تتجلى فيها خسارةُ أولئك الذين كانوا في هذه الدنيا في صفِ الباطل، فرزٌ حتى في داخلِ الساحةِ الإسلامية، أو واقعِ المسلمين، حتى في داخلِ الأمة التي هي أمةٌ محسوبةٌ على الإسلام، من هو الصادقُ ومن هو المنافق؟، من هو الوفيُ مع دينِه والثابتُ على الحق؟، يُفرَزُ المجرمون والمنافقون والفاسقون والفاجرون، ويخرجون من داخلِ صفِ المؤمنين، ويُميزهم الله {وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ} (يس ـ الآية ٥٩)، حالة رهيبة جدًّا، لدرجة أن المنافقين يسعون ويحاولون أن يعودوا إلى داخل المؤمنين، ولكن تمنعهم ملائكة الله سبحانه وتعالى {قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً} (الحديد ـ من الآية ١٣)، طردٌ لهم، مرحلةٌ مهمة جدًّا، هي مرحلةُ ما قبلَ المرحلةِ النهاية التي بعدها تبدأُ عمليةُ الانتقالِ من ساحةِ الأرض إلى عالمِ الجزاء، من سينتقلون إلى الجنة، من سينتقلون إلى النار.

ما قبلَ هذه المرحلةِ الأخيرة، المحطةِ الأخيرةِ في المَحشر، بعدَ إكمالِ عمليةِ الحساب، وبعدَ عمليةِ التمييزِ والفرزِ والتجهيزِ لكلِ اتجاه، من ستكونُ وجهتُهم الجنّة وباتوا مفروزين لوحدِهم، ومعزولين لوحدِهم، ومَن إلى جهنَّم من الكافرين والمنافقين والفاسقين والفاجرين والظالمين، وباتوا كذلك مَفروزين لوحدِهم تمهيداً وتجهيزاً لمرحلةِ الانتقال مِن ساحةِ المَحشر إلى عالمِ الجزاء.

وتكتمل عملية الفرز والفصل بين العباد

تكتملُ عمليةُ الفرزِ حتى - كما قلنا فيما ذَكَرَهُ القرآن الكريم من داخلِ صفِّ المسلمين يُخرِجُ اللهُ بإرسالِه الملائكةَ لهذه المهمة ـ الفاسقين، والمنافقين، والمجرمين، والفجار، والعصاة، ويتمُ إخراجُهم من صفِّ المسلمين.

تكتملُ عمليةُ الفَرْزِ إلى طَيبٍ وخَبيث، يبقى الطيبون الذين كانوا مستقيمين، وطابت أنفسُهم وأخلاقُهم وأعمالُهم وسلوكياتُهم، واستقاموا على نَهجِ الله، وأنابوا إلى الله، ويتمُ إخراجُ الخبيث، كلِ خبيث، الذين خَبثوا في هذه الدنيا، خَبُثَتْ نفسياتُهم بأعمالِهم السيئةِ، بانحرافاتِهم، بمواقفِهم الباطلة، وكما قال الله جلَّ شأنه {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (الأنفال ـ الآية ٣٧)، يمتازُ الخبيث، ويجتمعُ بكلِه، وينحازُ إلى مساحةٍ مُعينة، إلى جهةٍ معينةٍ في ساحةِ المَحشر، والطيبُ يَمتازُ لحالِه. تكتملُ عمليةُ الحسابِ والفصلِ بينَ العِباد، والمُحاكمةِ فيما بينَهم، وتَثبُتُ الملفاتُ التي أُعِدَّتْ لكلِ إنسانٍ في صحيفةِ عَملِه، وتكتملُ العمليةُ في الحساب، ويكتملُ الدوام، اكتملَ الدوامُ والعملُ، بقيتْ مرحلةُ الانتقالِ من ساحةِ الحساب، حيثُ تقرَّب جهنّم، وتقرَّب الجنة، {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ} (ق ـ الآية ٣١)، {لِلْمُتَّقِينَ} لنلحظ أهميةَ التقوى، {غَيْرَ بَعِيدٍ}؛ حتى لا يحتاجون إلى سفرٍ بعيدٍ وتأخرٍ كبيرٍ حتى يصلون إليها، لا، {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} (الفجر ـ من الآية ٢٣).

الشيطان يخطب ويؤنب أتباعه!!

تبدأُ عمليةُ النقلِ الإجباري من ساحةِ الحساب، وآخرُ محطةٍ في ساحةِ الحساب هي لِخطابٍ يُلقيه الشيطانُ لأتباعِه، كلِ أتباعِه، أتباعه كُثُرٌ، العصاةُ الذين لم يُنيبوا، ولم يَتوبوا، ولم يَرجِعوا إلى الله، من كافرين، ومنافقين، وفاسقين، ومجرمين، بكل مُسمياتِهم المتنوعة والمتعددة، {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ} (إبراهيم ـ من الآية

٢٢)، اكتملت عمليةُ الحساب، لم يبقَ إلا الانتقالُ إلى جهنم، {إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ} (إبراهيم ـ من الآية ٢٢)، اللهُ وعدَكم في الدنيا وعداً لا يُخلفه أبداً، لو استجبتم له لَفُزتم ودَخلتم الجنّة، {وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ} (إبراهيم ـ من الآية ٢٢)، وعدتُكم وعوداً كثيراً في الدنيا، وأعطيتكم الأماني لمستقبلِ الآخرة، ولكن لا يتمُ شيءٌ من تلك الوعود، {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ}، أنا لم أُجبرْكم لتستجيبوا لي، فقط دعوة، دعاكم اللهُ ووعدَكم، دعاكم الشيطانُ ووعدَكم، الكثيرُ الكثيرُ استجابوا لدعوةِ الشيطان، وتحركوا في الاتجاهاتِ التي دعا إليها، {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ} (إبراهيم ـ من الآية ٢٢)، يتبرأُ منهم، يحمِّلهم المسؤولية، يُوجِّه إليهم اللومَ، يقول لهم {فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم}، لأنكم أنتم من اندفعتم، وبادرتم، واستجبتم، وتحركتم، وفعلتم كلَّ ما فعلتم، أنتم الذين انطلقتم في ذلك، كم هي حسرتُهم؟ وينادي الله سبحانه وتعالى تلك الأعدادَ الهائلةَ من البشر، المليارات {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ} (يس ـ ٦٠،٦٢)، كم ستكون الحسراتُ النفسيةُ والعذابُ النفسي؟

المجرمون.. وعملية النقل إلى جهنم

تبدأُ عمليةُ النقل الإجباري إلى جهنّم؛ لأنّه لا رغبةَ لديهم في الذهابِ إلى جهنم، تجلّتْ عدالةُ الله سبحانه وتعالى، ثَبتتْ الملفات، تجلّى سُوءُ الأعمال، نتائجُها الفظيعةُ جدًّا، آثارُها السيئةُ للغاية، وتبدأُ عمليةُ النقل، يسُاقون سَوقاً إلى جهنَم، يتمُ نَقلُهم، اللهُ أعلمُ كيف هي الطريقة، كيف هي عمليةُ النقلِ بالتحديد؟! ولكن هناك طريقةٌ سينقلُهم اللهُ بها، وَجِهةٌ ستتولى عمليةَ النقل، والملائكةُ الذين سيتحركون لنقلِهم غَضباً عنهم على حسبِ تَعبيرِنا المحلي.

{يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ} (الرحمن ـ الآية ٤١)، نقلاً بالقوة، البعضُ يُؤخذون بنواصيهم، الناصيةُ مُقدمةُ شَعرِ الرأس، والبعضُ بأقدامِهم سَحباً، {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً} (الطور ـ الآية ١٣)، {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً} (الزمر ـ من الآية ٧١)، يُساقون سَوقاً، {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} (فصلت ـ الآية ١٩)، في عمليةٍ من التنظيمِ والدَفعِ والسَوقِ لهم حتى

يصلوا إلى مشارفِ جهنّم، تلك اللحظة التي يصلون فيها إلى مشارفِ جهنم، وجهنّم كما قالَ اللهُ عنها {إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً} (الفرقان ـ الآية ١٢)، حالةٌ رهيبةٌ من الخوفِ الشديد، لو بقيَ موتٌ لماتوا من الخوفِ الشديد، والحسراتِ والآلامِ والتغيّظِ والندمِ الشديدِ جدًّا، لأنَّ الإنسان يُدركُ أنَّه الذي أوصلَ نفسَه بنفسِه، وبتفريطِه، وبعصيانِه، وأنّها قد أُتيحتْ له الفرصةُ اللازمةُ ليفوزَ فلم يستغلْ تلك الفُرصة، وفرَّطَ هو، ورَّطَ نفسَه هو، يندمُ ندماً شديداً جدًّا.

عندَ الوصولِ إلى مَشارفِ جهنَم يحاولون أن يُنكروا، يُحاولون أن يتهربوا من أعمالِهم التي قد ثَبُتتْ عليهم حتى في ساحةِ المَحشر، عندها يأتي الشهودُ {حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (فصلت ـ الآية ٢٠)، تأتي أيضاً هذه العمليةُ من الإشهادِ عليهم حتى من حَواسِّهم، وحتى بجوارحِهم وأعضائِهم تَشهدُ عليهم، حتى جلودهم، {وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} (فصلت ـ ٢١،٢٢)، وتنتهي كلُ الأعذار وكلُ الحجج، لا يبقى للإنسانِ ما يقولُه أبداً، عندَ الوصول إلى بواباتِ جهنّم وهي كما قالَ الله عنها {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} (الحجر ـ الآية ٤٤)، وهي دَرَكات، وكلُ جزءٍ منهم سيتجه إلى جانبٍ منها، أو دَرَكٍ من دركاتها والعياذ بالله.

عندَ الوصولِ تتعجبُ منهم خَزَنةُ جهنّم وملائكةُ جهنم، الذين يُديرون عمليةَ التعذيبِ في جهنم، وعندما تُفتح أبوابُها يقولُ لهم الخزنةُ {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى} (الزمر ـ من الآية ٧١) قد أتت الرُسلُ، قد تُليت الآياتُ، قد بَلغَ ووَصلَ النذيرُ من هذا اليوم، لكن الغفلةَ، اللا مبالاة، التجاهل، {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ} (الملك ـ ١٠،١١)،

جهنم.. سجن الله الأبدي الأكبر!!

حالة رهيبة جدًّا وحالةٌ خطيرة جدًّا، الإنسان عندما يصلُ، عندما تبدأُ الترتيباتُ للعذاب وللإلقاءِ به في نارِ جهنم، وأتى الأمرُ الإلهي {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ} (الحاقة ـ الآية ٣٠)، لأن جهنّم هي سجنٌ، سجنُ اللهِ الأكبر، والسجنُ الأبديُ الرهيبُ والفظيعُ جدًّا،

الغَـلُّ لليديـن إلى الرقبـةِ، {ثُـمَّ الْجَحِيـمَ صَلُّـوهُ * ثُـمَّ فِي سِلْسِـلَةٍ ذَرْعُهَـا سَـبْعُونَ ذِرَاعـاً فَاسْـلُكُوهُ} (الحاقـة ـ ٣٢،٣١)، يقيِّـد الإنسـان بالسلاسـلِ والقيـودِ الرهيبـةِ جـدًّا المُخصَصةِ لجهنـم، ويَدخـلُ إلى عـالمٍ كُلُ مـا فيـهِ عـذابٌ، كلُ تفاصيلِ الحياةِ فيـه عـذاب، عذابٌ رهيبٌ جدًّا.

ملابس جهنم!

حتـى الملابـس مـن العـذاب، عندمـا يدخـلُ الإنسـان إلى جهنّـم مـا هـي ملابسُـه؟ في السجونِ تخصص أحياناً مَلابسُ لِلسُجناء، {قُطِّعَـتْ لَهُـمْ ثِيَـابٌ مِّـن نَّـارٍ} (الحج ـ من الآيـة ١٩)، ثـوبٌ مـن النـارِ مُفصَـلٌ تفصيـلاً عـلى الإنسـان ويَلبَسُـهُ، أمـرٌ شـنيعٌ ورهيـبٌ ومؤلمٌ جـدًّا، ويحـترقُ الإنسـان بـه باسـتمرار، وأيضـاً مـا فـوقَ الثـوب، مثـلاً في الدنيـا مـع النـاس أكـوات، جواكـت، ملابـس معينـة، مـاذا سـيضاف إلى ذلـك؟ {سَـرَابِيلُهُـم مِّـن قَطِـرَانٍ} (إبراهيـم: مـن الآيـة ٥٠)، يُفـرِزُ الجسـمُ قَطِرَانـاً مـع الاحـتراق، حتـى يتغطـى بطبقـةٍ مـن فـوقِ الثـوبِ الـذي هـو مـن النـارِ يحـترقُ بالإنسـان، طبقـة مـن القَطِـرَانِ الشـنيعِ الرائحـةِ والقبيـحِ المَنظـر، قبيـحِ المنظـرِ جـدًّا، ليسـت ثيابـاً جميلـةً مثلـما يحلـو للناس في الدنيا.

العطـشُ الشـديدُ جـدًّا في جهنـم، في تلـك البيئـةِ الحـارةِ التـي كلُ مـا فيهـا حـارٌ حتـى الأوكسـجين، بـدلَ مـا يُقابِـلُ الأوكسـجينَ في الدنيـا الـذي يحتاجـون إليـهِ هنـاك في الآخـرةِ هـو السَـمُومُ {فِي سَـمُومٍ وَحَمِيـمٍ} (الواقعـة ـ الآيـة ٤٢)، السَـمُومُ حَـارٌ جـدًّا، يستنشقونه، يدخلُ إلى داخلِهم وهو كُلُّهُ حارٌ للغاية، بيئةٌ حارة، كلُ ما فيها نار.

ماء جهنم!

يعطشـونَ جـدًّا، عنـدَ العطـشِ الشـديد مـاذا يقـدَّمُ لهـم؟ {وَيُسْـقَى مِـن مَّـاءٍ صَدِيـدٍ} (إبراهيـم ـ مـن الآيـة ١٦)، يقـدَّم لـه الصَديـدُ الـذي هـو قبيـحٌ وقـذر، رائحتُـه قـذرة، منظـرُه بشـعٌ وقـذر، طعمُـه كذلـك طعـمٌ شـنيعٌ لا يُستسـاغُ أبـداً، حرارتُـه عاليـةٌ جـدًّا، {يَتَجَرَّعُـهُ} (إبراهيـم من الآيـة ١٧)، لا يَـشرَبُ منـه بهنـاء، إنما يتجرعـه جرعـةً جرعـة من شـدة العطـش، لأنـه يُسـلَّطُ عليهـم العطـشُ كعـذابٍ شـديد مـن أنـواعِ العـذابِ في جهنـم، {وَلاَ يَـكَادُ يُسِـيغُهُ} (إبراهيـم ـ مـن الآيـة ١٧)، {وَإِن يَسْـتَغِيثُوا} (الكهـف ـ مـن الآيـة ٢٩)، أي مـن شِـدةِ العطـش، ويُطالبـون بشـدة، يبقـى الإنسـان فـترةً طويلـةً وهـو في حالـةِ عطـشٍ شـديد جـدًّا، يتعـذبُ بـه، ثـم يسـتغيثُ ويسـتغيث، ويـصرُخ، ويطالـبُ أن يقـدَّم لـه مـا يشربُـه،

{وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ} (الكهف: من الآية ٢٩)، ليس نقياً، ليس صافياً ولا مبرَّداً، {يَشْوِي الْوُجُوهَ} (الكهف ـ من الآية ٢٩)، إذا قُدِّم إليه ليشرب، ما إن يقتربَ منهُ ليشربَ منه حتى يشتويَ الوجهُ من حرارته تلك التي تتبخرُ إلى الوجهِ، {بِئْسَ الشَّرَابُ} (الكهف ـ من الآية ٢٩)، ما أسوأهُ من شَراب، هو في شكلهِ كالمُهل، كحُثالة الزيت، هو في الوقتِ نفسه بحرارةٍ شديدةٍ يشتوي منه الوجهُ، أمّا حينما يشربُه فما هو الحال؟ {وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ} (محمد ـ من الآية ١٥).

طعام جهنم!

الطعامُ ما هو؟ في الدنيا كانَ البعضُ يبيعُ دِينَه ومَوقفَه ويعصي الله سبحانه وتعالى ليحصُلَ على الوجباتِ الدَسمةِ، ما هي تلك الوجباتُ؟ {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ} (الدخان ـ ٤٣،٤٦) الزَقّوم التي هي بشعةُ المنظر، {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ} (الصافات ـ الآية ٦٥)، وهي في مذاقِها ذاتُ مَرارةٍ رهيبةٍ وشنيعة جدًّا، وهي حارةٌ للغاية، لدرجةِ أنها تَغلي في بَطنِ الإنسان كالحميمِ الذي يُغلى على النار، هي الطعامُ الذي لا يُشبِع.

حمام جهنم ومساكنها وأجواؤها

ثم غير الطعامِ والشراب، الاغتسالُ والاستحمام، البعضُ من المُترَفين الذين اتجهوا في هذه الدنيا في مواقفِ الباطل يذهبُ ليستحمَ ويتنظف، ويخرجَ ثم يلبسَ الملابسَ الجميلة، فماذا ستكون الحالةُ هناك؟ {خُذُوهُ} يقالُ لملائكةِ الله من خَزَنةِ جهنّم {فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ} (الدخان ـ الآية ٤٧)، يُؤخذُ بعنفٍ وبقوةٍ إلى منطقةٍ في جهنّم، {ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ} (الدخان ـ الآية ٤٨)، هذه "الترويشة" داخلَ جهنّم، أيضاً يقولُ الله {يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ} (الحج ـ ١٩،٢٠).

أما المساكنُ فما هي؟ قصورٌ؟ فيلات؟ غُرفٌ فخمةٌ وجميلة؟ {لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ} (الزمر ـ من الآية ١٦)، حتى المساكن مساكن من النار ومن جمرها والعياذ بالله.

حالةٌ رهيبةٌ جدًّا، وجوٌ كلُهُ حارٌ، النيرانُ في كلِ مكانٍ مُستعرة، {وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ} (الواقعة ـ الآية ٤٣) يُشاهدون ظِلاً في أماكنَ من جهنّم فيفرحون به، فإذا بهِ ليس إلا من

دُخانِ جهنم {لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} (الواقعة ـ الآية ٤٤)، حالةٌ رهيبة جدًّا، يبقى الإنسان فيها مُتعذباً، وهم فيما بينَهم في حالةِ خصامٍ من أولِ لحظةٍ يدخلونَ إلى جهنّم، {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ} (الأعراف ـ من الآية ٣٨)، حالة رهيبة جدًّا، وحالةٌ من الخِصامِ والعذابِ والألمِ والصُراخ، {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا} (فاطر ـ من الآية ٣٧)، في حالة من الصراخ الدائم، والتوجع الشديد، والصياح لآلامهم، {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} (فاطر ـ من الآية ٣٧)، لأن المشكلةِ هي في العمل.

{رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} (المؤمنون ـ ١٠٧،١٠٨) ليس هناك استجابة، يَدعون الله، يستغيثون، يَبكون، يَتضرعون، يَصرخون ويَصطرخون، إنما يأتيهم هذا الجواب {قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}، يتوسلون بالملائكة في جهنم {ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ} (غافر ـ من الآية ٤٩)، يطلبون تخفيفاً، إنْ لَمْ يُمكن الخروجُ فالتخفيفُ ولو ليوم واحد، لا استجابةَ أبداً، يطلبون الهلاكَ والمَوتَ {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ} (الزخرف ـ الآية ٧٧) يحاولون أن يَهربُوا، وأن يخرجوا، {وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا} (الحج ـ من الآية٢١- ٢٢) بتلك المقامعِ والضربِ الشديدِ حتى يَعودوا إلى أماكنِهم، {وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}.

كل هذه التفاصيل.. لماذا؟

إنَّ اللهَ جلَّ شأنُه قدَّم كلَ هذا التفاصيلِ وأكثرَ منها بكثيرٍ في القرآن الكريم لكي نأخُذَ العبرَةَ هُنا، ووجَّه نداءَهُ لنا نحنُ الذين آمنوا، اللهُ يقولُ لنا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (التحريم ـ الآية ٦)، لكي نحذرَ هنا، لكي نتقيَ اللهَ هنا، لكي نعملَ الأعمالَ الصالحةَ هنا، هو جلَّ شأنُه الذي قدَّم لنا النذيرَ في هذه الدنيا، {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ} (الحجر ـ ٤٩،٥٠)، فدعانا إلى مغفرتِه وجَنتِه، وحذَّرَنا من عذابِه وسَخطِه.

والعملُ هو الذي يُحدد مَصيرَ الإنسان، إمّا العملُ الذي تكسِبُ به مَغفرةَ اللهِ ورِضوانَه، وإما العملُ الذي يُوصلُك إلى جهنّم.

العملُ والمواقفُ، فلنتقي اللهَ، ولنحذرْ، ولنُجدّ، ولننتبهْ، ولنغتنمْ الفرصة، ولنتُبْ إلى الله، ولنُنِبْ إلى اللهِ، يحَرِصُ الإنسان عندَ كلِ زَلّة، عند كلِ معصيةٍ أن يعودَ إلى

اللـه، أن يتـوبَ إلى اللـه، ويسـعى بـكلِ مـا أمكـن مـع الدعـاءِ، مـع التـضرعِ، مـع الاستعانةِ باللـه، مـع طَلَـبِ التوفيـق إلى الابتعـادِ عـن المعـاصي، وعـن المواقـفِ الباطلـة، وليحذرْ من التقصيرِ في المسؤولياتِ والأعمالِ العظيمةِ التي فيها الفوزُ والنجاة.

طريقُ اللهِ سبحانه وتعالى التي يدعونا إليها هي طريقٌ لمصلحتِنا نحن

جُـزءٌ مـن وَعـدِ اللـهِ سـبحانه وتعـالى بالخـيرِ والبركـةِ والفـلاحِ والعِـزة والنـصرِ للذيـن يستجيبون لـه ويهتـدون بهديـه ويُطيعونـه، جُـزءٌ مـن هـذا الوعـدِ الإلهـي هنـا في الدنيـا، والفـوزُ العظيـمُ في الآخـرةِ الجنَّـةُ التـي عرضُهـا السـماواتُ والأرضُ، والسـلامةُ مـن عَـذابِ اللـهِ والسـلامةُ مـن الشـقاءِ الأبـدي والخسـارةِ الرهيبـةِ التـي تَحدَّثنـا عنهـا بالأمـسِ عـلى ضـوءِ بعـضٍ مـن الآيـاتِ القرآنيـةِ المباركـة التـي قَدَّمـتْ وصفـاً شـاملاً ومتنوعـاً لكثـيرٍ مـن الأحوالِ التي يعيشُها الإنسان الخاسرُ والخائبُ والهالكُ في عذابِ اللهِ والعِياذُ بالله.

طريـقُ اللـهِ سـبحانه وتعـالى التـي يدعونـا إليهـا هـي طريـقٌ لمصلحتِنـا نحـن، أمّـا هـو فهـو غنـيٌ عنّـا غنـيٌ عـن طاعتِنـا غنـيٌ عـن أعمالِنـا، نحـنُ الفقـراءُ إلى اللـهِ والذيـن نحتـاجُ إلى رحمتِـه إلى فضلـهِ إلى كَرمِـه، وهـذا لا يتحقـقُ إلا بالاسـتجابةِ لـهُ سـبحانه وتعـالى، لا يُمكـنُ أن نُعـرِضَ عـن نهجِـه وأن نَرفـضَ دعوتَـه وأن نَعصيَـه وأن نتّبـعَ عدوَنَـا الشـيطانَ الرجيـمَ ثـم تكـونُ المسـألةُ طبيعيـةً ونُفلـحُ ونفـوزُ في الدنيـا والآخـرةِ، لا يُمكـن. وطريـقُ الجنـةِ هـي أيسـرُ مـن طريـقِ النار، الإنسـان في هـذه الحيـاة سـيواجِهُ الصعوباتِ ويواجـهُ التحديـاتِ عـلى كلِ حـال {يَـا أَيُّهَـا الإنسـان إِنَّـكَ كادِحٌ إِلى رَبِّـكَ كَدحًـا فَمُلاقيـهِ} (الانشـقاق ـ ٦)، هـذه الحيـاةُ هـي ميـدانُ اختبـارٍ وميـدانُ مسـؤوليةٍ، وعلينـا أن نُرسِـخَ هـذه المسـألةَ في أذهاننـا ووجداننـا، والراحـةُ التـي فيها السـلامةُ مـن كلِ المُنغّصَاتِ ليسـت إلا في عَـالمِ الآخـرةِ في الجنّـة، ولكـن هنـاك امتيـازٌ لطريـقِ الحـقِ لطريـق اللـه سـبحانه وتعـالى، امتيـاز كبـير جـدا في هـذه الحيـاة، الإنسـان مـن خـلالِ إيمانـه وتقـواه يحظـى برعايـةٍ إلهيـةٍ في هـذه الحيـاة، اطمئنـانٌ نفسـيٌ، طاقـةٌ معنويـةٌ هائلـةٌ، تَيسـيرٌ في الأمـور {وَمَـن يَتَّـقِ اللَّـهَ يَجعَـل لَـهُ مَخرَجًـا * وَيَرزُقـهُ مِـن حَيـثُ لا يَحتَسِـبُ} (الطلاق ـ٢،٣) {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجعَل لَهُ مِن أَمرِهِ يُسرًا} (الطلاق ـ من الآية ٤).

وعـودٌ إلهيـةٌ كثـيرةٌ، وعـودٌ مـن اللـه سـبحانه وتعـالى بالخـيرِ والـبركاتِ باليُـسرِ والفـرَجِ، وعـودٌ مـن اللـه بالنـصرِ والعِـزة، وعـودٌ كثـيرةٌ تـأتي هنـا في الدنيـا، وفي الآخـرة الجنـة، ولذلـك فنحـنُ بالعـودةِ إلى القـرآنِ الكريـم يَتبـينُ لنـا أنَّ الفـوزَ والمصلحـةَ للإنسـانِ وأنَّ الخـيرَ للإنسـانِ ـ كلَ ذلـك ـ هـو بالاسـتجابةِ للـه سـبحانه

وتعالى، بالطاعةِ، بالتوجهِ العملي، والالتزامِ بأمرِ اللهِ سبحانه وتعالى، والوقوفِ عندَ نَهيه جلَّ شأنُه.

الطريقُ إلى النارِ تَجُرُ إليها الشهواتُ والأهواءُ، ولكن ليست لمصلحةِ الإنسان، حتى لو لبَّى الإنسان شهوةً من شهواتِه أو رغبةً من رغباتِه فالتبعاتُ كبيرةٌ في الدنيا وفي الآخرة.

دينُ اللهِ الحقُ وتعليماتُه وتوجيهاتُه هي مُطابقةٌ لِفطرةِ الإنسان، يرتاحُ بها الإنسان إذا بَنى حياتَه عليها، واللهُ سبحانه وتعالى جَعلَ دينَه رحمةً، رحمةً في الدنيا أحلَّ الطيّبات وحَرَّمَ الخبائثَ، وَجَّهنا إلى ما فيهِ الخيرُ ونهانا عمّا فيه الشرُ والسُوءُ علينا نحن كبشر، ولذلك لا مبررَ للإنسانِ عندما يُورّطُ نفسَه وراءَ الشهواتِ والأهواءِ بما يُوصله إلى جهنّم بما يُعبِّدُه للشيطانِ بما يَخسرُ به خيرَ الدنيا والفوزَ العظيمَ في الآخرة.

يتبينُ لنا أيضاً من خلالِ العودةِ إلى القرآنِ الكريم أن مُجرَّدَ الانتماءِ الإيماني لا يكفي، ومجَّردَ العملِ ببعضٍ من توجيهاتِ اللهِ سبحانه وتعالى وأوامرِه مع العصيانِ للهِ سبحانه وتعالى في أوامرَ أخرى لا يكفي،

فئتان من أعظم الناس عذابا يوم القيامة

ويتبينُ أنَّ من أعظمِ الناس عَذاباً في النار فئتان تنتميان للإسلام:

الفئة الأولى: هم المنافقون الذين قال الله عنهم {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} (النساء ـ من الآية ١٤٥)، والعياذُ بالله {فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} ولا شكَّ أن الدَرْكَ الأسفلَ من النار هو الأشدُ عذاباً فيها، الأشدُ عذاباً في جهنم.

والمنافقون ينتمون للإسلام وهم أصناف، مِنهُم فئةٌ تُظهر التدينَ ولها مساجدُ الضِرار، وتحدَّث القرآنُ عنهم حديثاً واسعاً في فِئاتِهم المتعددةِ ودوافعِهم المتنوعةِ والمختلفة، ولكن ما هو قاسَمٌ مُشتركٌ فيما بينهم هو الخُذلانُ للحقِّ، والتثبيطُ للأمةِ عن نُصرةِ الحقِ، والمَيلُ لأعداءِ اللهِ، ليس لهم موقفٌ من أعداءِ الله، هُم ما بين مؤيدٍ ومُناصرٍ للعدو ـ لعدو المسلمين ـ وما بينَ مُثبِّطٍ ومُخذِّلٍ عن النهوضِ بالمسؤوليةِ في التصدي لهذا العدو وللخطرِ عن الأمة، هذا القاسَمُ المشتركُ والعنوانُ العام، تختلفُ الدوافعُ وتختلفُ السلوكياتُ فيما بينَهم، مَن يتطبعُ مِنهم بطابعِ التديُن، مَن يتحركُ منهم تحتَ عنوانِ إيماني {مَن يَقولُ آمَنّا بِاللَّهِ وَبِاليَومِ الآخِرِ} (البقرة ـ من الآية ٨)، إلى آخرِه، مَن له اتجاهٌ آخر، مَن هو في مستوى الرِيبةِ والشكِّ في الدِين، مَن هو لا يعيشُ هذه الحالةَ ولكنّه

في الواقعِ العملي خَضعَ لأهوائِه ورغباتِه ولم يُحقِقْ الثقةَ باللهِ سبحانه وتعالى التي تُساعدُه على تبني المَوقفِ الصحيحِ الذي يُرضي اللهَ جلّ شأنه، فهذه فئة.

الفئة الثانية: الذين يُؤمنون ببعضِ الكِتابِ ويكفرونَ ببعض، الذين ينهجونَ في هذه الحياة نهجاً تجزيئيا للدِينِ الإلهي، أي يقبلون ببعضٍ من تعليماتِ اللهِ وأوامرِه فيما يُطابِقُ أهواءَهم أو لا يَرونَ فيه أنّه يُشكلُ خطورةً عليهم وليس فيه صعوبةٌ عليهم، ويَردّون جزءاً آخرَ من الدِين ويرفضونه ولا يَقبلون به، هذه الحالةُ تُسمى في القرآنِ الكريم إيمانٌ ببعضِ الكتابِ وكُفرٍ ببعضِه {أَفَتُؤْمِنونَ بِبَعضِ الكِتابِ وَتَكفُرونَ بِبَعضٍ فَما جَزاءُ مَن يَفعَلُ ذلِكَ مِنكُم إِلّا خِزيٌ فِي الحَياةِ الدُّنيا وَيَومَ القِيامَةِ يُرَدّونَ إِلى أَشَدِّ العَذابِ} (البقرة - من الآية ٨٥)، لاحظوا يومَ القيامةِ يُرَدّون إلى أشدِ العذابِ، وأشدُ العذابِ في جهنم هو الذي تُعذَّبُ فيه الشياطينُ ويُعذَّبُ فيه أسوأُ المجرمين بما في ذلك فرعون وقومُه بأشدِ العذاب.

وهذه المزاجيةُ في التعاملِ مع الدينِ غيرُ مقبولةٍ عندَ اللهِ سبحانه وتعالى، غيرُ مقبولةٍ نهائيا أن تأتي أنتَ لِتقبلَ من القرآنِ بعضاً وتَرُدَ الكثيرَ الكثيرَ من آياتِه وتوجيهاتِ اللهِ فيهِ وأوامرِه، لماذا؟ لأنّها لم تَرُقْ لِحضرتِك، لم تتناسبْ مع أهوائِك، معناه أنك حكّمت هَوى نفسك، جَعلتَه الأساسَ حتى فيما تَقبلُهُ وفيما لا تَقبلهُ من القرآنِ الكريم، فالمسألةُ مهمةٌ، الدينُ منظومةٌ واحدةٌ مترابطةٌ، وديـنٌ كاملٌ، والتجزئةُ هذه في القبولِ ببعضِ والرفضِ للبعضِ الآخر غيرُ مقبولة، وتجعلُ ما تقومُ بهِ من الدينِ غيرُ مقبولٍ ولا مُجزٍ عندَ الله سبحانه وتعالى.

الطريقُ إلى الجنّةِ

من هنا يبدأ المشوار إلى دار السلام

الطريـقُ إلى الجنّـةِ، إلى الفـوزِ بمـا وَعَـدَ اللـهُ سـبحانه وتعـالى تبـدأ مـن هـذه الدنيـا، طريـقٌ رَسَـمَها اللـه، وبدايـةُ الرحلـةِ فيهـا مـن هُنـا مـن الدنيـا، طريـقٌ مرسـومة، إذا أردتَ أن تصِـلَ إلى الجنـةِ فتبـدأ رِحلتَـكَ فيـهِ مـن هـذهِ الحيـاةِ وتبـدأُ خُطواتِـك فيـهِ مـن هـذه الحيـاة، ودعـوةُ اللـهِ سـبحانه وتعـالى هِـيَ إلى الجنّـةِ، إلى المغفـرةِ، إلى دارِ السـلام، قـال جـلَّ شـأنُه {وَاللَّـهُ يَدعـو إِلَى الجَنَّـةِ وَالمَغفِـرَةِ بِإِذنِـهِ} (البقـرة ـ مـن الآيـة ٢٢١)، قـال جـلَّ شـأنُه {وَاللَّـهُ يَدعـو إِلى دارِ السَّـلامِ} (يونـس ـ مـن الآيـة ٢٥)، وهـي طريـقٌ مُغريـةٌ وجَذَّابـةٌ جـداً، إعـراضُ الإنسـان عنهـا خسـارةٌ رهيبـةٌ وضـلالٌ مُبـينٌ وغبـاءٌ رهيـبٌ جـدا، {وَاللَّـهُ يَدعـو إِلى دارِ السَّـلامِ} الجنّـة هـذه الـذي يتحـدَّث القـرآنُ عنهـا حديثـاً واسـعاً طريقُـك فيهـا تبـدأُ عمليـاً بالاسـتجابةِ للـهِ سـبحانه وتعـالى، وهـو يقـول {وَسـارِعوا إِلى مَغفِـرَةٍ مِـن رَبِّكُـم وَجَنَّـةٍ عَرضُهَـا السَّـماواتُ وَالأَرضُ أُعِـدَّت لِلمُتَّقـينَ} (آل عمـران ـ الآيـة ١٣٣) {وَسـارِعوا}، المفـترض هـو أنْ نُسـارعَ إليهـا مُسـارَعةً، أن نتحـركَ في طريقِهـا بـكلِ نشـاطٍ وبـكلِ رغبـةٍ وبـكلِ جِـدٍ وبـكلِ إقبـالٍ، مـا الـذي يجعـلُ الإنسـان يتباطـأ، يتخـاذل، أو حتـى يحـاول أن يُعـرِضَ أو يتجـهَ إلى طريـقٍ أخـرى تُوصِلُـه إلى النـارِ إلى عـذابِ اللـه وسَخطِ اللهِ-والعِياذِ بالله-.

في هـذه الطريـق أنـتَ في هـذه الدنيـا تعيـشُ العِـزةَ والكرامـةَ، وتحظـى بالرعايـةِ الإلهيـةِ، وتحـسُ بمعيـةِ اللـهِ سـبحانه وتعـالى أنّـك مـع اللـهِ واللـهُ معـك، وتلتجـئُ إليـهِ في كلِ أمُـورِك، وتحظـى بالدعـمِ المعنـوي الهائـلِ، بالسـكينةِ وبالطمأنينـةِ وبالربـطِ عـلى قلبِـكَ في مُواجهـةِ الكثيـرِ مـن تحديـاتِ هـذه الحيـاةِ وصعوبـاتِ هـذه الحيـاةِ وأخطـارِ هـذه الحيـاة، أمّـا في عـالمِ الآخِـرة في يـومِ القيامـةِ ومُنـذ أن يَبعثَـكَ اللـهُ سـبحانه وتعـالى تتنـزَّلُ الملائكـةُ عليـك تُبـشِّرُكَ وتُطمئنـكَ، وفي كلِ مَراحـلِ الحِسـابِ تـرى البشـاراتِ الواحـدةَ تُلـوَ الأخـرى، عِندمـا تُـوزَّعُ الكُتـبُ والصُحـفُ تُـؤتى كتابَـكَ بيمينـك كبشـارةٍ لـكَ، تُحاسَـبُ حسـاباً يسـيراً، يَبْيَـضُ وَجهُـك يـومَ تَبْيَـضُ وُجـوه وتَسْـوَدُّ وُجـوه، يَجمـعُ اللـهُ شَـملَكَ بالمؤمنـين والصالحـين والأنبيـاءِ والصِّديقـين والشـهداء كـما قـال جـلَّ شـأنُه {وَمَـن يُطِـعِ اللَّـهَ وَالرَّسـولَ فَأُولئِـكَ مَـعَ الَّذيـنَ أَنعَـمَ اللَّـهُ عَلَيهِـم مِـنَ النَّبِيّـينَ

{وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} (النساء ـ ٦٩)، في ساحةِ المَحشرِ ـ بعدَ عمليةِ الفرزِ للخبيثِ مِن الطيّبِ، ولأصحابِ الجنةِ من أصحابِ النارِ ـ ترى نفسَكَ مع أولئك مع أولياءِ الله من أنبيائِه والصديقين والشهداءِ والصالحين من عِبادِه، يلتئمُ شملُك معَهم، نِعمةٌ عظيمةٌ جداً، وهكذا تعيشُ البِشاراتِ الواحدةَ تلوَ الأخرى، وكم ستكونُ سعادتُك عندما تَطمئنُ الاطمئنانَ التامَ بعدَ اكتمالِ عمليةِ الحسابِ والبشارةِ النهائيةِ لك بأنكَ من أصحابِ الجنة.

الجنة تقترب.. ولمحة عن نعيمها

في ساحةِ المحشرِ يُقرِّبُ اللهُ عالمَ الجنّةِ كما قرأنا قولَ اللهِ سبحانه وتعالى {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ} (ق ـ ٣١)، تُقرَّبُ وهي عالَمٌ عظيمٌ وواسعٌ جداً كما قال اللهُ جلَّ شأنُهُ {عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}، عالَمٌ كبيرٌ جداً فوقَ كلِ آمالِ الإنسانِ وفوقَ كلِ طُموحاتِه، أكبرُ من طموحِكَ، هي واسعةٌ للغايةِ، ليست قريةً صغيرةً وليست مِنطقةً محدودةً وصغيرةً ومساحتُها ضيقةً حيثُ يتزاحمون فيها ويتنازعون عليها، لا، عالَمٌ مُتسِعٌ جداً جداً جداً، فوقَ كلِ خيالٍ وفوقَ كلِ تصورٍ، والحديثُ في القرآنِ الكريمِ الحديثُ الإجماليُ عنها وعن النعيمِ فيها والحديثُ التفصيليُ حديثٌ واسعٌ جدا، وكذلك في ما وَردَ عن الرسولِ صلوات اللهِ عليه وعلى آلِه، ومن أجملِ ما وَردَ عن رسولِ اللهِ صلوات الله عليه وعلى آلِه صُورةٌ مُعبِّرَةٌ ومُختَصَرَةٌ، قال ـ في ما روي عنه فيها ـ أي الجنة "ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بَشر" عباراتٌ راقيةٌ جداً، نعيمٌ يَفوقُ كلَّ تصورٍ في ما تكونُ قد رأيتَهُ في هذه الحياةِ من أجملَ أو أجملَ ما كنتَ قد رأيتَهُ في هذه الحياة، في الجنةِ ما هو أجملُ منه، وما لَمْ ترَ مِثلَهُ أبداً ولا سَمِعتَ بمثلِه لا بالوصفِ ولا بالمشاهدةِ "ولا خَطرَ على قلبِ بشر"، ولا حتى خطَر في خاطرتِك في تصورِكَ في خيالِكَ أبداً، نعيمٌ أرقى مِن كلِّ ذلك.

وفي القرآنِ الكريمِ عِندَما تحدَّث عن سِعتها بهذهِ السِعة تحدَّثَ أيضاً عن وَصفِ ما فيها من الأنهارِ والثمارِ فقال اللهُ جل شأنُه {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} (محمد ـ من الآية ١٥)، وتَجِد في ما وردَ في القرآنِ الكريمِ من الوعودِ بالجنةِ يتحدثُ عن المُتقين ويَربِطُ هذا الوَعدَ بالمتقين والمؤمنين، والمؤمنون هم المتقون، والمتقون هم المؤمنون، هناك تلازمٌ بين الإيمانِ والتقوى، لأنَّ التقوى هي ثمرةٌ للإيمان، للإيمانِ الواعي، للإيمان الصادق {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} وهذه صورةٌ تقريبيةٌ

مثل {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ} جنةٌ بما فيها من الأشجارِ الكثيفةِ جداً والكثيرةِ كثيرةٍ للغاية، والأنهارِ تجري من تَحتِها، هذه الأنهارُ متنوعة {أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ} هذا الماءُ النقيُ ذو الجودةِ العاليةِ الذي لم يتغيرْ ولمْ يَرْكُدْ ولم يتغيرْ فيه لا مَذاقهُ ولا لونُهُ ولا شمُّهُ {مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ} أنهارٌ أخرى من اللبن، اللبنُ مُتوفِرٌ في عالَمِ الجنةِ بشكلِ أنهارٍ مُتدفقةٍ ونقيةٍ ولا يتغيرُ مذاقهُ وطعمُهُ مع الوقتِ أبدا، بجودةٍ عاليةٍ جداً ونظافةٍ مستمرةٍ لا يُلوثهُ شيءٌ ولا يُكدرهُ شيءٌ ولا يُغيرهُ شيءٌ، بجودةٍ عاليةٍ دائماً وبشكلٍ مستمرٍ ومتدفقٍ بشكلٍ كبير.

{وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} (محمد ـ من الآية ١٥)، أنهارٌ من الخَمْرِ، وخمْرُ الجنةِ هو خمْرٌ يختلفُ عن خمرِ الدنيا، خمْرٌ لا ضررَ فيه لا على ذهنيةِ الإنسان وتمييزِهِ وعَقلِه ولا على صِحتِه، خمرُ الدنيا هي بلاءٌ هي شرٌّ، مضارُّها الكبيرةُ على الإنسان في نَفسيتِهِ تُدنِسُ نفسيةَ الإنسان وتُسببُ لهُ الانحطاطَ والدناءةَ والخِسّةَ وآثاراً في صِحتِه على الكبدِ، آثاراً على الصحةِ العامةِ، آثاراً على الرأس، آثاراً ومَضارَ صحيةً كبيرةً معروفةً في الطبِّ، وكذلك آثاراً على تَمييزِهِ وإدراكِه، في حالةِ السُكْرِ الإنسان يخرجُ عن حالةِ الإدراكِ والتمييزِ ويُصبحُ إنساناً فاقداً لصوابِه يتصرفُ أسوأَ التصرُفات، وقد يَصدرُ منهُ ما يتنافى حتى مع الإنسانيةِ بكلِها، قد يصدرُ منهُ جرائمُ أو تصرفاتٌ بذيئةٌ منحطةٌ للغايةِ، قذرة، قد يتقذَّر، أما خمرُ الجنةِ فهي سليمةٌ من تلك السلبيات، وهذا الوعدُ يُرَّغبُ الذين قد يكونون في هذه الدنيا إما شرِبُوا الخمرَ أو يُغريهم البعضُ بشُربِها، فهناك في الجنة ما هو بديلٌ عنها لِمن لم يَشربْها في الدنيا، لمن يترُكْ شُربَها في الدنيا، سيحصل على ما هو في الجنةِ خيرٌ منها.

{وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى}، حتى العسل يتوفرُ في الجنةِ بشكلِ أنهارٍ متدفقةٍ، ومُصفًّى، ليس فيه أيُ شوائب، وإنما تكونُ متنقلاً في عالَمِ الجنة تتمشى، تذهبُ للراحةِ أي للراحةِ النفسية، فليسَ هناك أيُ صعوبةٍ ولا تَعَبٍ في الجنة، تذهبُ للتنعُم، فأمامَك في هذا العالَمِ ـ في عالَمِ الجنة ـ هذه الأنهارُ من اللبنِ، من الماءِ النقي، من العَسَلِ المُصفًى، من خَمْرِ الجنة.

{وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ} (محمد ـ من الآية ١٥)، على مستوى الثمرات، الفواكهِ وما يَلحقُ بها من الثمار، يتوفرُ كلُ الثمرات كلُ شيءٍ متوفرٌ في الجنة، فهو عالَمٌ يتوفرُ فيهِ كلُ ما يحتاجُه الإنسان، وكل ما يرغبُ به الإنسان من الطعامِ والشرابِ وسائرِ النعيم.

يقولُ اللهُ جلَّ شأنُه كذلك عن الجنة {وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ} (فصلت ـ من الآية ٣١)، فهو عالَمٌ يتوفرُ فيه كلُ النعيم، كلُ ما تشتهيه النفسُ، كلُ ما تطلبُه يتوفرُ لك، هذا لا يُوجدُ في الدنيا لأي أحدٍ أبدا، في الدنيا لو كنت مَلِكاً أو أميراً أو ثرياً أو تاجراً لا يُمكن أن يتوفرَ لك كلُ ما تتمناه كلُ ما ترغبُ بهِ ومن دونِ مُنَغِصَات، لا، هناك يتوفرُ كلُ ما ترغبُ به، كلُ ما تشتهيه وبدونِ أي مُنَغِصَاتٍ أبدا، فهذا على المستوى الإجمالي عن سِعة الجنّة، وعن سعةِ النعيمِ فيها، الذي يتوفرُ فيهِ كلُ ما ترغبُ به، كلُ ما تطلبُه بشكلٍ واسع جدا، لا تحتاجُ إلى كَدٍّ ولا إلى عناءٍ ولا إلى تَعبٍ أبدا،

الانتقال إلى عالم الجنة.. أسعد اللحظات!

فاللهُ سبحانه وتعالى عندما يُقرِّبُ هذا العالَمُ العظيمُ والجميلُ جداً والواسعُ والذي فيه كلُ أصنافِ النعيمِ والحياةِ الأبديةِ بسعادةٍ لا يُوجد ما يُنغصُها أبداً تبدأُ عمليةُ الانتقالِ من ساحةِ المَحشرِ إلى الجنة.

الانتقالُ إلى عالمِ الجنّةِ ستكون لحظةً بحدِّ ذاتِها سعيدةً لا يُمكن أن نتصورَ مدى السعادةِ فيها، الإنسان عندما يطمئنُ إلى أنه سينتقلُ في تلك اللحظاتِ من ساحةِ المَحشرِ إلى الجنّة، كيف ستكونُ فَرحتُه؟ كيف ستكونُ سعادتُه، ارتياحُه الكبيرُ جداً وقد رأى الآخرين الذين مُيّزوا بالذهابِ بهم إلى النار، وما هُم عليهِ من الحَسراتِ وما هُم فيه من الندمِ والبؤسِ والشقاءِ؟ والعياذِ بالله.

عندَ الوصولِ بعدَ الانتقالِ إلى عالمِ الجنة، عندَ الوصولِ إلى أبوابِ هذه الجنةِ ـ اللهُ أعلَمُ كيفَ شكلُ هذه الأبوابِ والمنافذِ المُوصِلةِ إلى ذلك العالم ـ هناك من يَستقبلُهم، خَزَنةُ الجنة، المضيفون والمديرون لشؤون هذه الجنة هم في حالةِ استقبال، يفتحون الأبوابَ ويُرحّبون بهؤلاءِ الضيوفِ والوافدين إلى جنّةِ الله، إلى دارِ كرامتِه ومُستَقرِ رَحمتِه، يُرحبون بهم {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} (الزمر ـ من الآية ٧٣)، ترحيبٌ من الملائكةِ بالابتهاجِ والتقديرِ والإكرام، ليس الحالُ كَحالِ أهلِ النارِ عندما يَصلونَ إلى الزبانيةِ الذين يأخذونَهم بالنواصي والأَقدامِ ويَسحبون بِهم ويَدفعون بِهم للإلقاءِ بِهم في نارِ جهنّم بكلِ إهانةٍ وعُنفٍ وقَسوة، لا، حالٌ مختلفٌ، ترحيبٌ بتقديرٍ وإكرام، {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}، ادخلوها للأبد، لتعيشوا فيها حياةً لا نهايةَ لها ولا انقطاعَ لها.

راحةٌ وسعادةٌ وفرحةُ الوصولِ إلى عالَمِ الجنّةِ كذلك هي فرحةٌ لا يُمكن أن

نتخيلَها أبداً، في بعضِ الآثارِ عن النبي صلواتُ اللهِ عليه وعلى آلهِ "أنَّ هذه الفرحةَ تَصِلُ إلى درجةِ أنْ لو بَقيَ مَوتٌ لماتوا من شِدةِ الفرحة عندما يَصلون إلى عالم الجنة"، في الآثارِ عن النبي صلواتُ الله عليه وعلى آلِه أنَّهم أولَ ما يَصلون إلى الجنّةِ يغتسلونَ من نَهرٍ من أنهارِ الجنة، يغتسلون في نهرٍ من أنهارِ الجنة، وبعد هذا الاغتسال يلبَسُون من مَلابسِ الجنة ومن كسوتِها من حَريرِها الذي تحدَّث عنّها القرآنُ الكريمُ من السُندس والاستبرق، ويُحلَّونَ أساورَ الذهبِ وأساورَ الفضة، ومن حِلية الجنة، وبعدَها تبدأُ مرحلةُ الاستضافةِ لهُم في قُصورِهم في الجنة، فالأسرُ التي تدخلُ الجنةَ يلتئمُ شَملُها هناكَ في عالمِ الجنّةِ في سُرورٍ ونعيمٍ عظيم.

الجنة عالم واسع وجنان متعددة

في عالَمِ الجنّةِ وهو ذلك العالَمُ الواسعُ يُمكنُ للإنسانِ أن يتنقلَ فيها أينَ ما يشاءُ ويُريد، لا يُوجدُ قيودٌ كما في عالمِ الدنيا، لا تستطيعُ أن تذهبَ من بلدٍ إلى بلدٍ آخر إلا بقيودٍ وصعوباتٍ كبيرةٍ، وقد لا تستطيعُ أن تذهبَ إلى بعضِ البلدان، قد لا تستطيعُ، تَرى في شاشةِ التلفازِ مناظرَ جميلةً في بعضِ البلدانِ والمناطقِ لا تستطيعُ الذهابَ إليها، أمَّا في عالمِ الجنّةِ فكما حكى اللهُ عن سعادتِهم وارتياحِهم في قولِهم {نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ} (الزمر ـ من الآية ٧٤)، مفتوحٌ المجال، {نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ} عالمٌ واسعٌ جداً جداً، {عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}، الأرضُ بكلِها لا تساوي إلا قطعةً صغيرةً فيما يُقابلُ مساحةَ الجنة، في ذلك العالمِ الواسعِ تنتقلُ وتذهبُ أينَ ما تشاءُ وتريدُ وتتبوأُ مكانَكَ أينَ ما تشاءُ وتُريد، {نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ}.

لكلِ مُؤمنٍ مُتقٍ لله سبحانه وتعالى في ذلك العالمِ بساتينُه وقُصورُه الخاصةُ به ومَساكنُه الطيبةُ، وفيها يستقرُ الإنسان وتَطيبُ حياتُه، في سورة "الرحمن" تحدّثَ اللهُ سبحانه وتعالى عن أربعِ جنّاتٍ {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} يَصِفُ كلاً منهما ـ تلك الجنّتين ـ وما فيها من أنواعِ النعيم {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} (الرحمن ـ من الآية ٥٦)، {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} (الرحمن ـ ٤٨)، يتحدثُ عمّا فيها من الطعامِ والشرابِ والفواكهِ {فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ} (الرحمن ـ ٥٢)، يتحدثُ عن أصنافِ النعيمِ الواسعِ في تلك الجنتين، ثم يقولُ بعدَ ذلك {وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} (الرحمن ـ ٦٢)، ويُضافُ إليهما كذلك جنتان، ويتحدثُ أيضاً عمّا في كلٍ من تلك الجنتين من نعيمٍ واسع، أصنافِ النعيم، من الفواكهِ من عُيونِ الماء، العَينُ الفوارة فيهما أيضاً،

يتحدثُ عن أنواعِ الفواكه، أنواعِ الفواكهِ والثمار.

القرآنُ فيه حديثٌ واسعٌ عن أصنافِ هذا النعيمِ في الجنة، ثم الجنةُ ـ بشكلِها كعالَمٍ ـ فيها كما قال النبيُ صلواتُ اللهِ عليه وعلى آلهِ "ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطَرَ على قلبِ بشر"، الفواكهُ متوفرةٌ فيها في كلِ مكان، الرياحينُ والأشجارُ الجميلةُ وذاتُ الرائحةِ العطريةِ الفوّاحةِ في كلِ مكانٍ، حيثُ أنَّ عالَمَ الجنةِ كما في القرآنِ الكريم وكما في الآثارِ عن النبي صلواتُ اللهِ عليه وعلى آلهِ عالَمٌ مُعطّرٌ بكلِه، أي في كلِ مكانٍ هناك الرائحةُ العَطِرةُ والزكيةُ، ليس هناك أيُ رائحةٍ قذرةٍ في أي مكانٍ في عالمِ الجنةِ أبداً، حياةٌ سعيدةٌ وابتهاجٌ ونعيم.

لا حاجة لأدوات التجميل.. ولا تعب ولا منغصات

المرأةُ المؤمنةُ تكونُ حوراءَ من حُورِ الجنة، ويُكسِبُها اللهُ في خَلْقِهَا في عالَمِ الجنّةِ ما يُكسِبُ حُورَ العِينِ مِن الجَمالِ البارعِ والأخّاذ، القرآنُ تحدَّثَ عن وَصفِ الحُور العِين {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ} (الرحمن ـ ٧٠)، الحُسنُ والجمالُ البارعُ جداً، لا تحتاجُ إلى مكياج، ولا تحتاجُ إلى أدواتِ التجميلِ أبداً، {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ} (الصافات ـ ٤٩)، يَصفُهنّ أيضاً ويُشبههن باللؤلؤ، اللؤلؤِ في صَفائِه وبَياضِه، أيضاً في حُمرَةِ الوجوهِ التي على بياضِ الوجوه {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} (الرحمن ـ ٥٨)، جمالٌ وصحةٌ ونضارةٌ ورشاقةٌ، ولا تحتاجُ إلى "ريجيم" في عالمِ الجنة، ولا تحتاجُ إلى أدواتِ التجميلِ ولا تحتاجُ إلى أن تُتعبَ نفسَها بشيء، تلبسُ من ملابسِ الجنّة، حِليتُها من حُليّ الجنة الراقيةِ جداً.

المساكنُ في الجنة مساكنُ طيبةٌ، مساكنُ بَناها اللهُ سبحانه وتعالى، في الآثارِ عن النبي صلوات الله عليه وعلى آله ما يُفيدُ أنَّ البعضَ منها فِضيةٌ، مَسكنٌ من الفضة، قصرٌ من الفضة، البعضُ منها مساكنُ ذهبيةٌ من الذهبِ بُنيت، البعضُ منها من الزُمرّد، وهكذا من الأحجارِ الكريمةِ والمعادنِ النفيسةِ تُبنى مساكنُ الجنة، ويستقرُ فيها أهلُها، ونعيمٌ للأبد، ليسَ هناك ما يُنغّصُه، لا مرضَ ولا انقطاعَ للحياة، ليست حياةً مؤقتةً، ولا هَرَمَ، لا يَهَرَمُ الإنسان مع طُولِ العمرِ مع طولِ الوقتِ مع استمرارِ الحياة، ولا حُزنَ ولا هَمَّ ولا غمَّ، ولا نزاعَ ولا خِصامَ ولا مَشاكلَ ولا هُمومَ ولا أيَ مُنغِص {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} (فاطر ـ ٣٤،٣٥)، ليسَ هناك لا حزنَ ولا نَصَبَ ولا تَعبَ ولا همَّ ولا أيَ

مُنغصاتٍ أبداً، {وَاللَّهُ يَدعو إِلى دارِ السَّلامِ} (يونس ـ من الآية ٢٥)، {دارِ السَّلامِ}، السلامِ من كلِ شرٍّ، من كلِ بؤسٍ، من كلِ شقاءٍ، من كل عناءٍ، سلامٍ من كلِ شرٍ ومن كل شقاءٍ وعناءٍ وهمٍّ، من كلِ المُنغصات، سعادةٌ خالصةٌ وراحةٌ دائمةٌ وسرورٌ دائمٌ لا ينقطعُ أبداً، يعيشُ الإنسان مُبتهِجاً.

النعيم أو الجحيم

الحالةُ الاجتماعيةُ في الجنةِ ما بينَ أولياءَ اللهِ بينَ المؤمنين أولئك الذين قال اللهُ عنهم {وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} (النساء ـ من الآية ٦٩)، {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا} (الحجر ـ من الآية ٤٧)، تَجدُهم في حالةٍ من السُرورِ، ليس هناك أبداً أيُ غِلٍّ ولا أيُ استياءٍ من البعضِ على البعضِ الآخر {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا} (الواقعة ـ ٢٥)، {وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ} (الحج ـ من الآية ٢٤)، أنتَ في الجنةِ تعيشُ إنساناً مُحترماً مقدَّراً مكرَّماً لا أحدَ يُزعجك ولا أحدَ يُؤذيك ولا تسمعُ من أحدٍ أيُ كلامٍ يُسئ إليكَ أو يَستفزُك أو يَجرحُ مشاعَرك، تعيشُ مكرَّماً لا يُنغصُ حياتَك شيء أبدا، لا تسمعُ إلا الكلامَ السليمَ والمُحترمَ والطيبَ الذي ليسَ فيهِ أيُ إساءةٍ ولا تجريحَ ولا تأثيمَ ولا انتقاصَ ولا جَرحاً للمشاعرِ ولا أيَ شيء أبداً، راحةٌ وسعادةٌ دائمةٌ لا يُنغّصها شيء أبداً، تلتقي بأنبياءِ اللهِ، تلتقي بأولياءِ الله، تجتمعُ مع إخوتِك المؤمنين في مَجالس، مجالسَ فيها شرابٌ من شرابِ الجنة، وأجواءٌ كلُها أجواءُ سعادةٍ وراحةٍ، ولا ملَلَ فيها ولا سآمَةَ أبداً، ويتجددُ النعيمُ، بعدَ كلِ فترةٍ تأتي أشياءُ جديدةٌ، موديلات جديدة، أصنافٌ جديدةٌ من فضلِ الله.

الجنةُ هي مُستقَرُ رحمةِ اللهِ ودارُ كرامتِه، يتجلى فيها كَرَمُ اللهِ سبحانه وتعالى ورحمتُه على نحوٍ عظيمٍ وعجيبٍ وكبيرٍ جدا، حتى الصِحاف والأواني التي يقدَّمُ فيها الطعام {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ} (الزخرف ـ من الآية ٧١)، الأكوابُ والأواني الفضيةُ والذهبيةُ التي تُستخدم في عالم الجنة، وكم في القرآنِ الكريمِ من حديثٍ واسعٍ عن نعيمِ الجنة.

يُمكن للإنسانِ خلالَ شهرِ رمضان المبارك أن يتأملَ وأن يحسبَ حسابَ نفسِه، كيفَ يسعى ليصلَ إلى ذلك النعيمِ إلى دارِ كرامةِ اللهِ ومُستقَرِّ رحمتِه، والخسارةُ كبيرةٌ جداً، الإنسان إذا لم يسعَ ليفوزَ بهذا الفوزِ العظيمِ فالخسارةُ رهيبةٌ جدا يومَ القيامةِ، إذا لمْ تكُنْ من أصحابِ الجنةِ، إذا لمْ تَسِرْ في طريقِ الجنةِ المُوصِلَةِ إليها وهي التقوى والطاعةُ لله والاستجابةُ لله.

لا يكونُ حدُّ الخسارةِ يومَ القيامةِ بأنك ستخسرُ فَحسبْ هذا النعيمَ، لا يقولون لك مثلاً "عفوا يا أخي أنتَ لستَ من أهلِ الجنةِ عُدْ إلى مَنزلِك عُدْ إلى الدنيا هذهِ وابقَ في بيتِكم اِرجعْ القريةَ أو اِرجعْ الحارةَ"، لا، ليس هناك من بديلٍ عن الجنةِ إلا النار، لا بديلَ عن الجنةِ إلا النار، فإمّا أن تَسلكَ طريقَ هذه الجنة، تبدأ الرحلةَ مِن هُنا من عالمِ الدنيا في طريقِها المرسومةِ لها {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (آل عمران ـ من الآية ١٣٣)، {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا} (مريم ـ ٦٣)، {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} (محمد ـ من الآية ١٥).

فلتسعَ لتكونَ من عبادِ اللهِ المُتقين في ما وصَفهُم بهِ في كتابِه الكريم، ولتستجبْ للهِ الاستجابةَ الكاملةَ، ولتتُبْ إلى اللهِ عندَ الذنوبِ عندَ الزلَّةِ، عندَ الخطأ، وتَرجِعْ وتُنبْ إلى اللهِ سبحانه وتعالى، لا تُصر على المعصيةِ، لا تتهاون ابتداءً للوقوعِ في المعصية، وإذا زَللتَ فلتُبادرْ بالتوبةِ والإنابةِ إلى اللهِ سبحانه وتعالى وتطلبْ من اللهِ دائماً التوفيقَ، ولتبتعدْ عن الأسبابِ والمَزالقِ الخطرةِ التي تُوقعك في المعصيةِ، وتتحركْ في طريقِ الحق، وإلا فالخسارةُ كبيرةٌ جداً، اللهُ أقسمَ قَسماً كبيراً في القرآنِ الكريم {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ} (العصر ـ ١،٢)، {الإنسان لَفِي خُسْرٍ} خسارتُه مُحققةٌ ومؤكدةٌ ولا شكَ فيها إلا {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.

نحنُ في شهرٍ كريمٍ نتروّضُ فيه على التقوى، نُحاولُ أن نُسيطرَ على شَهواتِ النفْس، نُحاولُ أن نتروّضَ على الصبرِ والتحمُلِ فيما يُساعدُنا ولما يُساعدُنا للاستجابةِ للهِ سبحانه وتعالى، والنهوضِ بمسؤولياتِنا لكي نُفلحَ، لكي نفوزَ، ومُهمٌ مع ذلك التركيزُ على الدُعاء، أهلُ الجنةِ في الجنةِ من أسبابِ نَجاتِهم وفَوزِهم العظيمِ كما ذَكروا هُم فيما حَكاهُ اللهُ عنهم {إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} (الطور ـ ٢٨).

الإخلاص لله

ولأهمية النية تتكرر في القرآن الكريم - وهو يأمر عباده في مختلف مجالات ميادين العبادة - أن عليهم أن يتوجهوا بعبادتهم إليه {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} (البينة: من الآية ٥) {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} (الكهف: من الآية ١١٠) وعن الجهاد يقول دائما فيه: {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أليس كذلك؟.هل تفهموا هذه؟

تتكرر هذه، يقول لك: يجب أن يكون توجهك وتكون نيتك وقصدك وأنت تتحرك في ميادين العمل في سبيل الله، ميادين أعمال الجهاد أن يكون ذلك كله في سبيل الله، من أجل الله من أجل نصر دينه، من أجل إعلاء كلمته. لا أريد من هذا أن يقدر لي عملي، ولا أريد من هذا أن يشكرني على ما عملت، ولا أريد من هذا أن يعلم ماذا صنعت ولا أريد من هذا أن يعلم أثر ما قدمت، أريد ممن يعلم الغيب والشهادة هو وحده أن يكتب لي أجر ما عملت، وأن يتقبل مني ما عملت وبدون منّة عليه .. سأقول له: هذا هو أقل قليل يمكنني أن أعمله، هذا هو ما يمكنني أن أعمله وهو قليل يا إلهي في جانبك، هو قليل في جانبك، هو قليل في جانب ما يجب علي لك.

فما أكثر ما تكررت كلمة: {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أو تأتي أحيانا بأبلغ منها {فِي اللَّهِ} {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} (الحج: من الآية ٧٨) {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (العنكبوت:٦٩).

ثم أنت حتى تتمكن أن تقطع على نفسك أن لا تلتفت إلى غير الله، وأنت تنطلق في الأعمال العبادية بمختلف أنواعها قارن بين الله وبين الآخرين الذين تحاول أن يلتفتوا إليك ليقدروا عملك، أو يشكروا جهدك، أو يثنوا عليك ما قيمة ثنائهم عليك؟. ما قيمة تقديرهم لعملك؟. ماذا يمكن أن يصنعوا لك بجانب ما يمكن أن يصنعه الله لك؟. قارن بين الله وبين الآخرين، ستجد أنه ليس هناك أحد بمستوى أن تشركه في ذرة من عملك، في مستوى أن ترجو منه أقل قليل، قد يكون في مقابل أن تفقد الكثير، الكثير من ربك.

ليعظـم اللـه في أنفسـنا حتـى يصغـر كل مـا سـواه في أعيننـا. الإنسـان الـذي يـرائي، الإنسـان الـذي ينتظـر الثنـاء مـن الآخريـن، الـذي ينتظـر الجـزاء مـن الآخريـن هـذا هـو إنسـان ليـس للـه في نفسـه ذرة مـن شـعور بالعظمـة، هـذا هـو إنسـان فعـلا يؤلّـه الإنسـان أكـثر مـما يؤلّـه رب العالمـين، هـذه هـي الحماقـة بنفسـها، هـذا هـو الغبـاء بنفسه، هذا هو الضلال بعينه، هو ضياع الأعمال والجهود.

الإخلاص لله هو صمام الأمان في ميادين العمل

الإخـلاص للـه هـو صـمام الأمـان في ميادين العمـل أيضـاً. إذا انطلـق النـاس وكلهـم مخلصـون للـه سـيخلصون في السـر وفي العلـن، وفي السـراء والـضراء، وفي الشـدة والرخـاء، وسـيخلص سـواء هـو أمـام فـلان أم ليـس أمامـه، سـيخلص في أي عمـل يقـوم بـه سـواء رآه أحـد أم لم يـره أحـد، سـيكونون هـم مجموعـة يحافظـون عـلى توحدهـم عـلى أرقـى درجـات مـا يمكـن أن يصـل إليـه النـاس في توحدهـم، فـما يفـرق بـين النـاس إلا هـذه المشـاعر مشـاعر الريـاء. [أنـا تحركـت فلـم يقـدروا جهـودي، هـؤلاء لا يصلحـوا]. فتذهب من عندهم، والآخر يذهب، والآخرون يذهبون من عندك، وهكذا.

لكـن إذا انطلـق النـاس مـن أجـل اللـه فـما الـذي سـيفرق بينهـم حينئـذ؟ سـيكونون جميعـاً نفسـياً مهيئـين لأن يقبلـوا توجيهـا واحـداً هـو هـدي اللـه؛ لأنـه ليـس في نفوسـهم شيء آخـر بديـل، ليـس لدينـا مطامـع شـخصية، ولا مقاصـد شـخصية، لا ماديـة ولا معنويـة، وبالتـالي فـما الـذي يحـول بينـي وبـين أن أقبـل هديـا واحـدا مـن جانـب اللـه، أسير عليه أنا والآلاف من زملائي؟.

إنمـا أحيانـا لا تسـير مجموعـة مكونـة مـن عـشرة أشـخاص إذا كان داخلهـا مـن لـه رؤى أخـرى يعمـل عـلى بنـاء شـخصيته - كـما يقولـون - أن يكـون هـو مفكـرا، أن يكـون لـه حـق التفكـير، وحـق إبـداء الـرأي، أن يكـون هـو الـذي لـه حـق أن يجتهـد، ولـه حـق أن ينظـر، ولـه حـق .. ولـه حـق .. إلى آخـره. يمـلأ رأسـه بالحقـوق الشـخصية لـه، وحينئـذ فأي جانب من التوجيهات هي من داخل القرآن الكريم سيعمل على أن يدفعها.

فـإذا كان زميلـه هـذا أو ذلـك ممـن يمكـن أن يقبـل ذلـك التوجيـه مـن اللـه سـبحانه وتعـالى؛ لأنـه ليـس لهـم هنـاك قائمـة للحقـوق الشـخصية داخـل نفوسـهم فإنـه وهـم لن ينسـجموا .. بـل سـتكون حركتـه في السـاحة مختلفـة عـن حركتهـم، وسـيعمل عـلى أن يصنـع في السـاحة نسـخا مـن نوعيتـه في النـاس، وهـذا هـو نفسـه مـن أهـم بواعـث التفـرق، ذلـك التفـرق الـذي يصبـغ كل طـرف فيـه مـا هـو عليـه بصبغتـه الدينيـة فيضفي على تفرقه وخلافه صبغة دينية.

الناس إذا ذابوا في الله سبحانه وتعالى قبلوا جميعا كلمته الواحدة، هديه الواحد .. ألم نقل أمس في المحاضرة أن هناك نموذج مهم لهذا الجانب هو أنبياء الله على اختلاف أزمنتهم، وأمكنتهم، تلمس فيهم روحية واحدة، وصفا واحدا، بل يعطون الموثق والشهادة لله، والعهد لله: أنه إن بعث الله محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يقفوا جنودا معه أن ينصروه، أليس هذا هو قمة الذوبان في الله؟ وهم أنبياء مكانتهم عالية.

ما الذي جعلهم على هذا النحو؟ إلغاء تلك القائمة الطويلة العريضة في نفوسهم: لي حق أن أكون كذا، ولي حق كذا .. ولماذا لم يعتدوا برأيي، ولي حق إبداء نظري ولي حق .. ولي ... الخ.

أنت تستطيع أن تنفع الإسلام، وتستطيع فعلا أن تنطلق في الساحة فتقيِّم كل شيء، تنظر إلى أعمال الآخرين من أعداء الله فتراقبها عن كثب ثم ارفع وجهات نظرك إلى الآخرين ممن تراهم قادة لك أو أعلاما لحركتك، وهم إذا كانوا مخلصين، مهتمين سيكونون ممن لا ينظرون نظرة احتقار إلى أي شخص مهما كان، فبإمكانه أن يذكرنا بقضية مهمة، ألم يتمكن [هدهد] من أن يدل أمة بكاملها بملكتها على أن تسلم؟ ألم يستفد سليمان (عليه السلام) من نملة واحدة؟.

الكل بحاجة إلى أن يذوبوا في الله، والكل بحاجة إلى أن يتحركوا بجدية، وكل واحد منهم يتحرك وكأنه هو القائد، وكأنه هو المعني بكل شيء، وكأنه هو المسؤول عن كل شيء، وكأنه هو من عليه أن يهتم بكل شيء، بشكل مراقبة لواقع الآخرين وأعمال الآخرين، وأي قصور أو تثبيط أو تخاذل يحدث من جانب الآخرين من زملائه.

ثم ليقدم كل معلوماته لمن يرى أنهم هم من يقودون أعماله، من يتحرك هو وهم في سبيل الله سبحانه وتعالى وفي مواجهة أعدائه.

الإخلاص مهم في قيمة الأعمال عند الله

الإخلاص مهم في قيمة الأعمال عند الله، وأحيانا قد تخسر قيمة كبرى لعملك، ليست فقط هي ما يمكن أن يعطيه عملك في حدوده بل آثاره أيضا، آثاره في الآخرين، وآثاره في الأمة من بعدك .. الإنسان إذا رأى أنه سيخسر شيئاً عظيماً، سيخسر أجراً مضاعفاً يتكرر جيلاً بعد جيل.

أما إذا أخلص لله فسيكون هو من يلقى الله سبحانه وتعالى بأجر كبير، بأعمال مضاعفة، ليست فقط هي أعماله بل ومن أعمال الآخرين، ومن حسناتهم الذين

كان عمله سبباً لهدايتهم، من كان عمله سبباً لإنقاذهم، كان عمله سبباً لتوعيتهم، وتبصيرهم، وإكمال إيمانهم.

أليس هذا هو الفضل العظيم؟ ألم يقل الله عن أولئك المجاهدين: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (المائدة: من الآية ٥٤)؟ لأنه هكذا أنت في ميدان أن تصنع لنفسك فضلا عظيما عند الله، أن تبني لنفسك رصيدا مهما من الأجر الكبير من الحسنات المضاعفة عند الله، المجاهدون هم أولئك الذين يعملون على أن ينقذوا الأمة، وينقذوا الأجيال من بعدهم فيكونوا هم من سيشاركون كل فرد في الأعمال الصالحة التي ينطلق فيها .. أليس هذا هو الفضل العظيم؟

عمرك القصير سبعين سنة، ثمانين سنة، ستين سنة .. ماذا يمكن أن تتسع له أمام تقصيرك وقصورك وجهلك؟!. لكن تلك الأعمال المهمة هي الكفيلة بتغطية ذلك النقص.

أليس هذا هو فضل الله يؤتيه من يشاء بهذه العبارة؟: {يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} فمن هو الذي يجعل نفسه جديراً بأن يؤتيه الله ذلك الفضل؟ هو من ينطلق في أعماله بإخلاص.

هذا هو فيما يتعلق بقيمة الإخلاص لله، فيما يتعلق بأجر العمل وهو في نفس الوقت له أثره المهم في توحيد كلمة الأمة، توحيد كلمة المجموعة، توحيد كلمة العاملين، بل وفاعليتهم سينطلقون بجد حتى وإن كان في ظلمات الليل في الصحراء لا ينتظر لأحد أن يلتفت إليه فيقول: ما شاء الله. يرى نفسه في حالة شديدة في الصحراء من البرد، من الجوع، من الألم لا يخطر بباله أن يتمنى [أن فلان يراني ليعرف أني أحسن من ذلك الشخص الذي رابض عنده أو أحسن من فلان الذي يعتمد عليه .. أو .. أو ..] من هذه العبارات الكثيرة.

هو وحده واثق أن هناك من يراه هو الله، وهذا هو المهم أن يكون الله الذي يراه، هو وحده الذي يقبل عمله ذلك .. أليس الإخلاص هو الذي سيجعل كل جندي يتفانى في أي ميدان هو؟. أليس الذي هو سيقفل كل بواعث التفرق؟.

معظم بواعث التفرق هي: البغي، والحسد. والبغي والحسد منبعه هو: النظرة الشخصية، مصالح شخصية، حقوق شخصية، أهداف شخصية، ومقاصد شخصية .. أليس هكذا الله تحدث عن أولئك الذين تفرقوا من بعد أنبيائهم، أن ما كان يدفعهم للتفرق هو البغي هو الحسد. البغي من بعضهم على بعض اعتداءهم، ومتى ستعتدي على أخ لك في الله وأنت وهو منطلقان في ميدان العمل لله

بإخلاص لله.

مـن الـذي سـيفرق بينكـم؟ اللـه الواحـد الأحـد يمكـن أن يفـرق بينكـم؟! وهـو الـذي لم يفـرق بـين أنبيائـه جيـلا بعـد جيـل، وهـو الـذي طلـب منـا كمؤمنـين أن نؤمـن بـأن لا تفرقـة بـين أنبيـاءه {لا نُفَـرِّقُ بَـيْنَ أَحَـدٍ مِنْهُـمْ} (البقـرة: مـن الآيـة ١٣٦) أبـدا .. لا اللـه، ولا هديـه، وإنمـا أنـت أو أنـا، إذا مـا ابتعدنـا عـن هـدى اللـه سـيظهر البغـي سـيظهر الحسد، ستظهر المصالح الشخصية، ستظهر المقاصد السخيفة، ستظهر الحماقة.

ثـم حينهـا سـيكون كل طـرف قـوي .. قـوي في سـبيل مواجهتـه للطـرف الآخـر؛ لأنـه حينئـذ أصبـح يتحـرك لتحقيـق أهـداف شـخصية لديـه، ومـا أحمـق الإنسـان ومـا أضعف إيمانـه، ومـا أضعـف يقينـه باللـه إذا مـا كانـت حركتـه قويـة عندمـا يتحـرك مـن أجـل مصالحـه الشـخصية، ومـن أجـل تحقيـق أهدافـه ثـم هـو الضعيـف الضعيـف إذا مـا كانت حركته لله وفي سبيل الله.

الإخـلاص للـه سـيقضي عـلى كل هـذه السـلبيات، عـلى كل هـذه الثغـرات سيسـدها. حتـى تكـون نيتـك عـلى هـذا المسـتوى أيضـا أنـت مـن يفكـر دائمـا في عظمـة اللـه، وفي حاجتـك إليـه، وفي أنـه وحـده فـوق كل طـرف آخـر ممكـن أن تطلـب منـه شـيئا أو تخـاف منـه شـيئا، الثنـاء مـن قبلـه وحـده عليـك أعظـم مـن أي ثنـاء مـن الآخريـن عليك.

[مكارم الأخلاق الدرس الأول]

الإخلاص أهم متطلبات الجهاد في سبيل الله

يقـول اللـه "سـبحانه وتعـالى" مخاطبـاً لنبيـه محمـد "صلـوات اللـه وسـلامه عليـه وعـلى آلـه": {إِنَّـا أَنْزَلْنَـا إِلَيْـكَ الْكِتَـابَ بِالْحَـقِّ فَاعْبُـدِ اللَّـهَ مُخْلِصًـا لَـهُ الدِّيـنَ (٢) أَلَا لِلَّـهِ الدِّيـنُ الْخَالِـصُ} [الزمـر: ٢ - ٣]، في هـذه الآيـة المباركـة في قولـه: {إِنَّـا أَنْزَلْنَـا إِلَيْـكَ الْكِتَـابَ بِالْحَـقِّ فَاعْبُـدِ اللَّـهَ مُخْلِصًـا لَـهُ الدِّيـنَ}، يبـين اللـه "سـبحانه وتعـالى" أنـه أنـزل القـرآن الكريـم وفيـه تعليماتـه، وفيـه توجيهاتـه، وفيـه شرعـه، وهـو الـذي يتضمـن تعاليـم هـذا الديـن، فيقـول: {فَاعْبُـدِ اللَّـهَ}؛ لأن عبـادة اللـه تتحقـق مـن خـلال العمـل بهـذا الكتـاب، والإتِّبـاع لهـذا الكتـاب، والاهتـداء بهـذا الكتـاب، {فَاعْبُـدِ اللَّـهَ مُخْلِصًـا لَـهُ الدِّينَ}، والإخلاص هنا يشمل الجانب الاعتقادي والجانب العملي.

{أَلَا لِلَّـهِ الدِّيـنُ الْخَالِـصُ}، وهـذا إعـلان عـام: {أَلَا لِلَّـهِ الدِّيـنُ الْخَالِـصُ}، فواجبنـا جميعـاً، واجـب البـشر جميعـاً: أن يدينـوا للـه "سـبحانه وتعـالى" بإخـلاص، بشـكلٍ

خالـص، ألَّا يشـوبوا دينهـم وعبادتهـم للـه "سـبحانه وتعـالى" بـأي شـائبةٍ مـن الـشرك، لا عـلى المسـتوى الاعتقـادي، ولا عـلى المسـتوى العمـلي، وهـذا هـو الإخـلاص للـه "سـبحانه وتعـالى"، فـما تعبـد اللـه بـه مـن العبـادات، ومـا تتقـرَّب بـه إلى اللـه "سـبحانه وتعـالى" مـن القربـات، تقدِّمـه خالصـاً للـه "سـبحانه وتعـالى"، مـن أجلـه "جـلَّ شـأنه"، تبتغـي مرضاتـه هـو؛ وبالتـالي ليـس لـك هـدفٌ آخـر، أو مقصـدٌ آخـر مـن خـلال ذلـك، لا في صلاتـك، ولا في حجـك، ولا في زكاتـك، ولا في إنفاقـك، ولا في صدقاتـك، ولا في قولـك الحـق، ولا في جهـادك، ولا في أمـرك بالمعـروف ونهيـك عـن المنكـر، ولا في مواقفـك الحـق، كل مـا تعملـه مـن هـذا الديـن، تعملـه لأجـل اللـه "سـبحانه وتعـالى"، وليـس لأيِّ مقصـدٍ آخـر مـن النـاس، لا مقصـدٍ مـاديٍ ولا معنـوي، لا لـكي تحصـل عـلى مكاسـب ماديـة في مقابـل مـا تعملـه مـن هـذا الديـن، مـا تقـوم بـه مـن هـذه القربـات والأعـمال الصالحـة، التـي هـي مـن ديـن اللـه "سـبحانه وتعـالى"، ولا مقاصـد معنويـة، مثـل: المديـح، والثنـاء مـن الآخريـن، أو منصـب معـين، أو سـمعة معينـة، ومكانـة معينـة في نفـوس النـاس، أو في نفـوس بعضهـم، أو في نفـس أيِّ شـخصٍ منهـم، فتعمـل مـا تعمـل مـن دينـك وأنـت تتقـرب بـه إلى اللـه "سـبحانه وتعـالى"، مـن أجلـه فقـط، ليـس لـك أي مطلـب ولا مقصـد آخـر مـن غـير اللـه "سـبحانه وتعـالى"، هنـا يكـون مـا قدَّمتـه خالصـاً مـن أي شـائبة؛ لأنك اتجهت به إلى الله "جلَّ شأنه"، ولم تتجه به إلى غيره.

أمَّـا إذا دخـل هـذا المقصـد الآخـر، سـواءً في صلاتـك، تصـلي وتتقـرَّب بذلـك إلى اللـه، ومـع ذلـك تبتغـي أن تحصـل عـلى سـمعة طيِّبـة، وتنتظـر مـن الآخريـن الثنـاء، والإشـادة بـك، أو تجاهـد وأنـت تريـد أن تحصـل عـلى الأجـر والثـواب، في نفـس الوقـت تبتغـي وتحـرص وتنتظـر مـن الآخريـن أن تحصـل منهـم عـلى ثنـاء، عـلى مديـح، عـلى مكانـة في نفوسـهم، عـلى احـترامٍ مـن جانبهـم، عـلى تقديـرٍ مـن جانبهـم، وتتوجـه كهـدف أسـاسي لهـذا، جـزءٌ مـن هدفـك في العمـل هـو هـذا الهـدف، وحتـى لـو لم يتحقـق لـك هـذا الهـدف؛ سـتغضب، وتسـتاء، وسـيؤثِّر ذلـك عـلى عملـك نفسـه، ففـي كل أعمالـك: في جهـادك، في إنفاقـك، في عطائـك وإحسـانك، في قولـك الحـق، في مواقفـك الحـق ... في كل مـا تعملـه مـن الأعـمال الصالحـة، كل الـذي تعملـه مـن هـذا الديـن، يجـب أن يكـون خالصـاً مـن أجـل اللـه "سـبحانه وتعـالى"، مـن أجـل اللـه "سـبحانه وتعـالى"، وتبتغـي كل الخير من عنده، كل الخير هو من عنده.

يقـول اللـه "سـبحانه وتعـالى" معلِّمـاً لنبيـه "صلـوات اللـه وسـلامه عليـه وعـلى آلـه"، وهـو تعليـمٌ أيضـاً لـكل مؤمـن: {قُـلْ إِنِّي أُمِـرْتُ أَنْ أَعْبُـدَ اللَّـهَ مُخْلِصًـا لَـهُ الدِّيـنَ} [الزمر: الآية ١١].

يقـول "جـلَّ شـأنه" أيضـاً: {هُـوَ الْحَـيُّ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ فَادْعُـوهُ مُخْلِصِـينَ لَـهُ الدِّيـنَ} [غافر: من الآية ٦٥]، وهـذا خطـابٌ للجميـع بشـكلٍ مبـاشر، يتوجـه إلينـا جميعـاً: {فَادْعُـوهُ مُخْلِصِـينَ لَـهُ الدِّيـنَ}؛ لأنـه لا إلـه إلا هـو، فـكل مـا نعملـه مـن الديـن، ومـا نتقـرَّب بـه مـن الديـن، يجـب أن نتقـرَّب بـه إليـه وحـده، وألَّا يشـوب إخلاصنـا في ذلـك أي شائبةٍ من شرك، لا عقائدي ولا عملي، ولا رياء؛ باعتباره من الشرك العملي.

يقـول "جـلَّ شـأنه": {وَمَـا أُمِـرُوا إِلَّا لِيَعْبُـدُوا اللَّـهَ مُخْلِصِـينَ لَـهُ الدِّيـنَ} [البينة: من الآية ٥]، فـلا بـدَّ مـن الإخـلاص في العبـادة، في الديـن، في الدعـاء بعنوانـه العـام، وعنوانـه الخـاص، لا بـدَّ مـن الإخـلاص للـه "سـبحانه وتعـالى"، هـذا جـزءٌ أسـاسيٌ مـن توحيـدك للـه "سـبحانه وتعـالى"، هـو مـن مصاديـق توحيـدك للـه "سـبحانه وتعـالى" عـلى المسـتوى العملي.

يقـول "جـلَّ شـأنه" وهـو يعلِّمنـا كيـف نتخاطـب مـع أهـل الكتـاب: {وَلَنَـا أَعْمَالُنَـا وَلَكُـمْ أَعْمَالُكُـمْ وَنَحْـنُ لَـهُ مُخْلِصُـونَ} [البقرة: من الآية ١٣٩]، وهـذا أيضـاً مـن الإخـلاص بمعنـاه العـام، الإخـلاص في الديـن، الإخـلاص في العبـادة، والسـلامة مـن كل شـوائب الشرك الاعتقادي والعملي.

يقـول "سـبحانه وتعـالى" أيضـاً فيـما يتعلـق بالجهـاد في سـبيل اللـه، ويتكـرر هـذا في القـرآن كثـيراً: {فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ}، عنـد الأمـر بالجهـاد يـأتي بقولـه "سـبحانه وتعـالى": {فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ}، ويتكـرر هـذا كثـيراً؛ وذلـك ليكـون جهـادك مـن أجـل اللـه أولاً، وليـس مـن أجـل هـدفٍ آخـر، أو مقصـدٍ آخـر تبتغيـه مـن النـاس، لا سـمعة، ولا مكانـة، ولا منصـب، ولا مديـح، ولا مكاسـب ماديـة تبتغيهـا في مقابـل ذلـك، {فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ}: مـن أجلـه، هـذا أولاً، ووفـق الطريقـة التـي رسـمها وحددهـا في كتابـه، فيكـون تحـركك في سـبيل اللـه وفـق تعليـمات اللـه "سـبحانه وتعـالى"، وملتجئـاً إليـه، ومعتمـداً عليـه، ومتـوكلاً عليه.

يقـول "سـبحانه وتعـالى" أيضـاً فيـما يتعلـق بالجهـاد: {وَجَاهِـدُوا فِي اللَّـهِ حَـقَّ جِهَـادِهِ} [الحج: من الآية ٧٨]، وهـذا أيضـاً بشـكل أبلـغ مـن قولـه: {فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ}، يفيـد أن يكـون جهادنـا في سـبيل اللـه بـكل إخـلاص للـه "سـبحانه وتعـالى"، ومـن أجلـه، وابتغـاء مرضاتـه، ومحبـةً لـه، وطاعـةً لـه، فيكـون توجهنـا في ذلـك كلـه إلى اللـه "سـبحانه وتعالى" من دون أي شائبة.

يقـول "سـبحانه وتعـالى" أيضـاً عـن الجهـاد: {وَالَّذِيـنَ جَاهَـدُوا فِينَـا لَنَهْدِيَنَّهُـمْ سُـبُلَنَا وَإِنَّ اللَّـهَ لَمَـعَ الْمُحْسِـنِينَ} [العنكبوت: الآية ٦٩]، وهنـا كذلـك: {فِينَـا}، مـن أجـل اللـه "سـبحانه وتعـالى"، لا يدخـل أي شـائبة، أي مقصـدٍ آخـر مـن النـاس نهائيـاً، هـذا

يخرِّب جهادك، يعطِّل جهادك، هذا مما يصرف الكثير عن مواصلة الجهاد في سبيل الله؛ لأنها تدخل مثل هذه المقاصد الشخصية، والأهداف الشخصية، وما يريدونه في مقابل ذلك من الناس، ما يريده من الناس، ما يريده من هذا أو ذاك، من هذه الشخصية القيادية أو تلك، وهذا يؤثِّر.

يقول "سبحانه وتعالى" أيضاً عن الجهاد: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} [البقرة: الآية ٢٠٧]، يبيع نفسه من أجل الله، ابتغاء مرضاة الله، فهو يسعى للحصول على مرضاة الله، هي هدفه الرئيسي، وليس مرضاة الناس، أو المواقع المعينة (مواقع المسؤولية)، أو المناصب المعينة تتحول هي إلى هدف رئيسي يعلِّق عليه جهاده، مكانة وسمعة معينة، مقاصد مادية ومكاسب مادية يعلِّق عليها جهاده.

التحذير من الرياء وآثاره المدمرة

ثم نأتي إلى التحذير من الرياء، يقول الله "سبحانه وتعالى" مخاطباً لنبيه "صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله": {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: الآية ١١٠]، هذه الآية المباركة من المعروف بين المفسرين وفي التاريخ والحديث أنها نزلت بشأن مجاهدين سألوا النبي "صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله"، عمَّا إذا كان الإنسان يجاهد وهو يريد رضوان الله، ويبتغي مرضاة الله "سبحانه وتعالى"، ولكنه مع ذلك يحب أن يذكر بين الناس بشجاعته وبإقدامه، وبسالته، وتضحيته، فهو يريد من الله الأجر، ويريد من الناس الصيت، السمعة، الإشادة، المديح، فهل سيؤتى الأجر على ذلك؟ فنزلت هذه الآية المباركة لتحسم الأمر حسماً نهائياً، من غير المقبول أن يكون لك مقصدٌ تتجه به إلى الناس، ليكن كل مقصدك من الله، كل الذي تبتغيه وترجوه من الله "سبحانه وتعالى"، هنا تكون مخلصاً؛ أما إذا شاب جهادك، مواقفك، قولك الحق، عطاءك، إنفاقك، شائبةٌ من هذه الشوائب، تريد منها مقابلاً من الناس، فهذا هو الرياء، وهو شرك، شرك عملي، ولو كنت محسوباً على المسلمين، وأنك مسلم في انتمائك الإسلامي والديني، ولكنك تكون قد ارتكبت جريمةً من أكبر الجرائم؛ بسبب الرياء، يتحول هذا الأمر إلى شرك.

يقول الله "سبحانه وتعالى" أيضاً في التحذير من الرياء، وأنه يبطل الأعمال، يجعل عملك، لا قيمة له، لا تحصل في مقابله على الأجر من الله أبداً، ولا تكسب

بـه كل النتائـج الإيجابيـة للعمـل الصالـح، الـذي تعملـه ابتغـاء مرضـاة اللـه، وهـو في سـياق الحديـث عـن الصدقـة والإنفـاق: {يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا لَا تُبْطِلُـوا صَدَقَاتِكُـمْ بِالْمَـنِّ وَالْأَذَى} [البقـرة: مـن الآيـة ٢٦٤]؛ لأن المـن، عندمـا تتمنـن بمـا أعطيـت، مـما يبطـل صدقتـك، والأذى كذلـك، عندمـا تتبـع مـا أنفقـت أذيـة، هـذا يبطـل صدقتـك، ثـم يقـدم مثـالاً مهـماً، يربـط بـه هـذا الإبطـال أيضـاً، يقدمـه أنـه أيضـاً مـن أكـبر مـا يبطـل الصدقـات ويفقدهـا قيمتهـا، {كَالَّـذِي يُنْفِـقُ مَالَـهُ رِئَـاءَ النَّـاسِ وَلَا يُؤْمِـنُ بِاللَّـهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ فَمَثَلُـهُ كَمَثَـلِ صَفْـوَانٍ عَلَيْـهِ تُـرَابٌ} صخـرة كبـيرة ملسـاء عليهـا تـراب {فَأَصَابَـهُ وَابِـلٌ} مطـرٌ غزيـر {فَتَرَكَـهُ صَلْـدًا} ذهـب بـكل مـا عليـه مـن الـتراب، فبقـي صخـرةً ملسـاء، ليـس عليهـا شيءٌ مـن الطـين، {لَا يَقْـدِرُونَ عَـلَى شَيْءٍ مِـمَّا كَسَـبُوا}، هـذه هـي الخلاصـة، هـذا هـو مـا يعنيـه المثـل، لا يقـدرون عـلى شيءٍ مـما كسـبوا، يكـون عملـك مهـما كان، صلاتـك، صيامـك، زكاتـك، حجـك، إنفاقـك، زكاتـك، عطـاؤك، جهـادك، مواقفـك، قولـك الحـق، وقفتـك الجـادة في موقـفٍ مـن مواقـف الحـق، أي موقـف دخلـه الريـاء يبطـل، لا قيمـة لـه، لا أجـر عليـه، لا فضيلـة منـه؛ وبالتـالي أنـت خـاسر، هـذا يجعلك تخسر، أمر خطير جداً، {لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا}.

يقـول "سـبحانه وتعـال" أيضـاً في سـياق التحذيـر مـن الريـاء في الإنفـاق: {وَالَّذِيـنَ يُنْفِقُـونَ أَمْوَالَهُـمْ رِئَـاءَ النَّـاسِ وَلَا يُؤْمِنُـونَ بِاللَّـهِ وَلَا بِالْيَـوْمِ الْآخِـرِ} ليـس بدافـعٍ إيمـاني، الريـاء هـو يبطـل الدافـع الإيمـاني، هـو يذهـب بالدافـع الإيمـاني، {وَمَـنْ يَكُـنِ الشَّـيْطَانُ لَـهُ قَرِينًـا فَسَـاءَ قَرِينًـا} [النسـاء: الآيـة ٣٨]، لاحظـوا والعيـاذ بالله كيـف يتحـول الإنسـان إلى قريـن للشـيطان بسـبب الريـاء، بسـبب الريـاء تصبح أنـت مقترناً بالشـيطان، وقريناً، ويكون الشيطان قريناً لك، وساء قرينا.

يقـول "سـبحانه وتعـالى" فيـما يتعلـق بالصلاة: {فَوَيْـلٌ لِلْمُصَلِّـينَ * الَّذِيـنَ هُـمْ عَـنْ صَلَاتِهِـمْ سَـاهُونَ * الَّذِيـنَ هُـمْ يُـرَاءُونَ} [الماعـون: ٤ - ٦]، فعندمـا تـرائي حتـى في صلاتك، فالويـل لـك، وهنـا يتبـين لنـا أنـك لا تقتـصر خسـارتك فقـط عـلى ذهـاب الأجـر، عـلى أنـك لم تحـظ بالأجـر، لم تحـظ بقبـول العمـل، بـل أكـثر مـن ذلـك، يتحـول ذلـك العمـل بنفسـه إلى معصيـة، يتحـول ذلـك العمـل بنفسـه إلى معصيـة؛ بسـبب الريـاء، أشـبته بشـائبة جعلـت منـه معصيـةً، بـدلاً مـن أن يكـون قربـةً تحظـى مـن خلالهـا بذلـك الأجـر العظيم والفضل الكبير.

يقـول "سـبحانه وتعـالى" أيضـاً فيـما تعلـق بالجهـاد والمجاهديـن: {وَلَا تَكُونُـوا كَالَّذِيـنَ خَرَجُـوا مِـنْ دِيَارِهِـمْ بَطَـرًا وَرِئَـاءَ النَّـاسِ} [الأنفـال: مـن الآيـة ٤٧]، (بَطَـرًا وَرِئَـاءَ

النَّاسِ): لا يكون هناك سعي للرياء، والعرض أمام الناس، يكون هناك حرص على مرضاة الله "جلَّ شأنه".

يقول أيضاً عن واحدةٍ من صفات المنافقين البارزة، فيما يتظاهرون به من أعمال الخير: {يُرَاءُونَ النَّاسَ} [النساء: من الآية ١٤٢]، فمن أهم صفات المنافقين الرياء والعياذ بالله، ومن أكثر آفاتهم، وأخطر آفاتهم التي يعانون منها في دينهم: الرياء، فإن عملوا خيراً، فلهم مقاصد للرياء أمام الناس.

من أهم ثمرات ونتائج الإخلاص العظيمة

فنجد من خلال هذه الآيات المباركة أن من أهم ثمرات الإخلاص لله هو:

- **قبول العمل:**

أن يقبل الله منك عملك، أن يتقبل منك عملك الصالح، يتقبل منك عبادتك، أن يتقبل منك جهادك، لا بدَّ من الإخلاص، وأن يكون لعملك قيمته في الأجر، والفضل، والقربة، وأثره في واقع هذه الحياة، وأن يكتب لك أثر عملك، الذي قد يبقى أحياناً على مدى أجيال، وكذلك في نتائج العمل وفي نموه، أن يبارك الله عملك وجهودك في أثرها في نفسك، وفي أثرها في الواقع، وأن يحقق لك النجاح الكبير، هذه قيمة مهمة للإخلاص، وعظيمة وأساسية.

- **ثانياً: الفاعلية في العمل:**

من أهم ثمرات ونتائج الإخلاص، أنك ستعمل بكل فاعلية، بكل جد، وفي كل الأحوال، في السر، والعلن، المرائي ينشط إذا كان أمام الناس، أو إذا كان يلحظ أن الناس يلهجون دائماً بالإشادة به، والحديث عنه؛ أما بمجرد أنه يلحظ أن الناس لم يتفاعلوا بالمديح والثناء والإشادة، أو لم يقدموا له ما يبتغيه منهم: منصب معين، مكانة معينة، رتبة معينة، عنوان معين، فهو سرعان ما يتحطم، ويتكاسل عن العمل، ويستاء من العمل، ويقول: هؤلاء لا يقدرون لي جهودي، ولا يهتمون بأعمالي، ولا يلحظون لي إنجازاتي؛ فيستاء.

لكن الذي مقصده الله، ومرضاة الله، وتوجهه نحو الله، وما يريده يريده من الله؛ سيكون نشيطاً في كل الأحوال، فاعلاً، ولو كان وحيداً في الصحراء، لا ينتظر من فلانٍ أن يراه، ولا من فلانٍ أن يقدر عمله، ولا من فلانٍ أن يشيد به، وإلا تكاسل وتخاذل، لا، هو ذلك الجاد والمهتم في كل الأحوال.

فمـن أهـم الثمـرات العظيمـة للإخـلاص هـو الفاعليـة، والجـد في العمـل؛ لأنـك تـدرك أن اللـه يـراك أينـما كنـت، ويقـدر جهـودك، ويعلـم بأحوالـك، وأنـه لا أحـد يقـدر جهودك كاللـه "سـبحانه وتعـالى"، الـذي يعلـم حقيقـة عنائـك وجهـدك، وقيمـة عملـك، هـو "جـلَّ شـأنه" مـن يحيـط بـك، ويعلـم بـكل أحوالـك، النـاس لا يسـتطيعون حتـى لـو كان لديهـم رغبـة أن يهتمـوا بـك، أن يشـيدوا بـك، أن يقـدروا عملـك، لـن يحيطـوا علـما وخـبراً بمقـدار عنائـك، بمقـدار جـدك، بمقـدار اهتمامـك، بمقـدار إخلاصـك، ثـم مهـما قدمـوا لـك فهـو لا شيء، في مقابـل مـا يقدمـه اللـه "سـبحانه وتعـالى"، فالفاعليـة في العمـل، في السـر والعلـن، وفي كل الأحـوال والظـروف، والجـد في العمـل بشـكلٍ مسـتمر هـو مـن ثمـرات الإخلاص.

■ الحفاظ على التوحد، والإخاء

مـن أهـم أيضـاً ثمـرات الإخـلاص هـو: الحفـاظ عـلى التوحـد، والإخـاء، والتعـاون، والألفة، فيما بين المؤمنين:

بإخلاصهـم للـه "سـبحانه وتعـالى" فهـم لا يدخلـون في إشـكالية الأنانيـة، الأنانيـات والمقاصـد الشـخصية مدمـرة للأخـوة؛ أمـا مـع الإخـلاص فلديهـم القابليـة أن يتحركـوا جميعـاً بـكل تفاهـم، بـكل تـآخٍ، بـكل تعـاون، بـكل محبـة، وكلٌ منهـم ليـس لـه مقصـد شخصي من الآخر، ينتظره نحوه.

أيضاً فيما يتعلق بخطورة الرياء:

مـن أكـبر مخاطـر الريـاء هـو خـسران العمـل، خـسران الجهـود، فاللـه لـن يقبـل منـك أي عمل: لا جهاد، ولا إنفاق، ولا صلاة، ولا أي عمل ترائي فيه.

أيضـاً لـن تحظـى بالنتائـج والآثـار الإيجابيـة للعمـل، سـتخسر كل ذلـك الـذي كان اللـه سـيعطيك في مقابـل عملـك في الدنيـا والآخـرة، وهـي خسـارة رهيبـة جـداً، وإذا حصلـت عـلى شيءٍ مـن النـاس، فهـو شيءٌ وهميٌ وزائـلٌ وبسـيط، ليـس لـه أي قـدر في مقابـل مـا خسرته من الله "سبحانه وتعالى".

من السلبيات الكبيرة للرياء:

هـي السـلبية في الأداء العمـلي: الـذي أصبحـت لـه مقاصـد شـخصية، سـواءً في جهـاده، أو في أعمالـه الأخـرى، في الأعـمال الدينيـة، فـأداؤه يكـون أداءً سـلبياً، لا فاعليـة فيـه، لا

جـد فيـه، مـليء بالعقـد، مـليء بالسـلبيات، مـليء بالإشـكاليات، كثـير التذمـر، كثـير الاستياء، كثير العقد، ويحد من فاعليته، لن يعمل بجدية، وبراحة، وبتفاعل، وبجد، كثير التململ، ضعيف الجدية، وقد يصل إلى التوقف، قد يتوقف لأي عائق، لأي استفزاز، لأي إشكالية، وكأن عمله كان من أجل الناس، بمجرد أن استفزه أحدٌ منهم، أو أساء إليه، أو واجه معه إشكالية، أو حصل له أي عقده، فوراً يتوقف، كأن عمله كان للناس، وليس لله "سبحانه وتعالى"، هذا دليل على الرياء.

من أخطر أسباب الفرقة، والأنانية، وعدم الانسجام، والتعقد، في الأداء العملي. فعلاً الرياء خطير.

المقاصد الشخصية التي تنحرف بك عن الإخلاص لله: أصبح لك مقصد شخصي، أن يكون لك منصب معين، تكون مدير أمن، أو تكون قائد عسكري، أو رتبة معينة، أو وظيفة معينة: وزير، أمير، قائد، مدير ... أي موقع معين، سمعة معينة، نفوذ معين، إمكانيات مادية معينة، أن تعطى وتعطى وتعطى، هذه المقاصد المادية والمعنوية من الناس، عندما تكون مقصداً شخصياً لك في العمل، فلها أثر سلبي جداً، تتحول إلى إنسان معقد، وكثير الإشكاليات ويرتبط توجهك العملي بذلك، فأنت لن تستمر في جهادك إلا في مقابل أن تعطى أشياء مادية، أو تحصل على مناصب معينة، أو مواقع معينة، تربط عملك بذلك، لن تقف موقف الحق إلا بذلك، لن تتحرك في واجباتك ومسؤولياتك إلا بذلك.

والكثير من الناس يتوقفون عن العمل في سبيل الله والجهاد في سبيل الله؛ لمّا تغيرت مقاصده، بل إن البعض يكون سباقاً، وتحرك في مراحل معينة، وكان تحركه تحركاً جيداً، ومنطلقاً، ومستمراً؛ لأنه كان سليماً من هذه المقاصد الشخصية، كان يتحرك لا ينتظر مكاسب مادية، ولا مناصب، ولا مواقع في مناصب معينة، يتحرك بشكل كإنسان عادي مخلصاً لله، هدفه ومقاصده من الله، ومبتغاه من الله، ولذلك كان يستمر، بعد أن كان من ثمار إخلاصه- في مراحل معينة- أن يرفع الله من شأنه، أن يجعل له قدراً واحتراماً، أن يهيئه لأعمال أكثر أهمية، ومسؤوليات أكثر أهمية، وعند التمكين ينفذ الشيطان إلى نفسه، فتبرز المقاصد الشخصية، يصبح المنصب عنده مسألة أساسية، لن يواصل إلا بها، وقد يكون منصباً محدداً، تصبح المطالب المادية أساسية عنده، لن يواصل إلا بها، ينسى ان ما وصل إليه سابقاً كان بإخلاصه، وكأنه إن لم يكن مكافحاً ومقاتلاً ومشتداً، ومستخدماً كل أسلوب أن يكون له هذا الموقع المهم، ويستخدم أي وسيلةٍ يراها أنها وسيلة ضغط، فإن الناس سيهمشونه، لن يكون له أي قيمة، أي قدر، هنا أصبح القدر عنده مسألة

يحصـل عليهـا مـن النـاس، ويسـعى إلى كيـف يحصـل عليهـا مـن النـاس، بالتذمـر، بالاسـتياء، بالعقـد، بالتشـويه ... بوسـائل كثـيرة، أو بالتوقـف عـن العمـل، ومحاولـة أن يقول أنا لن أواصل إلا في مقابل ومقابل ومقابل.

فمـن أهـم سـلبيات المقاصـد الشـخصية: أنهـا تنحـرف بالإنسـان بشـكلٍ كليٍ عـن الاسـتمرار في العمـل في طاعـة اللـه "سـبحانه وتعـالى"، وهـذا ملحـوظ، الكثـير مـن النـاس ممـن كانـوا سـباقين في مراحـل معينـة، مـا أوقفهـم إلا المقاصـد الشـخصية، إلا حـين نسـوا اللـه، لـو بقـي اللـه مقصدهـم، واللـه مبتغاهـم، لمـا توقفـوا، هـل هنـاك مشـكلة بينـك وبـين اللـه؟ احتجـاج تحتـج بـه عـلى اللـه؟ الريـاء ثـم الريـاء والمقاصـد الشـخصية هـي التـي تجعـل الإنسـان يقطـع مـا أمـر اللـه بـه أن يوصـل، يتجمـد في مرحلـة معينـة عـن الاسـتمرارية في العمـل في طاعـة اللـه، في الجهـاد في سـبيل اللـه "سـبحانه وتعـالى"، والإنسـان هـو الخاسـر، في مثـل هـذه الحالـة أنـت الخاسـر، لـو تقـرأ في القـرآن الكريـم مـا وعـد اللـه بـه مـن الأجـر العظيـم والفضـل العظيـم، ومـا توعـد بـه، سـتدرك خسـارتك، مـا توعد به المفرطين، المقصرين، العصاة، ستدرك خسارتك أنت.

في آخـر المطـاف يتضـح لنـا أننـا مـن نحتـاج إلى الإخـلاص، اللـه "سـبحانه وتعـالى" عندمـا أمرنـا بالإخـلاص ليـس مـن منطلـق أنانيـة، هـو الغنـي عنـا وعـن أعمالنـا، لكـن الإخـلاص لـه قيمتـه، أثـره، في أنفسـنا، في أعمالنـا، في حياتنـا، في نجاحنـا، ولذلـك نعتـبر هـذا المقـدار مـن هـذه الآيـات المباركـة، والتذكـير عـلى ضوئهـا كافٍ في إدراك أهميـة هذه المسألة.

الإحسان ودوره في حياة الفرد والمجتمع

الإحسان هو عنوان مهم وأساسي في القرآن الكريم، وفي التربية الإيمانية، وفي توجيهات الله "سبحانه وتعالى"، وبشكل عام، إنما هناك خصوصية في مستوى الإحسان فيما يتعلق بالوالدين، فالإحسان إليهما ينبغي أن يكون أعلى مراتب الإحسان في العلاقات البشرية، وفي التعامل مع الناس، فلهما خصوصية في مزيد من الاحترام، والتوقير، والاهتمام بأمرهما، والإحسان إليهما في التعامل، وفي الاهتمام بأمرهما.

ولهذا يأتي في القرآن الكريم التركيز على موضوع الإحسان في كثير من التوجيهات الإلهية، في عرض للمواصفات التي يتصف بها ويتحلى بها المحسنون، وكذلك في الوعد بالأجر، والثواب، والخير، والمنزلة عند الله "سبحانه وتعالى". يقول الله "جل شأنه" في القرآن الكريم: **{وأحسنوا إن الله يحب المحسنين}** [البقرة: من الآية ١٩٥]، أمر بالإحسان، وهذا أمر عام: أن تكون محسنا في علاقاتك بشكل عام، في تعاملك بشكل عام، وكذلك في اهتمامك بأمر الآخرين، وهذا يبدأ من واقعك النفسي، من مشاعرك، من وجدانك، من ثقافتك، من فهمك للدين، ولدورك الإنساني، ومسألة الإحسان سواء على مستوى التعامل، أو على مستوى الاهتمام بأمر الآخرين، وبالذات من هم من الفئات المعانية، عندما تهتم بالفقراء، عندما تهتم بالمساكين، عندما تهتم بالمظلومين، عندما تهتم بأمر المستضعفين، ثم- بشكل عام- عندما تهتم بالمنكوبين، بالمتضررين، وهكذا بشكل عام، الإحسان هو فطرة لدى الإنسان، والإنسان يستشعر أن الإحسان هو قيمة إنسانية وأخلاقية، في نفس الوقت نرى أنه قيمة دينية ذات أهمية كبيرة في الدين، والتوجيهات القرآنية تعطيه أهمية كبيرة.

والإنسان يستشعر بفطرته جمال هذه القيمة، كم لها من بعد إنساني، وأثر إنساني، وإيجابية في مشاعر الإنسان، هي تعبر عن فضيلة، وعن خلق حسن، وعن نفس طيبة، فالإنسان المحسن هو في نفسه غير أناني، هو يحب الخير للآخرين، يحمل إرادة الخير للآخرين، يفكر بالآخرين، يهتم بأمرهم، ليس أنانيا لا يفكر إلا

بنفسه، ولا يبالي بغيره، ليس من النوع الحريص الجشع الطامع، الذي يتجه كل همه في إطار شخصيته ونفسه فحسب.

انعدام حالة الإحسان

ولذلك انعدام حالة الإحسان لدى الإنسان، تعبر عن خلل تربوي، عن خلل في نفسيته، في قيمه الإنسانية والإيمانية؛ لأنها تعبر عن حالة من الأنانية، إلى درجة أنه لا يفكر بأمر الناس، ولا يستشعر معاناتهم، وقد يكون الإنسان في مجتمع فيه الكثير ممن يعاني، يعاني من الظروف الصعبة، من الفقر، من المرض، من ...الخ، ويرى مجتمعه أيضا إما مجتمعا مظلوما مضطهدا، إما مجتمعا فيه المنكوبون، وفيه المعانون بمختلف أنواع المعاناة، فإذا وصل في قسوة قلبه، وتبلد مشاعره الإنسانية، ألا يأسى لحالهم، وألا يتألم لآلامهم، وألا يبالي بهم، وألا يكترث بحالهم، فالحالة هذه حالة خطيرة جدا، تدل على إفلاس في مشاعره الإنسانية، في قيمه الإنسانية، وتدل على ضعف كبير في إيمانه؛ لأن للإيمان الأثر التربوي في نفسية الإنسان وفي مشاعره، تكون مشاعر خيرة، معطاءة، رحيمة، الإنسان يتربى على أساس الرحمة حتى في مشاعره، تتجذر الرحمة بالآخرين حتى في وجدانه، وحتى في شعوره، فيتألم عندما يرى حالات مأساوية، على مستوى المظلومية، أو على مستوى الفقر، أو على مستوى النكبة، أو على أي مستوى من المستويات التي تجمعها كلها عبارة المعاناة.

عندما يكون الإحسان موجودا في مجتمع من المجتمعات كسلوك عام، وكغريزة حافظ عليها الناس، وفطرة نمت في مشاعرهم ووجدانهم وإحساسهم، وتجسدت كسلوك في معاملاتهم واهتماماتهم، فإن هذا المجتمع سيسوده الخير، والمحبة، والألفة، والتعاون، وأيضا سيكون من الواضح فيه مستوى التكافل الإنساني، والتراحم فيما بين الناس، وهذا فيما هو ذو قيمة إنسانية عظيمة جدا يعبر عن أن هذا مجتمع فيه الخير، فيه الإنسانية، فيه القيم العظيمة، فهو أيضا له أهمية كبيرة على مستوى الاستقرار، على مستوى القوة في وحدة ذلك المجتمع، الانسجام فيما بين أبناء المجتمع، ترسيخ العلاقات الإيجابية فيما بين أبناء المجتمع، هذا له أهمية كبيرة في أمنهم واستقرارهم، وصلاح حياتهم.

أما كلما غابت، إذا غابت مثل هذه القيم من أوساط المجتمع، وسادت حالة القسوة، وانعدام التراحم، واللامبالاة بأمر الآخرين، وعدم الاكتراث لحال من يعاني، فهذا المجتمع بقدر ما يتجلى فيه الخواء الإنساني، والإفلاس القيمي، وضعف

الإيمان، فهو أيضا سيفقد الاستقرار في داخله، ستزداد الفجوة والتباين فيما بين أبنائه، ستنتشر البغضاء والكراهية بين أفراد مجتمعه، سينتج عن ذلك إشكالات كثيرة، سيكون مجتمعا بعيدا عن أن يتوحد في القضايا الكبيرة والجامعة التي تهمه، والتي ينبغي أن يتوحد، وأن تجتمع كلمته للتصدي لها؛ لأن هناك القضايا الجامعة، القضايا الهامة، التحديات الكبيرة، المسؤوليات الجماعية، هذه كلها تحتاج إلى أن يكون أبناء المجتمع فيما بينهم في حالة من الألفة، والأخوة، والتعاون، والتراحم، والتقارب، والعلاقات الإيجابية، والمشاعر الإيجابية، فإذا سادت حالة الفرقة، والتباين، والبغضاء، والكراهية، والتنافر، وعدم الاكتراث، كلا لا يكترث بالآخر، فهذه الحالة السلبية جدا ستكون عائقا عن وحدة الكلمة، وعن الاعتصام بحبل الله جميعا، عن الاجتماع في القضايا المهمة، في القضايا الكبيرة جدا، ولهذا نجد أن الإحسان بقدر ما هو ذو قيمة إيمانية وأخلاقية وإنسانية، له أهمية كبيرة في أمور المجتمع، في قضايا المجتمع، في أن يكون المجتمع مجتمعا قويا في مواجهة التحديات التي عليه أن يتعاون في التصدي لها، وفي النهوض أيضا بالمسؤوليات الجماعية التي عليه أن يتحرك فيها كأمة واحدة.

يأتي الحديث عن الإحسان في القرآن الكريم بهذا الترغيب الكبير، وبهذا التشجيع العظيم جدا: {إن الله يحب المحسنين}، {وأحسنوا إن الله يحب المحسنين}، فالمجتمع على مستوى المجتمع بشكل عام، والإنسان بمفرده أيضا بشكل شخصي، إذا كان محسنا، فهو يحظى بمحبة الله "سبحانه وتعالى"، وأكرم بهذا من شرف عظيم، هذا مفتاح لكل خير، أنت عندما تحظى بمحبة الله "سبحانه وتعالى"، فهذا بحد ذاته شرف كبير، أعظم وسام شرف يمكن أن يناله الإنسان: أن يحظى بمحبة الله رب العالمين، ملك السماوات والأرض، وأن يكون بذلك في مصاف أوليائه وأحبائه، هذا شرف، شرف عظيم جدا.

البعض من الناس لو عرف أنه يحظى بمحبة ملك من ملوك الدنيا، رئيس، زعيم، مسؤول في مرتبة معينة، شخص له نفوذ معين، شخص له أهمية معينة، وأنه أصبح يحظى بمحبته، وله منزلة عنده؛ لرأى في ذلك شرفا كبيرا، ولاستشعر من خلال ذلك بالراحة النفسية، والاعتزاز، أصبح يحس أنه شخص له أهمية وله قيمة، وإلا لما حظي بمحبة عند ملك، أو رئيس، أو وزير، أو مسؤول، أو شخص له أهمية وقيمة اعتبارية.

أما عندما يكون من تحظى بمحبته، بالمنزلة عنده، بالمرتبة الرفيعة لديه، هو الله "سبحانه وتعالى"، ملك السماوات والأرض، رب العالمين، ذو الفضل العظيم، فهذا

هو الشرف الكبير، ولكن لسوء حظنا، ولحقارة أنفسنا، ولضعف تربيتنا الإيمانية، قد لا ندرك قيمة هذه المسألة، أهميتها، قد لا نستشعر مدى عظمتها، ولكن لنسعى من خلال التربية الإيمانية أن نستشعر مثل هذه القيمة العظيمة، والأهمية الكبيرة، هذا أمر تتوق إليه نفوس أولياء الله، يتسابقون، ويتنافسون، ويسارعون، في كل ما يعرفون أن فيه محبة الله "سبحانه وتعالى"، وأنهم سيحظون من خلاله بمحبة الله "جل شأنه"، شرف عظيم، منزلة رفيعة جدا.

وأيضا ما يترتب على ذلك من رعاية الله "سبحانه وتعالى"، ورعاية خاصة، بأكثر من رعايته الشاملة لكل عباده، فضل الله ورحمته عمت كل خلائقه، وكل عبادة، ولكن الرعاية التي هي بمحبة هي رعاية خاصة بأوليائه، يمنحهم فيها ما لا يمنح سائر عباده في رعايته الشاملة، ورحمته الواسعة.

عندما نتأمل مثلا في واقعنا كصورة تقريبية للذهن، كيف تتعامل مع من تحبه، وماذا يمكن أن تخصه به نتيجة لمحبتك الكبيرة له، فعلاقتنا بالله "سبحانه وتعالى"، عندما نحظى فيها بمحبة الله، ستأتي فيها الرعاية الخاصة، المزيد من الهداية، والتوفيق، والعزة، ورعاية خاصة في أشياء كثيرة، كما أنها ضمانة للسلامة من عذاب الله "سبحانه وتعالى"، فهي ترغيب كبير جدا، عندما يقول: {**إن الله يحب المحسنين**} [البقرة: ١٩٥]، وتكرر هذا في القرآن، أيضا من مثل قوله "سبحانه وتعالى" في أوصاف المتقين، هو يعرضها في سورة آل عمران، عندما قال "جل شأنه": {**الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**} [آل عمران: الآية ١٣٤]؛ لأن هذه كلها مواصفات هي مواصفات للمتقين، وهي إحسان، فالإحسان ملازم للتقوى، فالإنفاق في السراء والضراء هو لصالح من؟ لصالح المظلومين، لصالح الفقراء، لصالح المحتاجين، لما يخدم عباد الله، لما فيه المصلحة لعباد الله بشكل، أو بآخر.

وكذلك كظم الغيظ والعفو عن الناس، هذا سلوك إحساني رفيع جدا، هذا من السلوك والتعامل بالإحسان، عندما تكظم غيظك تجاه من استفزك، تجاه من زل نحوك من أبناء مجتمعك المؤمن، عندما تعفو، فأنت تمارس هذا السلوك، الذي هو إحسان، وفي نفس الوقت لهذا أهميته الكبيرة في تقليص المشاكل في داخل المجتمع، والحفاظ على وحدة كلمته، للنهوض بمسؤولياته الكبيرة، ولتحركه في المواقف المهمة.

فيختم هذه المواصفات التي عرضها في الآية المباركة بقوله: {والله يحب المحسنين}؛ لأنها كلها إحسان، {والله يحب المحسنين}، وهو من أعظم ما قدمه الله "سبحانه وتعالى" من المرغبات في الإحسان، مما يشجع عليه، ومما يساعد على اندفاع الإنسان إليه.

يقول الله "سبحانه وتعالى" أيضا في القرآن الكريم: {إن رحمت الله قريب من المحسنين} [الأعراف: من الآية ٥٦]، رحمة الله واسعة، ورحمته في الآخرة، ورحمته في الدنيا، هي أقرب ما تكون إلى المحسنين من غيرهم، يعني: هم من يحظون برحمة الله "سبحانه وتعالى" أكثر من غيرهم، وهم من هم أقرب إلى رحمة الله في كل المواقف، في كل الظروف، في كل المراحل، عند كل التحديات، هم الأقرب دائما إلى أن يحظوا برحمة الله "سبحانه وتعالى".

يقول "جل شأنه": {إن الله لا يضيع أجر المحسنين} [التوبة: من الآية ١٢٠]، فإحسانك لن يضيع منه شيء أبدا، ولا يخفى على الله منه شيء أبدا، قد لا تلحظ تفاعل مع إحسانك من جانب الناس، أو من جانب بعضهم، أو قد تتصور في بعض الحالات أنه ما قيمة إحساني هذا؟ ما هي ثمرته، ما هي جدواه، قد تتخيل هذا التخيل تجاه ما قد تلاقيه من جفاء من البعض، وإساءة من البعض، واستفزاز من البعض الآخر، ونكران من البعض الآخر، ولكنك لأنك مخلص لله "سبحانه وتعالى"، وتتجه بآمالك نحوه "جل شأنه"، فهو لن يضيع من أجرك شيء، كل ما تقدمه في إحسانك، في التعامل، والعطاء، والاهتمام بأمر الآخرين بكل أشكاله، فهو مكتوب لك عند الله "سبحانه وتعالى"، لك عليه الأجر، لك عليه المقابل الكبير، عندما تكظم غيظك، عندما تعفو، عندما تقدم المال، عندما تحسن بكل أشكال الإحسان، فهذا له أهميته عند الله "سبحانه وتعالى"، أثره في الواقع، قيمته، والله لن يضيع شيئا من أجرك، كله محسوب، وكله لن يضيع منه مثقال ذرة.

الجهاد أعلى مراتب الإحسان!!

يقول الله "سبحانه وتعالى" أيضا عن جانب من جوانب الإحسان الكبيرة: **{والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين}** [العنكبوت: الآية ٦]، يعتبر الجهاد في سبيل الله وفق مفهومه القرآني الصحيح من أعظم الإحسان، من أعظم مراتب الإحسان، ومن أكبر ما تحسن فيه إلى الناس؛ لأن الجهاد في سبيل الله- كما كررنا هذا كثيرا- ليس وسيلة لحماية الله والدفاع عنه، هو القوي العزيز، والغني الحميد، الجهاد في سبيل الله هو وسيلة لحماية الناس، لدفع الشر

عنهم، لدفع الخطر عنهم، لدفع العدوان عنهم، لدفع المجرمين والأشرار عنهم، فهو وسيلة حماية للناس أنفسهم، ووسيلة دفاع عنهم وهو دفع للخطر والشر والإجرام عنهم، منع للمجرمين والأشرار المتسلطين من السيطرة عليهم، والاستعباد لهم، والإذلال لهم، والامتهان لكرامتهم، فهو إحسان كبير إلى الناس، عندما تجاهد في سبيل الله "سبحانه وتعالى"، فأنت تحمي مجتمعك من أن يستعبد من المتسلطين الطغاة، من أن يقهر ويذل ويهان من خلال سيطرة الأشرار والمجرمين، أنت تدفع شر العدو عنه، أنت تتصدى لذلك العدو الذي يستهدف مجتمعك، يظلم أمتك، يقهر شعبك، وهكذا يعتبر هذا من أكبر الإحسان إلى الناس، وأنت قد تقدم حياتك في سبيل الله "سبحانه وتعالى"، وأنت تدفع عن شعبك هذا الشر، وعن أمتك هذا الخطر، فيعتبر هذا من أعلى مراتب الإحسان، ولهذا ختمت هذه الآية المباركة بقوله "سبحانه وتعالى": {وإن الله لمع المحسنين}.

فنجد من مثل قوله سبحانه وتعالى كل هذه المرغبات الكبيرة في الإحسان، {والله يحب المحسنين} [آل عمران: من الآية ١٤٨]، وهنا: {وإن الله لمع المحسنين}، المحسنون وهم يجاهدون في سبيل الله، وهم يقدمون في سبيل حماية أمتهم الغالي والنفيس، حتى أرواحهم في سبيل الله "سبحانه وتعالى" والمستضعفين من عباده، هم يحظون بمعية الله، أن يكون الله معهم، وهذه عبارة مهمة جدا؛ لأنها جامعة لكل خير، إذا كان معهم، فهم الأقوى، هم المنتصرون، هم الذين سيفلحون، هم سيحظون برعايته القوية والعجيبة والشاملة والواسعة ... الخ.

لكي تحصل على العلم والحكمة.. أحسن

أيضا نجد من مثل قوله "سبحانه وتعالى": {ولما بلغ أشده} وهو يحكي عن نبيه يوسف "عليه السلام" {ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين} [يوسف: الآية ٢٢]، نبي الله يوسف، وأنبياء الله بشكل عام، من أعظم الصفات البارزة فيهم هي الإحسان، وكان من يعرفه يقول عنه إنا نراك من المحسنين.

\هنا يقول الله "سبحانه وتعالى" أن نبيه يوسف "عليه السلام"، وحكى نفس الشيء عن نبيه موسى "عليه السلام" {ولما بلغ أشده} في مرحلة شبابه، {آتيناه حكما وعلما} آتاه الله حكما، وآتاه علما؛ فكان حكيما، وكان عالما، ثم يختم هذه الفقرة بقولة: {وكذلك نجزي المحسنين} [يوسف: الآية ٢٢]، ليبين أنها سنة من سننه "سبحانه وتعالى"، وأنه يعطي عباده المحسنين حكما وعلما، هذا ترغيب كبير

جدا، فهي وسيلة من الوسائل التي تحصل بها على العلم والحكمة، الإحسان، الإحسان، هذا ترغيب كبير، ويدلنا على أهمية الإحسان، وما ينال المحسنون من الله "سبحانه وتعالى".

فالإحسان هو قاعدة أساسية للتعامل، وروحية مهمة جدا ملازمة للتقوى والإيمان، ويبدأ التعامل على أساس الإحسان والعلاقة على أساس الإحسان، ابتداء من محيطك الأسري، من والديك أولا، ولهما خصوصية في هذا التعامل، بالمزيد من الاحترام والتوقير، ألا تسيء إليهما، وفي نفس الوقت أن يتجلى إحسانك إليهما في التعامل، والتخاطب، والاهتمام بأمرهما، مثلما قال في سورة الإسراء: **{إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما}** [الإسراء: من الآية ٢٣]، حتى في طريقة التخاطب والقول، **{وقل لهما قولا كريما*واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا}**، وتصل أهمية هذه المسألة إلى درجة أن الله "سبحانه وتعالى" نهى عن الإساءة إلى الوالدين حتى المشركين، حتى ولو كانا مشركين، قال "جل شأنه": **{وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما}** [العنكبوت: من الآية ٨]؛ لأنه لا طاعة لأحد في معصية الله، حتى لو كان الأب، ولو كانت الأم، من يأمرك بما هو معصية لله، لا يجوز أن تطيعه فيما هو معصية لله، ولكن مع ذلك يقول: **{وصاحبهما في الدنيا معروفا}** [لقمان: من الآية ١٥]، تبقى الصحبة بالمعروف، تبقى مسألة الإحسان، في الاهتمام بأمرهما، في العناية بهما، في طريقة التعامل المحترمة معهما دون طاعة فيما هو معصية لله "سبحانه وتعالى"، سواء تجاه ما أمر، أو تجاه ما نهى.[المحاضرات الرمضانية ١٤٤٢]

بر الوالدين

{وبالوالديـن إحسـانا} بعـد حـق اللـه سـبحانه وتعـالى يـأتي الإحسـان إلى الوالديـن {وبالوالديـن}، الوالديـن (الأب والأم) والقـرآن الكريـم في كثـير مـن توجيهاتـه وفي كثـير مـن سـوره وآياتـه يركـز عـلى هـذا الحـق ويؤكـد عـلى هـذا التوجيـه المهـم الإحسـان إلى الوالدين.

ينظـم القـرآن الكريـم في أوامـر اللـه وتوجيهاتـه العلاقـة في واقعنـا البـشري مـا بيننـا كبـشر، وأول مسـتوى في تنظيـم هـذه العلاقـة يبـدأ مـن علاقـة الإنسـان بالوالديـن بأبيـه وأمـه، واللـه سـبحانه وتعـالى يضبـط هـذه العلاقـة بكلهـا بـكل تفاصيلهـا مـن خـلال هـذا العنـوان، الإحسـان، الإحسـان هـو العنـوان الـذي يضبـط علاقتـك بوالديـك في كل تفاصيلهـا، في المعاملـة، في السـلوك تجاههـما، كل الممارسـات في العلاقـة معهـم يجـب أن يضبطهـا هـذا العنـوان، الإحسـان، أن تكـون قائمـة عـلى الإحسـان، والإحسـان يبـدأ مـن المشـاعر، أن تحمـل تجاههـما المشـاعر الطيبـة المشـاعر الإيجابيـة، العرفـان بحقهـما عليـك، بعظيـم حقهـما عليـك، بجميلهـما إليـك، وهـما مـن تعـب عليـك، وهـما مـن قامـا بتربيتـك، وهـما مـن أنـت منهـما أنـت فـرع منهـما أنـت جـزء منهـما خلقـك اللـه منهـما، تبـدأ بحمـل هـذه المشـاعر الإيجابيـة التـي هـي عرفـان بهـذا الحـق وإحسـاس بمـا تربطـك بهـما مـن علاقـة وأنـك جـزء منهـما، واعـتراف بمـا سـلف مـن حنانهـما إليـك، مـن حبهـما لـك، مـن شـفقتهما عليـك، مـن ألمهـما عليـك، العاطفـة التـي امتلكتهـا الأم والعاطفـة التـي امتلكهـا الأب تجـاه ابنهـما أو تجـاه ابنتهـما هـي عاطفـة كبـيرة لا يتخيلهـا الإنسـان إلا عندمـا يصـير هـو أبـا أو تصـير البنـت أمـا، حينهـا يـدرك كـم كان الأب وكـم كانـت الأم تحمـل مـن عاطفـة جياشـة مـن حنـان مـن شـفقة مـن رأفـة؟ كـم عانـت الأم بـدءا مـن مرحلـة الحمـل بـل عندمـا تعلـق مـن مرحلـة "الوحـام" إلى أن يصـير الابـن أو البنـت كبـيرا، كـم عانـت عـلى المسـتوى النفـسي وعـلى مسـتوى الجهـد والمشـقة التـي احتـاج الطفـل إليهـا واحتـاج الابـن أو البنـت إليهـا في ظـل رعايتهـما، فتبـدأ حالـة الإحسـان هـذه بالمشـاعر الإيجابيـة والطيبـة التـي فيهـا عرفـان بهـذا الحـق، ثـم في الممارسة، في التعامل، في السلوك،

في الكلام، ويكون العنوان الذي هو هذا "الإحسان" هو الضابط لكل تلك التصرفات والممارسات " {وبالوالدين إحسانا}.

{إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا * ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا}.

نحن في مجتمعنا المسلم مهم جدا أن يفهم هذا الجميع في التعامل مع الوالدين، يعتبر هذا التوجيه الإلهي من أهم التوجيهات، وتعتبر هذه قيمة إنسانية عظيمة ومهمة جدا، قيمة إنسانية وخلقا نبيلا ورفيعا ومن مكارم الأخلاق، إضافة إلى أنه أمر يدخل ضمن عبادة الله سبحانه وتعالى والالتزام بتوجيهاته وأمره، وفي الوقت نفسه قيمة إنسانية، الإنسان الحقيقي الذي يمتلك مشاعره الإنسانية من الطبيعي أن تكون علاقته بوالديه علاقة احترام وإحسان وتقدير ومحبة، هذا شيئ فطري، أي ليست مسألة صعبة كيف يفعل الإنسان حتى يكون هكذا تجاه والديه.

الإنسان في فطرته كما في الحديث عن رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله "جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها"، فالإنسان بفطرته يحب من يحسن إليه، وإحسان الوالدين إحسان عظيم، إنما الإنسان يعتاد على هذا الإحسان حتى يصبح شيئا طبيعيا وروتينيا لدى كثير من الناس فلا يقدره ولا يدرك قيمته، ولكن إذا التفت الإنسان وتذكر، لا، إذا تذكر الإنسان كم تعبت والدتك عليك، كم بكت كم أشفقت، كم تألمت، كم منحتك من حنان، كم تولت رعايتك حتى في ظروف صعبة جدا أنت لا تنفعها بشيئ فيها وأنت طفل صغير كم تعبت عليك في تنظيفك في رعايتك في تغذيتك في الاهتمام بك في أشياء كثيرة جدا، الوالد كذلك كم حمل الهم والرحمة والشفقة والاهتمام وأحاطك برعايته إلى آخره.

الكلام يطول حول هذا الموضوع لكن هذه قيمة إنسانية وأخلاقية، وأمر عبادي، أي ضمن عبادتنا لله سبحانه وتعالى وضمن التزاماتنا الدينية والإيمانية، "عاق والديه" هو مرتكب لجريمة كبيرة جدا، من يظلمهما ومن يسيئ إليهما يرتكب جريمة كبيرة جدا، تحبط أعماله الصالحة، وقضية خطيرة عليه، والحال أيضا عندما يصل بالوالدين ـ إما بكلا الوالدين أو بأحدهما ـ أن يكبر عندك وأن يطعن في السن وأن يصل إلى مرحلة العجز ويحتاج إلى الرعاية والمساعدة في مختلف شؤون حياته

قد يصل بالبعض أن يحتاج إلى مساعدة الأب أو الأم حتى في التنظيف حتى في الرعاية بهما، وشبيهة برعايتك في الطفولة، رعاية تحتاج إلى العناية بهما في التغذية في التنظيف في غير ذلك، حتى في مثل هذه الحالة يجب أن تعاملهما باحترام وتقدير وبالقول الكريم، القول الذي فيه إكرام لهما تقدير لهما احترام لهما، ولا يكفي التعامل العادي، التخاطب العادي، التخاطب مع الوالد مع الوالدة التعامل مع الوالد والوالدة ليس سقفه الإيماني المعاملة العادية أبدا، المعاملة كما تتعامل مع أي إنسان بشكل عادي، يجب أن تتميز هذه المعاملة وهذا التعامل، أن يتميز بمزيد من الاحترام والتقدير والتكريم والتواضع، وكما نجد في الآية {واخفض لهما جناح الذل من الرحمة} (الإسراء من الآية ٢٤)، أن تكون تجاههما رحيما ومتواضعا، ومتذللا تذلل الرحمة والاحترام والتقدير، حتى في الحالات التي قد يغضب فيها الأب وينفعل أو تنفعل فيها الأم لا يواجه هذا الانفعال بانفعال مقابل.

البعض من الأبناء مثلا إذا انفعلت عليه والدته أو انفعل عليه والده قد يقابل هذا الانفعال بالانفعال ويسيء إليهما وينهرهما بالكلام يزجرهما بالكلام بالصوت المرتفع أو بالجفاء والجلافة والإساءة إليهما والتجاهل لهما، "يتحيمس" على الأم والأب، فيعرض عنهما ويتنكر لهما ويتجهم بالعبوس إليهما، لا ينبغي ذلك، ينبغي الصبر، التحمل.

وفي الوقت نفسه تأتي تعليمات للأب والأم في القرآن الكريم، كيف يكونا أيضا هما تجاه أولادهما، أي ليس المطلوب أن يكون الأب أو أن تكون الأم أو أن يكون أحدهما تجاه الأولاد متجبرا وظالما ومتعسفا ومتجبرا، أو يعتقد أن الأولاد أصبحوا من ممتلكاته، وأن له الحق المطلق في التصرف كيفما يشاء ويريد فيهم، لا، هم أمانة عندك، وهم عبيد لله سبحانه وتعالى وليسوا عبيدا لك، فالعلاقة منظمة في القرآن الكريم من الأب والأم تجاه الأولاد، وسيأتي الحديث إن شاء الله إذا وصلنا وأتيحت لنا الفرصة نتحدث إن شاء الله في قصة "لقمان"، عن كيف يكون الأب أيضا تجاه أولاده، كيف يكون الوالدان تجاه أولادهما، فالمعاملة مضبوطة بهذا الضابط حتى إلى درجة أن يقول {فلا تقل لهما أف}، أف كلمة استقذار وتضجر، لا يصدر حتى كلمة تضجر ولا كلمة استقذار عندما يكون القول والخطاب لهما القول نفسه قولا كريما، المعاملة كذلك معاملة باحترام وتقدير، يدخل في هذا التخاطب والكلام، ويدخل في هذا المعاملة، ويدخل في هذا أسلوب التعامل كذلك، والحالة التي يكون الإنسان معهما.

وإذا زل الإنسان وهو صالح ومستقيم، بينما في بعض الحالات قد يصدر منه زلل، "ضبح" زيادة، لم يتحمل، ممكن يعتذر ويرجع ويستغفر الله ويعتذر إليهما، ولهذا يقول الله {ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا} (الإسراء ـ ٢٥)، كذلك إذا كان الأب أو الأم لا تقدر بر ولدها وإحسانه إليهما فيتعامل ما بينه وبين الله، يحسب حساب ما بينه وبين الله، فالله هو العالم، لأن البعض أيضا من الآباء والأمهات عندهم تشدد زيادة على الأبناء، أي لا يكتفي بالبر والإحسان والتعامل الطيب، يفترض تعاملا أكثر بكثير، أو مرهق أو يضيق أو يشدد، ويكون حساسا تجاه أبسط خطأ فيغضب أشد الغضب وينفعل أشد الانفعال، فالله هو العالم بالإنسان وبمدى التزامه واستقامته وما في نفسه.

[المحاضرات الرمضانية ١٤٤٢]

الاستقامة و الأساس الذي تقوم عليه

يقول الله "سبحانه وتعالى" في كتابه الكريم: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

ويقول "سبحانه وتعالى": {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأحقاف: ١٣ - ١٤]. الاستقامة عنوانٌ أساسيٌ من أهم العناوين، والجميع مأمورٌ بها في القرآن الكريم، يتوجه الأمر للجميع بأن يستقيموا: الأنبياء، والمؤمنون، والمجتمع البشري بكله، ويترتب عليها ما وعد الله به عباده المؤمنين في عاجل الدنيا وفي آجل الآخرة، ولذلك أتى في القرآن الكريم الأمر من الله "سبحانه وتعالى" لخاتم أنبيائه وسيِّد رسله محمد "صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله" بالاستقامة، في قول الله تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} [هود: ١١٢ - ١١٣].

أيضاً ورد في القرآن الكريم فيما أخبر الله به من أمره لنبيه موسى "عليه السلام"، ولأخيه نبي الله هارون "عليهما السلام"، بعدما دَعَوا الله على فرعون وقوم فرعون، قال تعالى: {قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [يونس: الآية ٨٩].

ثم أيضاً يأتي الأمر للمجتمع البشري، للناس جميعاً بأن يستقيموا، في قول الله "سبحانه وتعالى" مخاطباً لنبيه "صلوات الله عليه وعلى آله"، فيما يعلِّمه أن يبلِّغه وأن يخاطب به الجميع: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ} [فصلت: الآية ٦].

الاستقامة لابدَّ أن تقوم على الأساس العظيم والأساس المهم في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ}، وفي قوله تعالى مخاطباً لنبيه: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ}، هذا أساسها الذي تقوم عليه. في الآيات المباركة التي بدأنا الحديث بها: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ}، {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ} وهم يعون بما تدل عليه، وما تفيده مقولتهم هذه.

{قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ}، (رَبُّنَا اللَّهُ) الذي نعبده، الذي نتولاه، الذي نعبِّد أنفسنا له، فنضبط مسيرة حياتنا ضمن وعلى أساس توجيهاته وتعليماته، وضمن ما يأتينا من خلال هديه "سبحانه وتعالى".

(رَبُّنَا اللَّهُ) الذي نعبده، فنمتثل أوامره، ونطيعه فيما يأمرنا به، وننتهي عما نهانا عنه.

(رَبُّنَا اللَّهُ) الذي نثق به، نعتمد عليه، نتوكل عليه، نخشاه ولا نخشى غيره، نخاف من عقابه، نرغب فيما وعدنا به.

(رَبُّنَا اللَّهُ) "سبحانه وتعالى" الذي نسير في حياتنا على أساس هديه، ووفق أمره، هذه المقولة لها هذا المعنى، لها هذا المدلول، لا تعني فقط مجرد الإقرار بأننا عبيدٌ لله "سبحانه وتعالى"، ثم لا نسير في حياتنا بناءً على ذلك، لا نلتزم في مسيرة حياتنا، في أعمالنا، في مواقفنا، في تصرفاتنا، في ولاءاتنا، في عدائنا، بناءً على ذلك.

أصناف البشر تجاه الاستقامة وفق مدلول (ربنا الله)

إذا جئنا لتصنيف الواقع البشري تجاه هذه المسألة، فسنجد الناس على أصناف:

صنفٌ منهم ممن يقولون: (رَبُّنَا اللَّهُ)، وهم كثير، ولكنهم يتجهون في واقع حياتهم بعيداً عن ذلك، لا يستقيمون وفق ما يعنيه قولهم (رَبُّنَا اللَّهُ)، لا يستقيمون على هذا الأساس، (رَبُّنَا اللَّهُ) فنطيعه، فنتولاه، فنكون من حزبه، من أوليائه، من جنوده، (رَبُّنَا اللَّهُ) فنتقبل هديه، نستجيب له فيما يأمرنا به، فيما يدعونا إليه، فهم لا يستقيمون فيما يعنيه قولهم (رَبُّنَا اللَّهُ)، لا يستقيمون وفق ذلك، لا يسيرون في حياتهم على أساس ذلك. يقولون: (رَبُّنَا اللَّهُ)، ثم يتجهون في واقع حياتهم، في أعمالهم، في مواقفهم، في تصرفاتهم، في ولاءاتهم، في عداواتهم، بعيداً عن هدي الله، بعيداً عن أمر الله، بعيداً عن تعليمات الله، ولا يهمهم مسألة حلالٍ من حرام، ولا حقٍ من باطل، والذي يحكمهم ويؤثِّر عليهم في مسيرة حياتهم، في اهتماماتهم، في أعمالهم، في مواقفهم، في تصرفاتهم، في ولاءاتهم ... وغير ذلك، الذي يحكمهم ويؤثِّر عليهم هو هوى أنفسهم،

أهواؤهم، أو أيضاً أهواء غيرهم، يتجهون مع الآخرين فيما يهواه الآخرون، على غير بيِّنةٍ من أمرهم، ولا هدىً من ربهم، والكثير من الناس هم هكذا: يتحركون بعيداً عمَّا يعنيه قولهم (رَبُّنَا اللَّهُ)، فالكثير يقولون: (رَبُّنَا اللَّهُ)، لكنهم لا يستقيمون وفق ما يعنيه ذلك، وهذه مسألة واضحة في شأن الكثير، وفي واقع الكثير من الناس.

هناك من الناس أيضاً من يقولون: (رَبُّنَا اللَّهُ)، وينطلقون عملياً على أساس هذه المقولة، على أساس قولهم هذا، وقد تكون انطلاقتهم يشوبها الكثير، ليست استقامةً خالصةً متكاملةً وفق هدي الله، وفق أمر الله، وفق تعليمات الله، وفق هدي الله وكتابه، تشوب انطلاقتهم الكثير من الشوائب المؤثرة سلباً، وقد تكبر هذه الشوائب في مرحلة من المراحل، عندما يواجهون اختباراً معيناً، فينحرفون، فهم يستقيمون لبعض الوقت، إلى بعض المراحل، وقد يتجاوزون مراحل معينة، ولكن لمَّا كانت استقامتهم فيها البعض من الاعوجاج، فيها البعض من المؤثرات السلبية، ولم تتكامل بمعالجة تلك الشوائب وتنقيتها، كان لها تأثيرها عليهم في مرحلةٍ من المراحل، يأتي فيها الاختبار من الله "سبحانه وتعالى" الذي يفرز الإنسان، يفرز الناس، ويكون له أهميته الكبيرة، في أن يتبين من هو الذي ينطلق الانطلاقة المتكاملة، ويستجيب لله "سبحانه وتعالى" الاستجابة التامة، التي يتنقى بها، يتطهر بها من تلك الشوائب، والترسبات الخطيرة السلبية، التي تؤثر على نفسية الإنسان، فلا يستقيم إلى نهاية المطاف، إلى نهاية المشوار، وهذه حالة واقعية، وكثيرةٌ أيضاً.

كثيرٌ من الناس، ممن ينطلقون، ويتفاعلون، ويستجيبون، إلى مرحلةٍ معينة، ثم يتغيرون وينحرفون، ويخرجون عن خط الاستقامة، فيتغيرون بشكلٍ تام، ويتجهون اتجاهاً آخر، حصلت هذه على مرِّ التاريخ، ولها نماذجها الكثيرة على مرِّ التاريخ، وتحصل في كل زمن، وتحصل في كل مرحلة، في كل مسيرةٍ للحق، يحصل أنَّ البعض لا يستقيمون، وأنَّ البعض ينحرفون في نهاية المطاف، ويخرجون عن خط الاستقامة.

هؤلاء وحدهم هم الفائزون

والبعض يقولون: (رَبُّنَا اللَّهُ)، يعون ما تفيده هذه العبارة المهمة، ما تفيده مقولتهم هذه، فهم يقولونها عن وعي، وبإيمانٍ راسخ، ثم ينطلقون على أساسها في مسيرة حياتهم، فيستقيمون على الصراط المستقيم، يستجيبون لله "سبحانه وتعالى"، يتجهون بوعي، بصدق، باهتمام، باستجابةٍ متكاملة وفق هدي الله "سبحانه وتعالى"، فيأخذون بأسباب التوفيق من الله "سبحانه وتعالى"، ويستمرون مهما واجهوه في طريقهم من المخاوف، والتحديات،

والأخطار، فهي لا تثنيهم، ففي قولهم: (رَبُّنَا اللَّهُ)، في قولهم هذا ما يُثَبِّتَهُم:

"...ما يُثَبِّتَهُم عند كل المخاوف، أمام كل الأخطار، أمام كل التحديات.

"...وأيضاً عند الرغبات، عند الأهواء، في مواجهة الأهواء، في مواجهة الشهوات، سواءً على المستوى المعنوي، أو على المستوى المادي، ما يواجهه الإنسان من طموحات، من رغبات، من أهواء، تتعلق بالجانب المعنوي، أو تتعلق بالجانب المادي.

"...حتى في مراحل التمكين عندما يُمَكِّنهم الله، يُمَكِّن لهم في أرضه، في مراحل النصر والتأييد لا تتغير نفسياتهم، ولا تتغير اهتماماتهم، ولا تتغير توجهاتهم، هم على ما هم عليه من قبل ذلك في إقبالهم إلى الله "سبحانه وتعالى"، في ثبات توجهاتهم الصحيحة والسليمة، واهتماماتهم الصحيحة والسليمة، لا يتغيرون.

"...ولا يتغيرون أيضاً تجاه المشاكل والتعقيدات التي قد يواجهونها وهم في الطريق، وهم يواصلون العمل، كم يواجه الإنسان من التعقيدات، من المشاكل، من العوائق، لكن ذلك لا يؤثر عليهم.

انطلاقتهم الصادقة الواعية على أساس قولهم: (رَبُّنَا اللَّهُ)، التي استشعروا منها بشكلٍ تام عبوديتهم المطلقة لله "سبحانه وتعالى"؛ وبالتالي إذعانهم التام لأمر الله، استجابتهم الكاملة لتوجيهات الله، ولتعليمات الله "سبحانه وتعالى"، ولذلك فهم يواصلون، لا يتغيرون، لا يخرجون عن خط الاستقامة، ولا يتغيرون عن نهج الاستقامة مهما كانت المؤثرات، مهما تنوعت المؤثرات السلبية، التي تصرف الكثير من غيرهم.

المخاوف، والتحديات، والأخطار، والصعوبات، تصرف البعض؛ الإغراءات، والأطماع، والأهواء، تصرف البعض الآخر، البعض من الناس قد يتجاوزون مرحلة الصعوبات والمخاوف والتحديات والأخطار، ولكنهم يسقطون في امتحان الأهواء، في امتحان التمكين، في امتحان الرغبات، عندما تصبح المسألة هناك ذات أهمية بالنسبة لذوي الهوى (**هوى النفس**)، فيما يتهيَّأ لهم من المناصب، من المقامات، من الإمكانات المادية ... من غير ذلك، البعض يسقط، لا يتحمل تجاه ذلك، يصبح المنصب بالنسبة له أهم من كل شيء، يصبح هو المسألة الرئيسية الأساسية التي سيبني عليها حتى مسألة أن يواصل وأن يستمر، أو أن يتوقف.

فالذين يواصلون على أساس ما تعنيه العقيدة المهمة والمبدأ العظيم: (رَبُّنَا اللَّهُ)، ينطلقون فلا يتغيرون مهما كانت المؤثرات، هم الذين يصلون- في نهاية المطاف- لتحقيق ما وعد الله به، والفوز بما وعد الله به "سبحانه وتعالى" في الدنيا وفي الآخرة، وفي الآخرة: الفوز العظيم، {تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا}.

الاستقامة وطريقها العظيمة الجذابة

طريق الاستقامة وفق هدي الله وفق تعليمات الله، وفق توجيهات الله، هي طريقٌ عظيمةٌ، وجذَّابةٌ، وهي الخيار الصحيح الذي يتحرك الإنسان في مسيرة حياته على أساسه، فيها كل ما ينشدّ إليه الإنسان بفطرته: الحياة الطيِّبة، الحياة الكريمة، الحياة بعزةٍ وشرف، الحياة التي تحظى من خلالها بكرامتك الإنسانية الحقيقية، الحياة التي تستثمر فيها كل جهدك، وكل طاقاتك، وكل قدراتك فيما فيه الخير الحقيقي لك، وتؤمِّن به مستقبلك الأبدي عند الله "سبحانه وتعالى" في الآخرة.

وفيها أيضاً ما يساعد الإنسان على أن يواصل، على أن يثبت، على أن يستقيم، على ألَّا ينحرف ... فيها الكثير والكثير مما يساعد على ذلك:

أول ما في هذه الطريق، هو: الصلة الوثيقة بالله "سبحانه وتعالى"، فأنت عندما تؤمن وتعي بمدلول قوله تعالى: {الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ}، فتقول: (رَبُّنَا اللَّهُ) مؤمناً بذلك، مستوعباً لما يعنيه ذلك، ومرسِّخاً لما يعنيه ذلك في وجدانك، في نفسك، كعقيدةٍ، ومبدأ، وشعورٍ إيماني راسخٍ، وتنطلق على هذا الأساس، وفق هديه "سبحانه وتعالى"، وفق توجيهاته، وفق تعليماته.

فقولك (رَبُّنَا اللَّهُ)، الذي يجعلك متَّجهاً إلى الله تعالى، تعتمد عليه، تخشاه وترجوه، وترغب فيما عنده، تثق به كل الثقة، وتتحرك على أساس وعيك وإيمانك وشعورك بعبوديتك المطلقة له "سبحانه وتعالى"، فهذه الصلة بالله "سبحانه وتعالى" (الصلة الإيمانية) لها أثرها الكبير عليك في مواجهة كل المؤثرات السلبية، في مواجهة المخاوف، والرغبات، والإشكالات، والتعقيدات، فلا يصرفك شيءٌ منها عن الاستمرار في مواصلة السير على هذا الطريق، على الصراط المستقيم، الموصل إلى الغاية العظيمة.

مبادئها عظيمة، ومكاسبها كبيرة، مكاسبها الفوز العظيم، ومنهجها التربوي يزكي النفوس، فيزكي نفسك من الشوائب، التي تؤثر على البعض؛ لأن البعض يحتفظ ببعضٍ من الشوائب السلبية التي تؤثر على النفس، يحتفظ بشيءٍ من الغرور، أو الكبر، أو الطمع، أو الإيثار لهوى النفس ... أو أيٍّ من العوامل السلبية التي تبقى حالةً من الاعوجاج في نفسه، يكبر هذا الاعوجاج في مرحلةٍ من المراحل، فينحرف به عن الصراط المستقيم، ويؤثِّر عليه.

من أهم ما يساعد في الثبات على طريق الاستقامة

الطريق (طريق الاستقامة) التي فيها ما يساعد الإنسان على الثبات، وعلى الاستمرارية، من أهم ما يساعده على ذلك، هو: إدراكه ووعيه وإيمانه بأن الله أنعم عليه بعظيم النعمة عندما وفَّقه لذلك، عندما وفَّقه أن يسير على الصراط المستقيم، أن تكون مسيرة حياته وفق تعليمات الله، ووفق هدي الله "سبحانه وتعالى"، أنها النعمة العظيمة، التي قدَّمها القرآن الكريم على أنها أعظم نعمةٍ أنعم الله بها على الإنسان، حتى صارت هي العنوان العظيم لنعمة الله "سبحانه وتعالى"، في حديثه عمَّا أنعم به على صفوة عباده من الأنبياء والمرسلين، والصالحين من عباد الله، {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة: من الآية ٧]، {فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ} [النساء: من الآية ٦٩].

أن تكون في مسيرة حياتك في طريق الحق، في موقف الحق، متحرراً من العبودية لغير الله "سبحانه وتعالى"، لا تعبِّد نفسك إلَّا لله، تسير وفق هديه، وفق تعليماته، وفق توجيهاته "جلَّ شأنه"، هي نعمةٌ عظيمةٌ جدًّا. أن تقف دائماً موقف الحق، يوم يقف الآخرون موقف الباطل، المواقف التي تخزيهم، المواقف السيئة التي فيها الخزي لهم في الدنيا والآخرة، وتبعاتها عليهم كبيرٌ في الدنيا وفي الآخرة، في الآخرة إلى حد رهيب جهنم والعياذ بالله، فأن تتوفق لأن تقف موقف الحق هي نعمةٌ عظيمةٌ جدًّا، كما قال الله "سبحانه وتعالى"، يذكر عن نبيه موسى "عليه السلام"، الذي استشعر أهمية هذه النعمة: {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ} [القصص: من الآية ١٧]، نعمةٌ عظيمة.

وعي الإنسان بأنه عندما يسير في طريق الاستقامة، وينطلق في مسيرة حياته على أساس عبوديته لله "سبحانه وتعالى"، فيتقبَّل هدي الله، ويتحرك على أساس ذلك في أعماله، في مواقفه، في مسيرة حياته، أنها نعمةٌ عظيمة، نعمةٌ عظيمةٌ، عليه أن يشكر الله عليها، وأن ينظر إليها على الدوام على أنها نعمة، أن يستشعر هذا على طول الطريق، فلا ينظر إليها وكأنها حملٌ ينوء به، يثقله، يحاول التخلص منه، فينحرف عنها بكل بساطة، وبكل سهولة.

الاستقامة ومكاسبها المهمة

ثمرات هذا الطريق فيما وعد الله به "سبحانه وتعالى" عباده المؤمنين، المتقين، الذين استقاموا، ما وعدهم الله به من النصر، ما وعدهم الله به من العزة، ما وعدهم الله به من التمكين، ما وعدهم الله به من الخير الواسع في الدنيا وفي الآخرة، {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا} [الجن: الآية ١٦]، حتى في هذا الجانب: في جانب السعة في الرزق، في الفرج، فيما يعانيه الناس من الجدب، {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا}.

الاستقامة التي هي متكاملة، في أعمال الإنسان، في تصرفاته، في مواقفه، هي الاستقامة المطلوبة، التي لها هذه الثمرة العظيمة، يصل الإنسان من خلالها إلى ما وعد الله به، {تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا}، تتنزل عليهم الملائكة في أهم موقف، في أهم موطن يحتاج الإنسان فيه إلى من يطمئنه، إلى ما يُبَشِّره في مقام يوم القيامة، الذي هو من أهم المواطن، من أهم المواقف، من أهم المواقف، فتأتيه الملائكة في ذلك المقام، الذي تبلغ الحالة بالنسبة لبعض البشر من الفزع، والهلع، والخوف، إلى مستوى رهيب جدًّا، {إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ} [غافر: من الآية ١٨]، تطلع قلوبهم تصل إلى حناجرهم من شدة الفزع والخوف.

أمَّا الذين استقاموا، ففي تلك الحالة تتنزل عليهم الملائكة وتطمئنهم وتُبَشِّرهم، وتكون إلى جانبهم، وتتحدث إليهم بما يطمئنهم، وما فيه البشارة لهم، {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا}، لا تخافوا من أهوال هذا اليوم، اطمئنوا، فأنتم سينجيكم الله "سبحانه وتعالى" من أهوال هذا اليوم.

{أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: الآية ٣٠]، البشارة العظيمة، يقولون: أنتم الآن على مقربةٍ من تحقق هذا الوعد الإلهي، الجنة التي وعدكم الله بها في الدنيا، الآن ستصلون إليها، ها هو يوم القيامة، والذي ستنتقلون فيه إليها.

{وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [فصلت: ٣٠ - ٣١]، في الحياة الدنيا كنا إلى جانبكم، كنا نعينكم بمقدار ما يأمر الله به، بمقدار ما يُوَجِّه الله به، كنا إلى جانبكم في المواقف الصعبة، في التحديات الكبيرة، نثبتكم عند أمر الله "سبحانه وتعالى" حينما يأمرنا بأن نثبتكم، بما نستطيع أن

نمنحكم إياه من الشعور المعنوي، والطمأنينة ... وغير ذلك، غير ذلك ضمن المساحة التي يهيئ الله فيها من جانبهم ما يعين به الإنسان، ما يسدد به الإنسان، ما يلهم به الإنسان، ما يوفِّق به الإنسان، وهي دائرة واسعة قد نجهل الكثير منها.

{نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}، وفي الآخرة هم يتواجدون إلى جانبهم، من ضمن ذلك هذه البشارة، هذه الطمأنة، هذا الحضور، هذه المرافقة لهم في مواطن يوم القيامة، والطمأنة المستمرة لهم، حتى يصلون إلى جنة الله "سبحانه وتعالى".

{نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت: ٣١ - ٣٢]، فيقدمون لهم هذه العناوين التي فيها البشارة الكبيرة لهم، أنهم سيصلون إلى الجنة، الجنة بنعيمها العظيم، بنعيمها الواسع جدًّا، {مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ}، كل ما يشتهيه الإنسان، ويرغب به مما يمثل حاجةً له ورغبةً له، {وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ}، ما تريدونه يأتيكم، ما تطلبونه يوفَّر لكم، كل شيء، أرقى نعيم، أرقى نعيم، وأرقى حياة، وأطيب حياة، فلا ينقص عليكم شيءٌ مما ترغبون به.

تأتي البشارات أيضاً في وعد الله الحق، عندما قال "سبحانه وتعالى" أيضاً: {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأحقاف: ١٣ - ١٤]، فالله "سبحانه وتعالى" يقدِّم ما يطمئنهم، ما يطمئنهم، ما يبشِّرهم بالفوز العظيم، فلا خوفٌ عليهم، ليس هناك ما تخافه عليهم من أهوال يوم القيامة، ولا من أخطارها، وحتى في الدنيا هم في مواقف الفوز، في المواقف التي هي لمصلحتهم دائماً، لخيرهم في الدنيا، ولعواقبهم العظيمة، عواقبهم الطيبة في الآخرة، عاقبتهم الحسنة في الآخرة، فهم الفائزون في كل الأحوال.[المحاضرات الرمضانية ١٤٤١]

عوامل وأسباب تؤدي إلى الفرقة

هناك عوامل وأسباب تؤدي إلى الفرقة، ويجب الحذر منها، وسنتحدث عن البعض منها باختصارٍ إن شاء الله:

الكبر

...في مقدِّمة العوائق التي تؤثِّر سلباً على الأخوّة الإيمانية، وعلى الاعتصام بحبل الله جميعاً، وتسبب للفرقة، والاختلاف، والتباين، وتؤثِّر على مستوى الانسجام والتفاهم: العوامل النفسية:

في مقدِّمتها: الكبر:

الكبر هو من أسوأ الصفات، ومن أكبر الذنوب والمعاصي، وخطورته على الإنسان في كل دينه، وفي كل واقعه، خطورته كبيرةٌ على الإنسان، يستحيل معه الاستقامة على أساس هدى الله، ويبعد الإنسان عن القابلية لهدى الله "سبحانه وتعالى" في كثيرٍ من الأمور المهمة، وله تأثيره الخطير في مسألة الأخوّة الإيمانية، والاعتصام بحبل الله جميعاً؛ لأن الإنسان المتكبر، الذي يصبح متكبراً، يربط الأمور في الواقع العملي بهذا الجانب، هو يرى نفسه أكبر من الحق، وترتبط الأمور في جوانبها الثلاثة:

أولها الموقع:

ترتبط الأمور العملية بالموقع، وأكثر الناس عرضةً لهذا الجانب هم أصحاب المواقع الاعتبارية على المستوى الاجتماعي، أو على المستوى العلمي، أو على المستوى الثقافي، أو على مستوى السلطة، من لهم مناصب، أو وجاهة، أو يرون أنفسهم أصحاب كفاءة معينة، أو مهارة معينة، أو مقام معين، أو ألقاب معينة، هم من أكثر الناس عرضةً لخطورة الكبر، ومشكلة الكبر.

فتجاه أي عمل من الأعمال، أو تحرك في أي مهمةٍ من المهام، أو مسؤوليةٍ من المسؤوليات، المعيار عند الإنسان المتكبر، هو: كبره، هل هذا العمل، هل هذه المسؤولية، هل هذا الدور، هو بمستوى الموقع الذي أفترضه لنفسي، هو يلبِّي

الطموح الشخصي؟ ويرى نفسه مثلاً متطابقاً مع مستواه، مع موقعه، مع أهميته، مع شخصيته، وإلَّا فقد لا يقبل به أصلاً، مهما كان عظيماً، مهما كان مهماً، مهما كانت فيه مرضاة الله "سبحانه وتعالى"، مهما كان له من أثرٍ في الواقع، فهنا تكون استجابته ليست مرتبطةً بالغاية الإيمانية العظيمة، التي هي رضوان الله، والقيمة العملية الفعلية بهذا المعيار: معيار مرضاة الله "سبحانه وتعالى".

المعيار عنده معيارٌ آخر، المعيار هو: كبره، هل هذا العمل يتوافق مع كبره، مع الموقع الذي له في نفسه، وإلَّا فلن يلتفت إليه مهما كان عظيماً، ومهما كان مهماً.

"...على مستوى التقبل:

سواءً في ميدان التوجيهات العملية، أو في مقام النصح والتذكير، أو في مقام الأخذ والرد والنقاش للمواضيع العملية، المتكبر من أكثر الناس أنفةً، وأبعدهم عن التقبل، يصر ويعاند على رأيه، حتى لو كان خاطئاً، حتى لو لم يكن سليماً ولا صائباً، لكن ارتبطت المسألة عنده بالاعتبار الشخصي، فتصبح المسألة فوراً مسألة شخصية، يتشبث بوجهة نظره الخاطئة، أو بتوجهه الخاطئ، أو بموقفه الخاطئ، لا يريد أن يتراجع عنه أبداً، ولا يقبل نصحاً، ولا يقبل نقاشاً، ولا يقبل أن يُذَكَّر أبداً، وبالذات إذا كان التذكير يأتي له ممن يراه أدنى مرتبةً منه، أو أقل شأناً في نفسه منه، فيصبح الكبر أيضاً عائقاً كبيراً أمام تقبل التوجيهات، التي يصبح المعيار عند الإنسان تجاهها هي كبره، هل هي تتناسب، أم لا تتناسب، من معيار الكبر فقط،

على مستوى النصح، على مستوى التذكير...وهكذا، وهذه جوانب خطيرة جداً، ومؤثرة إلى حدٍ كبير.

"...ثم مما يؤثِّر في مسألة الكبر، هو: سلبية الإنسان في تعامله:

المتكبر عادةً ما يكون سلوكه وأسلوبه في التعامل أسلوباً مطبوعاً بالتكبر، لا يتواضع في تعامله، يبرز كبره وتعاليه وغطرسته في أسلوبه في التعامل مع الآخرين:

"...سواءً وهو في موقع مسؤولية، فهذا أكثر، سيجعله أكثر سلبيةً في طريقته في التعامل مع الآخرين من موقع مسؤوليته المعينة.

"...أو حتى باعتداده بنفسه، ومقامه، واعتباره الشخصي، فهو يتعامل مع الآخرين بتكبر، بتعالٍ، بغطرسة، يبرز في أسلوبه حالة التكبر والتعالي.

وهذا منفرٌ جداً في واقع الأمة، يستحيل مع هذه الحالة أن يكون هناك انسجام تام، تعاون، وقرب، قرب في المشاعر، وقرب أخوي، وتحقيق لحالة الأخوّة الإيمانية كما ينبغي.

فالكبر في هذه الاتجاهات الثلاثة، والإنسان يربط الأمور بموقع معين، لا يتحرك إلَّا إذا كان سيحصل على ذلك الموقع، ومن ذلك الموقع موقفه مما يأتي من الآخرين، سواءً على مستوى توجيهات عملية، أو نصح، أو مناقشة للأمور بشكلٍ عملي، حتى لو كان بطريقة أخوية، لا يتقبل أصلاً، وفيما يتعلق بالتعامل، فالكبر خطيرٌ من كل هذه الجوانب، وكلها تؤثر سلباً على الأخوّة الإيمانية، تأثيرها سيءٌ جداً، وكلها تؤدي إلى الفرقة، فهو يؤدي إلى الفرقة من كل جوانبه الثلاثة.

ولذلك أتى في القرآن الكريم قوله "سبحانه وتعالى": {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [السجدة: الآية ١٥]، {وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}، هم خاضعون لله، همهم ما يرضي الله "سبحانه وتعالى".

والإنسان المؤمن هو يعي جيداً أنَّ قيمته ليست بالتكبر، وأنَّ منزلته المهمة التي يسعى للحصول عليها هي عند الله "سبحانه وتعالى"، ويسعى لمرضاة الله، لأن يرضى الله عنه، وهو يعلم أنَّ العزة لله جميعاً، وأنَّ الله يعز عباده المؤمنين، لا يحتاج لكي يكون عزيزاً، ولكي يحظى بالعزة من الله "سبحانه وتعالى" إلى التكبر.

بل في الواقع، واقع الناس، المتكبر مذموم، وغير محترم، لا يحظى بالاحترام، حتى لو داراه الناس، ليس على أساس احترام وتقدير من أعماق قلوبهم، بل إنَّ الإنسان الذي له دوره، أو له مقامه، أو له شيءٌ معين، كفاءة معينة علمية، أو ثقافية...أو أي اعتبار، إذا كان متواضعاً، مع ما منحه الله ووهبه الله إياه، من دورٍ معين، أو جاهٍ معين، أو جهدٍ معين، أو إسهامٍ معين بارز، فالله أولاً: سيمنحه العزة، ثانياً: الناس يحترمونه، يقدِّرونه، عندما يلمسون تواضعه وقربه، يحترمونه أكثر.

النظرة الشخصية، والمقاصد الشخصية، والتمحور حول الذات

"...من أهم العوامل المؤثرة سلباً، والمؤدية إلى التفرق حتماً، هي: النظرة الشخصية، والمقاصد الشخصية، والتمحور حول الذات:

إذا فقد الإنسان إخلاصه لله تعالى، لم يعد يعمل من أجل الله، من أجل مرضاة الله، وهذا كل همه، هذا الأساس في انطلاقته، وهذا هو الدافع الرئيسي له ليعمل، بل أصبح يريد من وراء ما يعمل، حتى لو كان جهاداً في سبيل الله، حتى لو كان أداءً لمسؤوليةٍ معينة، حتى لو كان عملاً خيرياً وعملاً اجتماعياً لمصلحة الناس، فيه الخير للناس، أصبح ينطلق من منطلق شخصي، يريد الاعتبار الشخصي:

"...إمَّا يريد لنفسه الموقع المعنوي، يريد منصباً معيناً، مقاماً معيناً، ويسعى للسمعة الكبيرة بين أوساط المجتمع.

"...ويسعى أيضاً مع ذلك، أو بدونه، إلى مكاسب مادية.

إذا أصبحت المكاسب الشخصية على المستوى المعنوي، أو على المستوى المادي، أو على المستوى المعنوي والمادي، هي الدافع الرئيسي للعمل، هي المؤثر الكبير في انطلاقة الإنسان، فالإنسان هنا يتغير، وهذا يؤثر على سلوكه، على تعامله، على تفاعله، على مدى استجابته، على مدى إنجازه؛ لأنه يربط الأمور العملية بهذا الجانب، [هل وراء هذا العمل سمعة شخصية، مكسب شخصي، وإلا فليس عملاً مهماً، أنا لا أريده، لا أريد الاستمرار فيه]، عندما ينطلق في عملٍ معين، هل تحققت هذه المكاسب الشخصية، وإلا تثور ثائرته، يشاقق، يعاند، يعارض، يحتج، يثير الضجة، يؤثر سلباً على الواقع العملي؛ لأن هذا هو الأساس الذي يؤثر فيه، وفي أدائه، وفي مستوى تفاعله، وحتى في مستوى التزامه.

وبالتالي تتكون عنده في نفسه هذه الحالة السلبية، التي ينظر من خلالها حتى إلى الآخرين، هل هم يقدِّرون جهده؟ هل هم يعتبرون له دوره، مقامه الشخصي، اعتباره الشخصي؟ هل يهتمون بذلك إلى حدٍ كبير؟ وإلا فقد أحياناً يتهمهم أنهم لا يقدِّرون له ذلك كما ينبغي؛ وبالتالي يمقتهم، يكرههم، يؤثر هذا على علاقته بهم، لم يعد ما يجمعه بهم هو ذلك العمل الصالح، العمل العظيم، أصبحت المقاصد الشخصية، وإذا تصور أنهم لا يعطونه في ذلك ما ينبغي، فلديه موقف منهم، ويستاء منهم كثيراً، وهذه من الحالة الخطيرة جداً، الإخلاص عاملٌ مهم في الحفاظ على الوحدة والأخوّة الإيمانية.

حالة العجب والغرور

"...من أهم ما يؤثِّر سلباً على الأخوة الإيمانية، ويؤدِّي إلى التفرق، هو: حالة العجب والغرور لدى الإنسان:

وهي حالةٌ خطيرةٌ جداً، وقد تعرض للإنسان في مرحلة من مراحل العمل في سبيل الله، والعمل الصالح، قد ينطلق الإنسان في بداية الأمر بإخلاصٍ لله "سبحانه وتعالى"، وتوجهٌ نحو الله "سبحانه وتعالى"، وفيما بعد نتيجةً لإنجازات عملية معينة وفَّقه الله لها، أو نتيجةً لأنه وصل إلى موقع عملي معين، أو منصب معين، أو مسؤولية معينة؛ أصبح معجباً بنفسه، ومغروراً بنفسه، وبالذات عندما يترافق

مع ذلك أن يحظى بالمديح والثناء من الآخرين كثيراً، فإذا أحيط أيضاً بالبعض من الأصدقاء والأصحاب المتملِّقين، أو استخدم كأسلوبٍ معه لتوطيد العلاقة معه، وللوصول إلى مكاسب من جانبه، كما هو الأسلوب الحاصل بالذات عندما يكون الناس في مواقع مسؤولية، يتقرب البعض إليهم بأسلوب التملق، والإكثار من المديح، والثناء الكثير، والإشادة المتكررة...وهكذا، على نحوٍ يصنع لدى البعض عجباً بنفسه، وغروراً تجاه نفسه، فينظر إلى نفسه أنه أصبح إنساناً عظيماً ومهماً، وأنَّ منزلته عالية، ثم يتهم الآخرين بأنهم لا يقدِّرونه كما ينبغي، لا يهتمون به كما ينبغي، لا يحترمونه كما ينبغي، لا يعطونه ما يستحق بحسب مقامه، ودوره، وأهميته...وما إلى ذلك، ويغرق في هذا التفكير، وهذا التوجه؛ حتى ينسى الله، ينسى العمل الصالح، ينسى كل شيء، ينسى أن يكون مبتغاه من الله، وأن تكون وجهته إلى الله.

ثم مهما عمل، مهما قدَّم، يعظم هو عند نفسه، لا يشعر بتوفيق الله "سبحانه وتعالى"، ولا يتجه إلى الله "سبحانه وتعالى"؛ وبالتالي تكثر نقمته، يصبح ناقماً، ناقماً على الناس، ناقماً على الواقع من حوله، من هذا الاعتبار: [أنه إنسانٌ عظيمٌ مهمٌ جداً، وأنه إنسانٌ خارقٌ للغاية، وأنه وأنه وأنه...]، فهو دائم التسبيح بحمد نفسه، يفكِّر في نفسه، يسبِّح بحمد نفسه، وهو يتذكر أنه عظيم، وأنه مهم، وأنه الذي يفعل، وأنه الذي يعمل، وأنه المهم جداً، وأنه العبقري، وأنه لو الذي حصل على ما يستحق من الاهتمام والعناية به، لفعل، ولكان، ولو...ثم يبدأ في حالة التذمر من الآخرين، والاستياء من الآخرين، والتعقد على الآخرين.

حالة العجب والغرور بالنفس هي حالةٌ خطيرةٌ على الإنسان، وهي تتنافى مع الإيمان، الله "سبحانه وتعالى" قال في القرآن الكريم: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: من الآية ٣٦]، المغرور بنفسه، المعجب بنفسه هو المختال، الفخور، كثير الافتخار، فهو يتحدث عن نفسه أنه وأنه وأنه وأنه...كثيراً كثيراً، ينسى الله، بل قد لا ينظر حتى إلى جهود الآخرين، ولا يعتبرها ذات قيمة ولا أهمية، لا يرى إلَّا نفسه، ولا يرى إلَّا جهده، ولا يرى إلَّا إنجازه، ولا يرى إلَّا عمله، ويعظم عنده ما يفعله كثيراً، حتى الشيء البسيط الذي قد يعمله، أو الإنجاز البسيط الذي قد يحققه؛ لأنه منه، يراه شيئاً عظيماً، شيئاً مهماً، وينتظر دائماً في مقابل ذلك من الآخرين أن يثنوا عليه، أن يسبحوا بحمده، أن يعظِّموه، وينتظر في مقابل ذلك المزيد من الألقاب، والاستحقاقات، والمقاصد الشخصية، والحسابات الشخصية، والمكاسب الشخصية، وهذه حالةٌ خطيرةٌ جداً على الإنسان.

وأيضاً هذه من الحالات التي تصنع فجوةً ما بين الإنسان وبين الآخرين، يصعب مع الإنسان إذا أصبح على هذا النحو التفاهم معه، التعاون معه، العمل سوياً معه، المناقشة للأمور العملية معه، يتعقَّد جداً من النصح له، يستاء جداً من التذكير له، يصبح في الواقع العملي من الصعب التنسيق في عملٍ معه، يكاد يكون مستحيلاً؛ لأنه دائماً غارقٌ في هذه العقد الشخصية، والحالات الشخصية، فهي من الحالات الخطيرة جداً جداً، وتعرض للبعض من الناس بعد مرحلة عملية معينة، يتغير تماماً، يتغير تماماً، ثم يتلو بعد ذلك التعقد الشديد، والكره الشديد، وحتى الوحشة، ((**العجب وحشة**)) كما روي عن الإمام عليٍّ "عليه السلام"، المغرور بنفسه، المعجب بنفسه يشعر- في نهاية المطاف- بالوحشة، ولا يشعر بالانسجام مع الآخرين، وينفر من الآخرين، ينفر منهم إلى حدٍ كبير.

الطمع والأنانية

"...من أهم عوامل الفرقة: الطمع والأنانية، الطمع المادي:

عندما تصبح أطماع الإنسان هائجةً، تحكم توجهاته، وتؤثِّر عليه في أعماله، وتمثل هي الدوافع لتحركه؛ فهو بالتالي يتجه على حساب الأعمال الأساسية والمسؤوليات المهمة، يصبح المهم عنده أن يجمع، إذا لم يحصل على ما يبتغيه من الأطماع المادية، تقوم القيامة، يكره الآخرين، يسخط عليهم، يمقتهم، ولا ينسجم معهم، ولا يتفاهم معهم، رضاه عنهم مرتبطٌ بمقدار ما يتحقق له معهم من المكاسب المادية، {فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} [التوبة: من الآية ٥٨]، فرضاه وسخطه يرتبط بالجانب المادي، هذه حالة خطيرة جداً.

الغضب والانفعال

"...من الأسباب المؤدِّية للفرقة، والعوامل الخطيرة المؤدِّية إليها: الغضب والانفعال المنفلت:

كل إنسان يغضب، وكل إنسان ينفعل، لكن الله قال عن عباده المؤمنين: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ} [آل عمران: من الآية ١٣٤]، وقال عنهم: {وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} [الشورى: من الآية ٣٧]، وقال عنهم: {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} [آل عمران: من الآية ١٣٤]، من القيمة الإيمانية، ومن المميزات التي تعود إلى التقوى: أنَّ الإنسان في حالة

الغضب يضبط نفسه، يسعى- بالاستعانة بالله "سبحانه وتعالى"- إلى كظم غيظه؛ وبالتالي يسعى إلى السيطرة على ردة فعله، أن تكون ردة فعله متوازنة، وفق ما يرضي الله "سبحانه وتعالى"، ألَّا يتجاوز فيها الحق، بل أكثر من ذلك: أحياناً إلى أن يكظم غيظه بالكامل، وألَّا يظهر غضبه أصلاً، ألَّا يترجم حالة الغضب في ردة فعلٍ سلبية، بل يصبر، ويكظم غيظه، ويصرف ذهنيته، وهذه مسألة مهمة جداً، وتحتاج إلى تقوى، إلى إيمان.

الله قال عن هذه الحالة، التي وصف البعض من خيار عباده بها، الذين يدرؤون السيئة بالحسنة: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: الآية ٣٥]، يعني: مرتبة إيمانية عالية جداً، من يصل ليس فقط إلى أن يكظم غيظه، بل أن يدرأ السيئة بالحسنة، مقامه عظيمٌ عند الله، وشأنه كبيرٌ عند الله "سبحانه وتعالى"، ومرتبته عالية، {ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}، وأجره كبيرٌ جداً، وهي تعبِّر عن زكاء نفسٍ إلى حدٍ كبير، وعن توجهٍ عظيمٍ إلى الله "سبحانه وتعالى"، وعن اهتمام عظيم بأمر الدين، وأمر الأمة، يجعل الإنسان يصبر من أجل ذلك على كل شيء، مهما كان صعباً على نفسه، مهما كان شاقاً على نفسه.

الحساسية المفرطة لدى الإنسان التي تجعله غير متوازن في انفعالاته، قد يكون أحياناً وراءها العجب، ووراءها الغرور، أو الكبر...أو نحو ذلك، عندما يكون الإنسان حسَّاساً جداً، بمجرد كلمة بسيطة، وقد تكون غير حسَّاسة جداً الكلمة في أصلها، مستفزة بعض الشيء، وجِّهت إليه؛ فيغضب أشد الغضب، يعني: لو هدمت الكعبة، لَمَا غضب كذلك، لو دُمِّر الأقصى، لَمَا انفعل كذلك، لو سُحِقَت الأمة الإسلامية، لَمَا انفعل بذلك المقدار، لو حصل ما حصل في الشأن العام، لَمَا انفعل بذلك المقدار.

الحساسية المفرطة جداً لدى الإنسان إلى درجة أن ينفعل تجاه أبسط موضوع، أو قضية، أو استفزاز، إلى أنهى حد، إلى حالة رهيبة جداً، والبعض يتورَّط: إمَّا بالقتل، أو يتورَّط في الجرح، أو يتورَّط في أن يتكلم بكلام سيئ جداً، فيه السب، فيه الإساءات، فيه الافتراءات، فيه الاتهامات الباطلة، فيه التجريح المبالغ فيه، فيحمِّل نفسه الوزر والآثام، وهذا يؤدِّي إلى الفرقة، يؤدِّي إلى الفرقة.

حالة الغضب أحياناً تجعل البعض من الناس إما يسيء إساءات بالغة، أو يحصل من جانبه ردود أفعال ظالمة، مدمِّرة، تخرِّب تخريباً كبيراً، تمزِّق الصف، والوحدة،

والأخوة، والتفاهم، ولها آثار سيئة جداً، حالة خطيرة جداً، أو يتخذ قراراً سلبياً في ردة فعله، بأن يترك طريق الحق أصلاً، أن يتنصَّل عن العمل العظيم، عن العمل الذي فيه رضا لله "سبحانه وتعالى"؛ لأنه غضب وانفعل.

فحالة الغضب والانفعال حالة خطيرة جداً، والإنسان عليه أن يعوِّد نفسه على أن يتوازن في ردود أفعاله، أن يضبط نفسه، وأن يستعين بالله في ذلك، وإذا كان بطبعه إنساناً انفعالياً، فليطلب من الله أن يشرح صدره، وليسعَ أن يرسِّخ أهمية هذه المسألة في نفسه، وأن يستعين بالله في ذلك؛ حتى يضبط ردة فعله.

سوء الظن

"...من العوامل السلبية المؤدِّية إلى التفرق: سوء الظن:

والله نهى عن ذلك، الله "جلَّ شأنه" قال في القرآن الكريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات: من الآية ١٢]، والعجيب أنَّ البعض يكون سريعاً إلى سوء الظن، يعني: أول ما يحمل أي موضوع، أو أي قضية تلتبس عليه، أو أي شيء يسمعه فلا يعجبه، يبنيه على أساسٍ من سوء الظن، من أول لحظة، يسيء ظنه سريعاً، جاهز لأبسط موضوع ليفسِّره بأسوأ تفسير، وليحمله على أسوأ الاحتمالات، وهذه حالة سلبية لدى الإنسان.

سوء الظن يمثل خطورة كبيرة على الإنسان، في تعامله مع الآخرين، في علاقاته بالآخرين، لا تستقيم مسألة العلاقات الأخوية الإيمانية مع وجود سوء الظن، يفكك العلاقات، ويؤثِّر عليها سلباً.

أضف إلى ذلك، إذا كان الإنسان في موقع مسؤولية، وهذه المسألة خطيرة جداً؛ لأن البعض من الناس يبني على سوء ظنه تصرفاته، مواقفه، يبني عليها مواقف، فيتخذ موقفاً سلبياً من الآخرين، بناءً على سوء ظنه، بل البعض يجعل من مجرد هواجسه دليلاً قاطعاً، يعني: كما لو كان شيئاً رآه، وتحقق منه، كما لو كان شيئاً يقينياً، يكفي أن يحصل لديه هواجس، فيبني عليها تصرفات، يبني عليها ردود أفعال، يبني عليها مواقف، وهذه حالة خطيرة، إذا كان الإنسان في موقع مسؤولية يظلم، يظلم، يبني على سوء ظنه موقفاً معيناً، أو قراراً معيناً، فيظلم، يظلم الآخرين، أو يُصدِر أحكاماً عليهم، ويطلق عليهم التوصيفات التي يرغب بها، فيظلم.

سوء الظن حالة خطيرة جداً، يجب التخلص منه، يجب الحذر منه، يجب الانتباه منه، في تأثيره السلبي على مستوى العلاقة والأخوة، وفي تأثيره السلبي في موقع المسؤولية والأداء العملي، {اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}.

الحسد

"...مما يؤدِّي إلى الفرقة وهو من عوامل الفرقة: الحسد:

والحسد من أسوأ الصفات، ومن أذمها، الحسد: عندما تغتاظ من شخصٍ آخر؛ لأن الله أنعم عليه بنعمةٍ معينة، تراه مثلاً: له مكانة معينة، أو له مقام معين، أو يحظى باحترام، أو...تكرهه؛ من أجل أنَّ الله منحه شيئاً معنوياً، أو مادياً، فتغتاظ منه على ذلك، وتكرهه لذلك، لِمَا منَّ الله به عليه، تغتاظ أشد الغيظ عندما تسمع الآخرين يشيدون به، أو يثنون عليه، أو يعجبون به، فتتجه إلى ذمه، إلى الانتقاص منه، أو يكون لك ردة فعلٍ تجاهه.

الحسد لا ينسجم مع الإيمان أبداً، الحسد هو ردة فعلٍ، هي في عمقها ردة فعلٍ نحو الله، قبل أن تكون نحو عبده، وهي حالةٌ خطيرةٌ جداً على الإنسان، ولهذا يقول الله: {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق: الآية ٥].

الهمز، واللمز، والسخرية، والاغتياب

"...مما يؤثِّر على مستوى التصرفات والسلوكيات على الأخوّة الإيمانية، ومما يؤدِّي إلى الفرقة: الهمز، واللمز، والسخرية، والاغتياب:

هذه تعود إلى اللسان، إلى اللسان، إذا كان الإنسان هَمَّازاً لَمَّازاً، {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} [الهمزة: الآية ١]، البعض يصبح من عاداته من سلوكياته أن يطلق لسانه، أو قلمه وكتاباته، في هذا الزمن أصبحت الكتابة أحد اللسانين، ذات حضور بارز، أن يطلقه في الطعن في أعراض الناس، في تناول هذا، وتناول ذاك، والكلام على فلان، والكلام على فلان الآخر، ينتقص منه، يطعن في عرضه، يسيء إليه، يتكلم عليه بالكلمات الجارحة، ما كان منها في وجهه ومحضره، وهو أذيةٌ له، وظلمٌ له، وما كان منها في غيابه، كل هذا محرَّم، الإنسان عندما يكون على هذا النحو، هو ليس بمؤمن، ليس بمؤمن، من يصبح هذا جزءاً من سلوكه، جزءاً من سلوكه الذي يعتاده، {هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ} [القلم: الآية ١١].

هـمَّاز: {وَيْـلٌ لِـكُلِّ هُمَـزَةٍ لُمَـزَةٍ}، يتكلـم عـلى النـاس، يجـرح مشـاعرهم، يتناولهـم، وقـد يكـون كل يـوم ولديـه ضحيـة، يتكلـم عـلى فـلان وعـلى عـلان بـكل جـرأة ووقاحـة، وإسـاءة بالغـة، البعـض قـد يتخـير وينتخـب الكلـمات الأكـثر إسـاءة، والجارحـة أكـثر، فـإذا كان لديـه مَلَكَـة، وقـدرة تعبيريـة وبيانيـة، أو بلاغـة، قـد يُسَـخِّرها عـلى نحـوٍ أسـوأ، ليجلب المزيد من الأوصاف السيئة، والكلمات الجارحة.

وفي هـذا الزمـن عَظُـمَ هـذا الـوزر في مواقـع التواصـل الاجتماعـي، ومـع وجـود هـذه الإمكانيـات، يـأتي البعـض ليشـنِّع، وليجـرح، ولـسيء، وليطعـن في عـرض إنسـان في بيئـةٍ مفتوحـة، في نـادي إعلامـي، مواقـع للتواصـل الاجتماعـي، أو غيرهـا، عـلى مـرأى ومسـمع الكثير من الناس، يحاول أن يعمم إساءته إلى أوسع نطاقٍ ممكن.

اللـه يقـول: {وَلَا تَلْمِـزُوا أَنْفُسَـكُمْ} [الحجرات: من الآيـة ١١]، أنتـم كمجتمـعٍ مؤمـنٍ واحـد، عندمـا تلمـز الآخريـن، أنـت تلمـز نفسـك، أنـت تـسيء إلى نفسـك، أنتـم كالجسـد الواحد، أنتم أمةٌ واحدة، حافظوا على أخوتكم، {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ}.

الغيبـة كذلـك: {وَلَا يَغْتَـبْ بَعْضُكُـمْ بَعْضًـا أَيُحِـبُّ أَحَدُكُـمْ أَنْ يَـأْكُلَ لَحْـمَ أَخِيـهِ مَيْتًـا فَكَرِهْتُمُـوهُ} [الحجرات: من الآيـة ١٢]، حالـة خطـيرة جـداً، ينـزِّه الإنسـان لسـانه، حتـى يكون في تعبيره نظيفاً سليماً من الوزر والإثم، عن الاعتياد لهذا الأسلوب.

السـخرية: اللـه قـال: {لَا يَسْـخَرْ قَـوْمٌ مِـنْ قَـوْمٍ عَـسَى أَنْ يَكُونُـوا خَـيْرًا مِنْهُـمْ وَلَا نِسَـاءٌ مِـنْ نِسَـاءٍ عَـسَى أَنْ يَكُـنَّ خَـيْرًا مِنْهُـنَّ} [الحجـرات: مـن الآيـة ١١]، السـخرية التـي فيهـا اسـتهزاء، واحتقـار، وإسـاءة بـأي اعتبـار: باعتبـار اجتماعـي...أو بـأي اعتبـار مـن الاعتبـارات التـي هـي باطلـة، لا يبنـى ولا يجـوز أن يبنـى عليهـا سـخرية مـن أحـد، لا عـلى المسـتوى الشـخصي، ولا عـلى المسـتوى الجماعـي، فـأن تصبـح المسـألة إلى هـذا المسـتوى: {قَـوْمٌ مِـنْ قَـوْمٍ}، يـأتي البعـض ليسـخر مـن أهـل بلـد بأكملهـم، أو منطقـة معينـة بأكملهـم، أو قبيلـة معينـة، أو عـرق معـين، لا يجـوز أبـداً السـخرية والاسـتهزاء بأي تصنيف وبأي مستوى أبداً، لها آثارها السيئة في التفكيك بين المجتمع.

اللـه جعـل العلاقـة والأخـوّة الإيمانيـة قائمـة عـلى أسـاس: أن يرعـى الإنسـان الكرامـة الإنسـانية للآخريـن، وأن يرعـى الاحـترام المتبـادل مـع الآخريـن، قائمـة عـلى قاعـدة الاحترام المتبادل، الصدق، الوفاء، العطف، الإحسان، إرادة الخير للآخرين.

سوء الخلق، والفظاظة والغلظة

"...من العوامل المؤدية إلى الفرقة: سوء الخلق، والفظاظة والغلظة:

البعض من الناس لا يجسِّد الذلة على المؤمنين، والرحمة بين المؤمنين، في أسلوبه في التعامل، في طريقته في التخاطب مع الآخرين، فهو سيء الخلق، فظ، غليظ، عُتُل، جافي، يطبع أسلوبه في التخاطب مع الآخرين، والكلام مع الآخرين، والتعامل مع الآخرين، الجلافة، الفظاظة، الغلظة، الكلمات الجارحة، الجرأة، الوقاحة، قلة الأدب، عدم الاحترام، وهذا يؤدي إلى التفرق، هذا يؤدي إلى التفرق، ويصبح عائقاً حقيقياً عن التعاون، الانسجام، المحبة، الأخوّة في معناها الحقيقي.

وهذه حالة مذمومة، سواءً على مستوى العلاقة، تأثيرها السلبي على العلاقة حتى فيما بين الأفراد، أحياناً تؤدي إلى مشاكل كثيرة، ومشاكل خطيرة، أو في موقع المسؤولية، إذا كان الإنسان في موقع مسؤولية، أو في منصبٍ معين، وهو سيء الخلق، وهو فظٌ غليظ، وللأسف الشديد انتشرت هذه الظاهرة السلبية في أوساط المجتمع المسلم، من أصبح-خاصةً المقامات والأعمال والمسؤوليات- من أصبح لديه عمل مهم، الكثير منهم يصبح فظاً، غليظاً، سيء الخلق، تعبيراته، أسلوبه في التعامل، مستفز، وسيء، وجارح.

انتشرت حتى في المستشفيات، حتى لدى الممرضات، حتى لدى الأطباء، الكثير منهم- من الأطباء- تراه سيء الخلق، هناك منهم نماذج راقية جداً، تجسِّد الرحمة، والإحسان، والعطف، وأسلوبها جزءٌ من المعالجة للمريض، البعض منهم سيء الخلق.

في المناصب والمسؤوليات، وبالذات الحكومية، والمواقع الرسمية، والمقامات الشخصية، وكما سبق عن المتكبرين، والمعجبين بأنفسهم، والمغرورين بأنفسهم، هم أيضاً من أكثر الناس المتصفين بهذه الطريقة في التعامل، في سوء خلقهم، في فظاظتهم، في غلظتهم، وهي ظاهرة سيئة جداً، يجب التخلص منها.

مهما كان منصب الإنسان، أو موقعه، أو مسؤوليته، أو مهارته، أو كفاءته، مهما كان اعتداده بنفسه، فينبغي له أن يتخلق بالخلق العظيم، وأن يكون حسن الخلق، حسن التعامل، وأن يتعامل مع الناس باحترام، كبيرهم وصغيرهم، يتعامل باحترام مع الجميع، مع الجميع، يكون الاحترام هو الأساس الذي يبني عليه أسلوبه في التعامل، في التخاطب مع الآخرين.

في مواقع المسؤولية بكلها، مهما كان موقع المسؤولية، يجب على الإنسان أن يتعامل باحترام، أن يكون متواضعاً، أن يكون مؤدباً في عباراته، في أسلوبه في التخاطب،

حتى لو غضب، البعض قد يكون مؤدباً محترماً إذا كان راضياً؛ أما إذا سخط، أو غضب، أو انفعل، أو استاء، ينقلب على موجة أخرى، بسرعة بسرعة، ولو كلمة بسيطة، موجة ثانية، فيظهر قليل الأدب، جريئاً في الإساءة والوقاحة، لا يتحرج من إطلاق أي كلمة، أو أي تعبير مهما كان سيئاً، يسيء تعامله جداً، وهذا ما لا ينبغي.

الله قال لنبيه، وهو خاتم النبيين، وسيد الرسل "صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله": {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: من الآية ١٥٩]، يعني: لَمَا صبروا عليه وهو رسول الله، لَمَا قدَّروا له أنه رسول الله "صلوات الله عليه وعلى آله"، لَمَا تحمَّلوه.

وفعلاً البعض في موقع مسؤولية معينة، قد يكون لديه مهارات في مجال العمل، وإنساناً ناجحاً من حيث خبرته العملية في عمل معين، لكن لا يطيقه الناس، ليتواجدوا معه، ليتكاتفوا معه، لينشطوا معه، ليكونوا ضمنه، ضمن عمله، لماذا؟ لأنه سيء الخلق، لأنه فظ، غليظ، في أسلوبه في التعامل، وإذا انفعل، لا يتحرج من أي إساءة، وسريع الغضب، وسريع الانفعال، وبطيء الرضا، وكثير الجفاء.

الإمام عليٌّ "عليه السلام" قال كلمة جميلة: ((مَنْ لَانَ عُودُه، كَثُفَت أَغصَانُه))، الإنسان المتواضع، المحترم للآخرين، الصبور، الحليم، يحبه الناس، يألفه الناس، يجتمع عليه الناس، حتى عندما يكون في إطار مسؤولية، يرتاح الناس للعمل معه، والبعض يكون حتى العمل معه متعباً.

إذا كان الحال أن الناس ما كانوا ليتحملوا حتى رسول الله لو كان فظاً غليظ القلب، لكن {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ} [آل عمران: من الآية ١٥٩]، فكيف بالإنسان في أي موقع من مواقع المسؤولية؟! فأمَّا البعض يلوم الآخرين، أو يتهمهم، هو منفِّر بطبيعته، منفِّر بأسلوبه، منفِّر بفظاظته، بغلظته، بسوء خلقه، ثم يشك في الآخرين أنهم السبب في ألَّا يرغب الناس في أن يبقوا حوله، في أن يكونوا معه، في أن يكونوا ضمن مهامه، أو عمله، في أن ينسجموا معه، مع أنَّ الحقيقة أن الناس ينسجمون تلقائياً أصلاً، إذا كان الإنسان وبالذات إذا جمع بين مهارة عملية في مجال عملٍ معين، وبين حسن خلقٍ، يرتاح الناس له كثيراً.

النميمة

"...من العوامل المؤدية إلى الفرقة، وهي ذات خطورة كبيرة جداً: النميمة:

النميمة ظاهرة سيئة جداً، وهي عندما يسمع الإنسان كلاماً جارحاً، أو كلاماً معيناً يسيء إلى شخص معين، فيذهب لينقله ويشيئ به، وكذلك إذا حاول الإنسان

كذلك أن يسعى للفرقة بين هذا وذاك، سواءً بما ينقله من الكلام الجارح، وقد يزيد عليه، وقد يختار أسلوب التقديم له بطريقة مستفزة جداً، وهذا الأسلوب من أخطر الأساليب، ومن أقذر الأساليب، ومن أكبر المعاصي، النميمة هي من الكبائر، ((**لا يدخل الجنة قتات**)) في الحديث النبوي الشريف، القتات: النمام.

البعض ماهرون في هذا الأسلوب: أسلوب الإثارة لهذا على ذاك، والتفرقة بين هذا وذاك، وكثيراً ما تحصل هذه الأمور في مقام المسؤوليات، ومن جانب المتملقين الانتفاعيين، الوصوليين، المستغلين، يتملقون إلى هذا، أو ذاك، بتحريضه ضد الآخرين، بتحسيسه منهم، بمحاولة أن يشعروا الشخص بأنه محسود من الكل، وأنه وأنه وأنه، يكون أسلوبهم في التملق أسلوباً يثير الفرقة، يسبب الشتات.

إضافةً إلى أن الأعداء يستغلون هذا الجانب؛ لأنهم يعملون دائماً، ومن أهم الأعمال الرئيسية لديهم هي إثارة الفرقة من الداخل، عمل رئيسي من الأعمال التي يسعى لها الأعداء دائماً، يسعى لها الشيطان، ويسعى لها أولياء الشيطان.

فالنميمة هي ظاهرة سيئة جداً، الإنسان إذا كان متعاطفاً مع شخص معين، وسمع شخصاً أساء إليه، بإمكانه أن يرد هو، أن يقول: [يا أخي احترم نفسك، هذا الكلام غيبة، هذا إساءة إلى فلان]، عندما يذهب بذلك الكلام، أو يقول له: [اتق الله، هذا وزر، هذا ذنب...]، لكن عندما يذهب لينقل ذلك الكلام الجارح إلى الشخص الآخر، وقد تكون أحياناً طريقة النقل مبالغاً فيها، أو يضاف إليها، أو نحواً من ذلك.

أو كذلك من أصبح هذا طبعه، يعجبه أن يثير الفرقة، أن يثير الحساسيات، أن يثير العقد، أن يعقد هذا على هذا، وهذا على ذاك، يرتاح للإنسان المشاقق والمسيء، يشجعه على إساءته، يشجعه على شقاقه، ينمِّي العقد، يغذي حالة التذمر، هذه ظاهرة سيئة جداً، هي عملٌ بعيدٌ عن التقوى والإيمان كل البعد، معصية وذنب، ووزر، وتخدم الشيطان، الشيطان هو الذي يتجه على هذا الأساس: {**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ**} [الإسراء: من الآية ٥٣].

فالإنسان الذي يعمل هكذا، يعجبه إثارة التذمر، والعقد، والحساسيات، والفرقة، والخلافات، والبغضاء، والكراهية، وتعقيد هذا على هذا، وتعقيد هذا على ذاك، يصبح عمله في خدمة الشيطان، ومع الشيطان، ينزغ الشر، ينزغ الفساد، ينشر الفرقة، وهو عملٌ سيء بكل ما تعنيه الكلمة، ومن كبائر الذنوب، فيصبح الإنسان كما قال الله عنه: {هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ}، متحرك ينشر، ينشر، {بِنَمِيمٍ}، نمام، نمام.

[المحاضرات الرمضانية ١٤٤٣]

التعاون على الْبِرِّ وَالتَّقْوَى

وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى

يقول الله "سبحانه وتعالى" في القرآن الكريم: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: من الآية ٢]، صدق الله العلي العظيم.

تضمَّن قوله "سبحانه وتعالى": {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}، مخاطباً للذين آمنوا، مخاطباً لنا نحن المسلمين كافة، مبدأً إسلامياً عظيماً ومهماً، تحتاج إليه الأمة لدينها، ولصلاح دنياها.

الإسلام هو دينٌ جامع، يبني الأمة، ويجمعها على أعظم وأقدس وأسمى المبادئ والقيم والأخلاقي والأهداف، ويرسم للأمة مسؤولياتها الجماعية التي تتعاون فيها جميعاً، ويَنظِم لها حركتها في مسيرة حياتها بما ينسجم مع انتمائها الإيماني، ويحفظ لها كرامتها الإنسانية، ويثمر- في نهاية المطاف- الثمرة الطيِّبة، الثمرة العظيمة التي هي البر والتقوى، وبذلك صلاح حياة الأمة. عندما نأتي إلى عنوان التعاون بشكلٍ عام، فهو يعني: تجميع الجهد على نحوٍ جماعي لإنجاز هدفٍ معين، أو للقيام بعملٍ معين، أو لتنفيذ مسؤوليةٍ معينة، ومن المعلوم لدى البشر قاطبةً: أنَّ الجهد الجماعي هو من حيث مستوى الإنجاز، ومستوى التكامل، ومستوى تخفيف الكلفة عن الشخص، عن الفرد، ومستوى القدرة والإمكانيات، هو أعظم بكثير، وهو ضروريٌ أساساً لإنجاز أكثر المهمات والمسؤوليات والأعمال الكبرى، التي لابدَّ فيها من الجهد الجماعي.

الجهد الفردي يبقى بحدود إمكانيات وقدرات الفرد نفسه، على مستوى الشخص الواحد، وتتفاوت هذه القدرات، سواءً على المستوى المعرفي والمادي، وعلى مستوى التفكير، على مستوى الفعل، على مستوى الإمكانيات والوسائل، تختلف من شخصٍ إلى آخر، ويبقى في كل حال مستوى الجهد الفردي محدوداً، باستطاعة الإنسان أن

ينجز فيه أعمالاً إلى مستوى معين، أو أن يقوم أيضاً بمهام وأعمال إلى مستوى معين، ولكن هناك في الواقع البشري؛ لأن الحياة حياة المجتمع البشري هي حياةٌ مترابطة، وهناك فيها مصالح عامة، مصالح مشتركة، وهناك أيضاً مسؤوليات عامة، مسؤوليات مشتركة، وأهداف كبيرة، لا يمكن أن تنجز بجهدٍ فردي، يستحيل في بعضها أن تنجز بجهدٍ فردي، ولابدَّ فيها من التعاون، وهذه مسألة واقعية وقائمة في حياة المجتمعات البشرية.

المجتمعات البشرية منظَّمة ومؤطرة بشكل دول، كيانات، مجتمعات تحت عناوين معينة، أو بشكل قبلي...أو غير ذلك، ويجمعها على مستوى كل كيانٍ معين، أو إطارٍ معين، تجمعها أهداف مشتركة، حياةٌ مشتركة، مصالح مشتركة، جهود جماعية، اهتمامات جماعية، تنسِّق حتى الجهد الفردي، فيكون في إطار سياسة جماعية، توجه جماعي، وهكذا هي الحالة القائمة في الواقع البشري، وتختلف في مستوى تفعيل هذا الأمر، ومستوى الاستفادة منه من مجتمعٍ إلى آخر.

فالمجتمعات أكثر نجاحاً، والأكثر قوةً، والأكثر إنجازاً، هي المجتمعات التي تمكَّنت من رفع مستوى التعاون، وتوجيه حالة التعاون داخلها على مستوى أفضل، وعلى مستوى أقوى، وعلى مستوى أكبر، ووفق رؤيةٍ صحيحة، كلما كانت هناك رؤية صحيحة في جانب معين، وظِّفت فيها الجهود الجماعية، ونسِّقت فيها الأنشطة العامة لتخدم هدفاً مشتركاً، في نهاية المطاف تتحقق نتائج كبيرة، وهذه مسألة معروفة في الواقع البشري، وقائمة- كما قلنا- في عصرنا وفي كل زمنٍ مضى.

لإهمال أمة الإسلام لمبدأ التعاون صارت أضعف الأمم

الحالة السلبية هي في واقع مجتمعنا المسلم، الأقل تعاوناً في كل شيء، على مستوى ما يفيده لدنياه، وما ينسجم مع دينه، وما يحقق له أيضاً المصالح الكبيرة في كل المجالات، حالة البعثرة للأمة، والتجزئة للأمة، والتفريق للأمة، وترسيخ التوجه الفردي والأنانية، والسعي لإبعاد الأمة عن روابطها الجماعية، وعن مشاعرها وتوجهاتها ومواقفها الجماعية، ومسؤولياتها الجماعية، وهمها الجماعي، ساعد إلى حدٍ كبير أن تتعزز النظرة الفردية والتوجه الفردي لدى الكثير من أبناء الأمة، وهذا ما أضعف المسلمين في عصرٍ كان بالإمكان أن يكونوا من أقوى الأمم، إن لم يكونوا أقوى الأمم؛ لأن لديهم من الإمكانات، والقدرات، والثروات، والعدد الكبير، ولديهم أيضاً نور الله وهديه، الذي هو خير ما يمكن أن تجتمع عليه أمة، وأحكم،

وأرقى، وأسمى، وأهدى، ما يمكن أن تجتمع عليه أمة، فتحقق لنفسها الخير في الدنيا والآخرة، ويكون لها دورها البناء، والمثمر، والإيجابي، والصالح، في قيادة المجتمعات البشرية الأخرى، وفي التأثير فيها. المجتمعات الغربية على سبيل المثال في أوروبا، وفي أمريكا، والمجتمعات في بعض المناطق الأخرى، في بعض القارات الأخرى، مثل بعض المجتمعات الأسيوية، كالصين مثلاً، ترسخ عندها مفهوم: التعاون، والهم الواحد، والتوجه الواحد، والموقف الواحد، والمصالح المشتركة، مع أنهم في الغرب هم توجههم رأس مالي، مبنيٌ في أصل المسألة على الفرد، ومصلحة الفرد، وينطلق من مصلحة الفرد، مع ذلك ولديهم هذه العقيدة، وهذا المبدأ: المبدأ الرأسمالي الذي يركز بشكلٍ كبير على الفرد، وينطلق من الفرد في مصالحه، ولا يرعى المصالح العامة، إلا كتبعٍ لمصالح الفرد، لكنهم أدركوا أنه حتى بحساب المصلحة الشخصية، والمصلحة الفردية، وما يعود من فوائد على الفرد الواحد، أنه من خلال التوجه الجماعي، الاهتمام الجماعي، التعاون الجماعي، سيتحقق للفرد من المكاسب، من المصالح، من المنافع، ما لا يمكن أن يحققه في توجهٍ منعزل ومنفصل عن التوجه الجماعي، وأدركوا ترابط المصالح لكل المجتمعات، المصالح بكل أشكالها، يعني: الاقتصادية، السياسية، الأمنية، الاجتماعية، أنها مترابطة في الواقع البشري، ولذلك من الواضح أنه يمكن تنسيق مسألة التعاون، وتنظيم الجهد الجماعي بما لا يلغي الخصوصية الفردية، وبما لا يلغي أيضاً الاعتبارات عندنا مثلاً في التوجه الإسلامي الأسرية، {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ}.

هم أدركوا ذلك، واستفادوا كثيراً من ذلك، قامة كياناتهم العملاقة، وتجمعت قدراتهم وطاقاتهم؛ فأنتجت على نحوٍ كبير، ولديهم دائماً الكثير من الشركات والمؤسسات في كل المجالات، حتى على المستوى البحثي، مؤسسات تتظافر فيها الجهود، جهود المفكرين، جهود المنظرين، النشاط الاقتصادي، كذلك مؤسسات، شركات، الأنشطة في مختلف شؤون الحياة كثيرٌ منها تعتمد على مؤسسات، على شركات، على هكذا تجمعات تجمع فيها الإمكانات والقدرات والمواهب، وتتكامل فيها القدرات، فيكون لذلك النتيجة الأكبر والأفضل.

على العكس منا في واقعنا في المجتمع الإسلامي، بعثرة، وتوجه فردي إلى أبعد الحدود، فقدنا الهم الواحد، القضية الواحدة كهمٍ يتجه عليه الجميع، يرتبط به الجميع، المسؤولية التي ندرك أنها تقع على عاتقنا جميعاً، فنتحرك فيها كما ينبغي.

الآن في المجتمع الغربي حتى على مستوى المشاريع العملاقة، تتعاون فيها الدول، لاحظ مثلاً: الأنشطة المتعلقة بالفضاء، والمحطة الدولية، كم دول تعاونت فيها؛ لأجل موضوع الفضاء، والأقمار الصناعية، ورصد الواقع، والأنشطة، والمتغيرات الجغرافية في الأرض، والبيئية...وما شاكل، أشياء كثيرة يتعاونون عليها، بالرغم من إمكانات كل دولةٍ منهم، أصبحت لديها إمكانات ضخمة، لكنها ترغب في كثيرٍ من الأمور المكلفة أن تتعاون مع دول أخرى مثلاً، ولهذا أهميته الكبيرة: في أن تخفف الكلفة، لا تكون مرهقة على دولة معينة؛ فتؤثر على بقية مصالحها واهتماماتها.

النجاح والفلاح لمن يحقق مبدا التعاون

فعلى كل حال نجحت بقية الدول، بقية المجتمعات، بقية الكيانات في العالم نجحت بالاستفادة من مبدأ التعاون فيما بينها، في مصالح دنياها، وحتى في مؤامراتها على أمتنا، وحتى في تعاونها على الإثم والعدوان، نجحت في ذلك إلى حدٍ كبير، وبما لا يقارن مع ما عليه أمتنا من عدم التعاون على البر والتقوى، على الخير لها في دينها ودنياها، وهذا مؤسف مؤسف! وراءه أشياء كثيرة جداً أضرَّت بالأمة، وأوصلتها إلى ما وصلت إليه، من التفكك، والتبعثر، والضياع، والتشتت، والفوارق والحواجز والعوائق، التي عززت حالة الفصل لأبناء الأمة عن بعضهم البعض، ولجهودهم، وما إلى ذلك، فالكافرين استفادوا- كما قلنا- في كل شيء.

أمَّا في واقعنا كأمةٍ مسلمة، نحن الذين يخاطبنا الله، ويقول لنا: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} [المائدة: من الآية ٢]، نحن الذين هيأ الله لنا أعظم المبادئ، وقدَّم لنا أعظم المبادئ التي هي خير ما تجتمع عليه أمة، خير ما يجتمع عليه البشر، المبادئ العظيمة، الأهداف المقدسة، القيم والأخلاق الكريمة والعظيمة، أيضاً قدَّم لنا ما يساعدنا تربوياً على تحقيق حالة التآخي، والتعاون، والانسجام، والتفاهم، والتقارب، ويحقق لنا بالتالي التعاون على أرقى مستوى، الأمة التي قال لها الله: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: من الآية ١٠٣]، الأمة التي لديها هذه المسؤولية: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: الآية ١٠٤]، مسؤوليات جماعية، لم ينفع فينا هذا، مبادئ جامعة، لم ينفع فينا ذلك، وهكذا، توجيهات كثيرة تبين لنا ثمرة هذا الجهد الجماعي، هذا التعاون، وما ينتج عنه، وما يفيدنا به ويعود به علينا من الخير في الدنيا والآخرة.

لكن لعمل المفرقين بكل الوسائل، بكل العناوين: على المستوى الفكري، على المستوى الثقافي، على المستوى السياسي...على كافة المستويات، عمل كبير جداً، وترك أثره البالغ في واقع الأمة، حتى أصبح مجتمعنا الإسلامي يختلف عن بقية المجتمعات في ذلك، لم يستفد من مسألة التعاون في أي شيء، أمة ضخمة، المسلمون أكثر من مليار مسلم، قدراتهم، إمكاناتهم، ثرواتهم هائلة، ليسوا أمةً لم يجعل الله في أرضها ثروات ولا خيرات، وتركها بدون شيء، أمة تركها الله صفراً، فلم يعطها شيئاً، ولم يمدها بشيء، شملها عطاء الله، {كُلًّا نُمِدُّ هَـؤُلَاءِ وَهَـؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} [الإسراء: الآية ٢٠]، شملها عطاء الله، بل أعطاها الله الخير الكثير، لديها الإمكانات الكثيرة، لديها الثروة البشرية والمادية، ولديها ما لو عادت إليها الرؤية الصحيحة، نور الله وهديه العظيم والمبارك، الذي كان يمكن أن يرتقي بالأمة إلى أرقى المستويات.

لتضييع هذا المبدأ خسرت الأمة على كل المستويات

نجد مدى خسارة الأمة الإسلامية لتضييعها هذا المبدأ، وإزاحتها هذا المبدأ من واقعها:

على المستوى العسكري: بدت الأمة الإسلامية ضعيفة عسكرياً أمام أعدائها، حتى في معالجة القضية الفلسطينية، كلنا يعلم أنه لو تظافرت جهود المسلمين، وإمكاناتهم، بنيةٍ صادقة، وتوجهٍ جاد، واعتمادٍ على الله "سبحانه وتعالى"؛ لما كانت فلسطين مغتصبة، لما كان الأعداء يدنِّسون المسجد الأقصى المبارك، الذي هو من مقدَّسات المسلمين، لما كان الشعب الفلسطيني الذي هو جزءٌ من المسلمين، جزءٌ من الأمة، جزءٌ من العرب، يعاني الاضطهاد، والظلم، والقهر، ويعاني مما يمارس بحقه من الإجراءات الظالمة، والتعسفات من جانبه أعدائه وأعداء الأمة كل يوم، معاناة يومية، اضطهاد يومي بكل أشكاله: من القتل، والجرح، والسجن، والتدمير، والانتهاك للأعراض، واقتلاع أشجار الزيتون والمزارع.... إلى غير ذلك، واغتصاب الأرض، ونهب الممتلكات، والتعدي بالضرب...كل أشكال الاضطهاد موجودة وتمارس بحق شعب فلسطين منذ عقودٍ من الزمن.

والأمة تقف وكأنها عاجزة، كأنها أمة لا تقدر على أن تنهي هذا الظلم، تنقذ ذلك الشعب، تستعيد جزءاً منها، جزءاً من مقدساتها، جزءاً من أرضها ووطنها، وتنقذ جزءاً منها، من كيانها، من شعبها، من أبنائها، ما الذي حصل في مقابل

تعاون كبير مع العدو الإسرائيلي، التعاون الغربي برز مع العدو الإسرائيلي أكثر بكثير على كافة المستويات من تعاون المسلمين فيما بينهم، هذا كمثال واحد، أمام بقية التحديات والأخطار، كلنا يعلم لو تظافرت جهود المسلمين، وتعاونوا لدفع الخطر عنهم جميعاً؛ لكانوا اليوم قوةً كبرى في الساحة العالمية، لما كان حالهم على ما هو عليه.

على المستوى الاقتصادي: ليس لدى المسلمين عملة موحَّدة، الأوروبيون عملوا لهم عملةً موحَّدة (اليورو)، فأصبحت عملة ذات وزن كبير، وقيمة كبيرة، وأهمية عالمية، المجتمع الغربي إلى حدٍ كبير اعتمد على الدولار، فأتى العرب وأتت الدول العربية المنتجة للنفط لتعتمد على الدولار، فجعلته عملةً عالمية، حوَّلوا اللغة الإنجليزية إلى لغة عالمية، حوَّلوا سياساتهم وتوجهاتهم إلى توجهات عالمية، بفعل ما عليه المسلمون من التفرق، من توجه بعض الأنظمة معهم، مع أعداء الأمة في كل شيء، دخلت فيما هم عليه، تتعاون معهم، بدلاً من أن تتعاون مع أمتها.

لمتها مع ن شيء دخلت فيما عليه ري وا يوجد للمسلمين سوقاً مشتركة، ليس لهم سوق مشتركة، الوضع الاقتصادي فيما بينهم في العلاقات الاقتصادية، والتبادل التجاري، تحت سقف ما تريده أمريكا، ويستجيب تماماً لأي توجهات أمريكية، أو عقوبات أمريكية، أو حصار أمريكي على شعبٍ من شعوب الأمة الإسلامية، فخسر المسلمون الكثير، ما يمكن أن يحصلوا عليه لو تعاونوا، لو تفاهموا على المستوى الاقتصادي، على المستوى العسكري، على المستوى السياسي، أمة ليس لها نفوذ سياسي بحجمها، بحجم إمكاناتها، بحجم قدراتها، على كل المستويات، على المستوى الخيري، لما انتشر البؤس في أي بلدٍ من بلدان هذه الأمة، لو بقي التعاون فيما بينهم على المستوى الخيري...وهكذا في كل مجالٍ من المجالات، كانت خسارة المسلمين كبيرةً؛ لأنهم أضاعوا هذا المبدأ: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}.

بدلاً عن ذلك، اتجهت أنظمةٌ منهم، دولٌ منهم، كياناتٌ منهم، لتتعاون مع أعدائهم، ولتسخِّر طاقاتها، إمكاناتها، ثرواتها مع مواقفها وتوجهاتها لخدمة أعداء الأمة، وهذا أمرٌ واضح فيما عليه بعض الأنظمة، في ذوبانهم التام مع أمريكا، وخدمة أمريكا، وخدمة الغرب، وفي الأخير مع الإسرائيلي، مع العدو الإسرائيلي، دخلوا في علاقات معلنة، وما يسمونه بالتطبيع في علاقات ألغوا فيها الكثير من القيود التي يتخذونها ضد بقية شعوبهم الإسلامية، وبلدانهم العربية، وفتحوا مجال لتجنيس الإسرائيليين، وإلغاء الجمارك في التعامل معهم، وفتح الأبواب للدخول والخروج والحركة إلى بلدانهم بدون أي قيود، وبكل التسهيلات، وكل التسهيلات

للأنشطة التجارية...وغير ذلك، واتجهوا للنشاط الاستثماري لدعمهم...وهكذا، ففعلوا معهم ما لا يفعلونه أبداً مع شعوب أمتهم، مع بلدان العالم الإسلامي، هذه حالة واضحة من الانحراف الكبير، وبات الحديث اليوم مثلاً عن مسألة تعاون المسلمين جميعاً، أو تعليق شيءٍ من الأمور عليه، تعليقٌ بما هو أشبه بالمستحيل، يعني: لم يعد من المؤمل فيما عليه المسلمون اليوم من إشكالات، من عوائق، من فرقة، من شتات، من توسيعٍ للفجوة، من بعثرة وتجزئة، من عوائق وحواجز بفعل الأنظمة والحكومات، التي تؤدِّي هذا الدور بشكلٍ كبير، ومن معها من المضلين والمفسدين، الذين يتشغلون في هذا الاتجاه السلبي لضرب الأمة من الداخل، لم يعد ينبغي أن يعلِّق الإنسان أي عملٍ عظيم، أو مهم، أو موقفٍ مهم، ويرهنه إلى مسألة اجتماع المسلمين جميعاً، أو توحُّدهم جميعاً، أو اتفاقهم جميعاً؛ لأن هذا صار أشبه شيءٍ بالمستحيل.

ما الذي يعول عليه لإحياء مبدأ التعاون ؟

الذي يعوَّل عليه، ويمكنه أن يثمر، هو: ما يقوم به الأحرار، الواعون من أبناء الأمة، والمسألة تتطلب في بداية الأمر نشر هذا الوعي بين أوساط الأمة، ترسيخ الانتماء الإسلامي للمسلمين، وأنَّ هذا جامعٌ لهم كأمةٍ واحدة، لديها مسؤولياتها الجماعية، مصيرها الواحد، همها الواحد، ثم ما يجري من التعاون والتنسيق والتفاهم على أبرز القضايا، على أبرز العناوين، وأي مستوى يمكن أن يتحقق من التعاون في ذلك، في ظل الظروف الراهنة، فهو مستوى مهم، فهو مطلوب، فهو مطلوبٌ على كل حال، على مستوى الأخيار الذين يحسون بمسؤوليتهم من أبناء الأمة، الصالحين من أبناء الأمة، على مستوى الواعين من أبناء الأمة، الذين يحملون همّ الأمة، واقع الأمة، معاناة الأمة، مصير هذه الأمة، مستقبل هذه الأمة، ولديهم ثقة بالله "سبحانه وتعالى"، وإدراك وإيمان بعظمة المبادئ الإسلامية والقرآنية، فما تحقق بينهم من التعاون في كل المجالات، في إطار القضايا الكبرى للأمة، والمسؤوليات الجماعية للأمة، فهو مطلوب، وهو مناسب، وهو قائمٌ الآن بعد أن أصبحت حالة الفرز، الفرز والتمييز من الله بين أبناء الأمة، بين المنافقين وبين الصالحين من أبناء الأمة، {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [آل عمران: من الآية ١٧٩]، في ظل ما يجري مؤخراً في موضوع التطبيع مع العدو الإسرائيلي وغير ذلك.

على كلٍّ على مستوى الواعين من أبناء الأمة، يمكن أن تعزز حالة التعاون، **على مستوى الأخيار، على مستوى الدول، على مستوى الجهات الفاعلة من أبناء الأمة**، التي لديها هذا التوجه الواعي، المبدئي، الأخلاقي، الإنساني، الذي هو توجهٌ راشد، توجهٌ صحيح، توجهٌ سليم، هو التوجه الطبيعي الذي ينبغي أن يتوجه به أبناء الأمة.

ثم على المستوى الداخلي، على مستوى كل شعب، فمثلاً في واقعنا في شعبنا اليمني، نحن مجتمعٌ مسلم، هويتنا إيمانية، **(الإيمان يمان، والحكمة يمانية)**، مجتمعنا- بحمد الله- لا يزال محافظاً على مبادئه، وقيمه، وأخلاقه إلى حد جيد، يتفاعل مع هدى الله "سبحانه وتعالى"، يعي عظمة توجيهات الله "سبحانه وتعالى"، وعلى مستوى متفاوتٍ فيما بين الناس، ليسوا سواءً في إدراكهم لهذه الأمور، في تفاعلهم معها.

ونحن اليوم ضمن توجهنا المبدئي والأخلاقي والقيمي، القائم على الاستقلال، على عدم التبعية لأعداء الأمة، عدم التبعية للكافرين، ومن معهم من المنافقين، توجهنا القائم على الاستقلال، على إدراك أننا أمة لها مبادئها، لها قيمها، لها أخلاقها، لها مشروعها الحضاري، الذي ينبغي أن تتحرك على أساسه، يجب أن ندرك جيداً، ونحن رأينا وعشنا ثمرة التعاون في مواجهة التحديات، التحدي الكبير الذي هو العدوان، عدوان تحالف الإثم والعدوان، التحالف الأمريكي السعودي في العدوان على بلدنا، تحالف دولي إقليمي، التحق به المنافقون والخونة من أبناء شعبنا، وقام بحملته وعدوانه الكبير على بلدنا، بأهداف واضحة، يريد أن يحتل كل بلدنا، وأن يسيطر عليه بشكلٍ تام، وأن يسيطر على كل شعبنا، واستخدم في عدوانه على بلدنا كل وسائل التدمير، وحرص على أن يكسر إرادة هذا الشعب، من خلال ارتكابه لأبشع الجرائم بحق هذا الشعب، ومن خلال الحصار الخانق والشديد ضد هذا الشعب، مع ذلك ما الذي أسهم بعد الاعتماد على الله "سبحانه وتعالى"، والتوكل على الله "سبحانه وتعالى"، ما الذي أسهم في صمود وتماسك شعبنا إلى اليوم؟ سبع سنوات وصل فيها تحالف العدوان إلى اليأس، وصل فيها إلى العجز، إلى الإخفاق، إلى الفشل المعترف به، الفشل الذي تحدثت عنه الدول بمختلفها، والكيانات حتى الراعية لهذا العدوان، وأصبح شيئاً معروفاً، أنهم قد فشلوا في عدوانهم، في تحقيق أهدافهم، ثمرة التعاون بين أبناء هذا الشعب، عندما تعاونوا في النهوض بمسؤوليتهم الجماعية في الجهاد في سبيل الله والتصدي لهذا العدوان،

على المستوى العسكري: ثمرة هذا العدوان عندما كان هناك تحركٌ واسع من

أحرار وأبطال شعبنا من مختلف المحافظات، من مختلف القبائل، وانطلقوا إلى الميدان، ونهضوا بمسؤوليتهم، فكان لهذا التعاون ثمرته العظيمة.

عندما تعاونوا على مستوى الأنشطة الخيرية، كان لهذا التعاون ثمرته الكبيرة، عندما كان هناك تعاون في حلِّ المشاكل الاجتماعية، كان هناك ثمرة طيِّبة، في كل المجالات التي حصل فيها تعاون، كان هناك ثمرة إيجابية، وثمرة طيِّبة.

الإسلام هو يدفع نحو التعاون إلى حد أن يرسم مسؤولياتٍ جماعية، قائمة على التعاون، الجهاد في سبيل الله مسؤولية تعتمد على التعاون، وهي مسؤولية جماعية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية جماعية، تعتمد على التعاون، فعل الخير فيه مسؤوليات أساسية جماعية، تعتمد على التعاون، فالتعاون هو مثمر، ثمرته عظيمة، فكيف إذا كان التعاون على مستوى أكبر، على مستوى أوسع، وشمل كل المجالات، بالإضافة إلى ما هو ضمن مسؤولياتنا الجماعية: كالجهاد في سبيل الله، الذي يعتمد على التعاون، والذي كلما تحقق مبدأ التعاون داخله على نحوٍ أفضل؛ كانت الثمرة أكبر، وهذا شيءٌ مهم يجب أن نعيه، أن نستوعبه، البركة هي في الجهد الجماعي، في التعاون، كلما كان التعاون على مستوى أعمق، أكبر، أوسع؛ كلما كانت ثمرته أعظم.

ولذلك علينا في شعبنا العزيز- مع ما ننصح به في واقع أمتنا بشكلٍ عام- أن نلحظ أهمية هذا المبدأ: التعاون على البر والتقوى، فإذا جئنا إلى مستوى النهوض بمسؤولياتنا الجماعية، فلندرك أنها قائمة على التعاون، ولنسع في تحقيق ذلك.

كيف ننهض بوضعنا الاقتصادي؟

إذا جئنا إلى مختلف المجالات: إلى المجال الاقتصادي، المجال الاقتصادي أصبح ميداناً من ميادين الصراع، من ميادين المواجهة، وأصبح التحرك فيه بنيةٍ صادقةٍ، بنيةٍ واعية، بتوجهٍ صالحٍ، وواعٍ، وإيماني، يصبح التحرك فيه من الجهاد في سبيل الله؛ لأن الأعداء يشنون حربهم الشاملة على شعبنا وعلى أمتنا بشكلٍ عام، والجانب الاقتصادي من الميادين والمجالات الأساسية التي يشنون حربهم فيها، عن طريق الحصار، وأكثر ما يفيدهم في الحصار، هو: اعتماد الناس على الاستيراد من الخارج، فيواجهون المشكلة ابتداءً في مسألة العملة في الحصول على الدولار، مما يضرب العملة المحلية، مما يضعف قيمتها، مما يتسبب برفع الأسعار، وأيضاً في إيصال المواد التي تأتي من الخارج، إضافة ما يترتب على اضطراب الوضع الدولي

والإقليمي ومشاكله من ارتفاع إضافي في الأسعار، فتكبر المعاناة، ما الذي يمكن أن نقوِّي به وضعنا الاقتصادي في بلدنا؟ ما الذي يمكن أن ننهض به اقتصادياً في بلدنا؟ اعتمادنا على الله، ثقتنا بالله "سبحانه وتعالى"، وتعاوننا؛ لأن الجهد الفردي ضعيف، على مستوى رؤوس الأموال، أكثر أبناء شعبنا من الفقراء، وكثيرٌ من أبناء شعبنا من ذوي الدخل المحدود، ما يمتلكه من أموال قد لا يفي بالاحتياجات الضرورية لأسرته، فكيف يتحرك به في نشاط تجاري أو استثماري يعالج به مشكلته الاقتصادية، ما الذي يمكن أن يساعد على معالجة هذه المشكلة؟ هو تجميع رؤوس أموال، عن طريق التعاون، النشاط التعاوني في المجال الاقتصادي من أهم ما يمكن أن يفيد على مستوى النهضة الاقتصادية، وعلى مستوى مواجهة المشكلة المعيشية، التي هي همّ، همّ وغم لدى الكثير من الأسر، لدى الكثير من الذين يعولون أسرهم، يفكر كيف يجلب احتياجات أسرته، كيف يعمل عملاً يدرُّ له الدخل الذي يغطي به الاحتياجات الضرورية لأسرته.

في العالم ماذا يفعل الناس؟ ينشئون مؤسسات تجارية استثمارية اقتصادية، شركات قائمة على المساهمات، يمكن جمع رأس مال مثلاً من مليون مواطن، أو من خمسمائة ألف مواطن، من خمسين ألف مواطن، من...على أي مستوى كان، فيصبح رأس مال ضخم، لنشاط استثماري فاعل، يساعد على معالجة الوضع الاقتصادي من جهة، على تقوية الإنتاج الداخلي، على معالجة مشكلة البطالة، وتشغيل اليد العاملة.

في بعض عمليات النصب في بلدنا، في بعض عمليات النصب والاحتيال، تمكَّن بعضهم من جمع مليارات، في واحدةٍ من حالات النصب قيل لنا أن المجموع بلغ أكثر أربعين مليار ريال، جمعت تحت عنوان نشاط استثماري وتجاري، ولكن بطريقة فيها نصب واحتيال ومخادعة، جمعت من ذوي الدخل المحدود، هذا ساهم، وهذا ساهم، البعض من خمسة آلاف ريال، وهكذا جمعت مبالغ ضخمة جداً.لكن عندما نأتي إلى النشاط الاستثماري الذي يقوم على إنشاء شركات، ومؤسسات، وأنشطة استثمارية، يجب أن يكون على أساسٍ صحيح، وأن يكون أيضاً برعاية رسمية، أو مبادرات من جهات معروفة، مأمونة، موثوقة من أبناء الشعب؛ حتى لا يكون الإنسان ضحيةً لذوي النصب والاحتيال، لا يستجيب لأي شخص قد يكون شخصاً مغموراً مجهولاً، أو غير معروف، نصاباً ومحتالاً، ينادي بنشاط استثماري ونشاط تعاوني تساهمي.

النشاط التعاوني التساهمي يمكن أن يعالج لنا مشكلة الفقر في بلدنا إلى حدٍ

كبير، وأن ينهض بوضعنا الاقتصادي، وأن يقوي عملية الإنتاج في الداخل، وتجتمع رؤوس أموال كثيرة حتى بالنسبة لذوي الدخل المحدود، هذه طريقة ميسَّرة لهم، وهم يفعلون في الخارج كذلك.

هناك أيضاً في بعض المجالات إمكانية أن تتعاون الدولة من جانبها، والتجار من جانبهم، وبقية المساهمين من المواطنين، تبقى مساحة ضخمة لمساهمة المواطنين في مجالات استثمارية ذات دخل كبير في واقع الشعب، وتنشيط الحركة التجارية من خلالها، هذا ما ينبغي أن يتشغل عليه الجانب الرسمي، وخارج الجانب الرسمي، ليبادر، هناك الكثير من الناس الذين فيهم خير، لديهم همة عالية، لديهم اهتمام كبير، لديهم وعي بأهمية هذه الأمور، وبأننا لابدَّ لنا من العمل، لابدَّ لنا من التحرك، أنَّ الذي يضرُّ بالناس هو تكاسلهم، شعوبنا مهما كانت لديها من الخيرات تصيح دائماً من الفقر، وكأنها لا تمتلك أي خيرات، لاحظ الوضع عندنا في اليمن، لاحظ الوضع مثلاً في السودان، من أحسن البلدان فيما يتعلق بالثروة الزراعية، وإمكانية الإنتاج الزراعي، وبالإمكان أن يتصدر كل الشعوب العربية في الإنتاج الزراعي، يعاني من أشد المعاناة، ليس هناك من يرعى نظام صالح، يرعى مصالح ذلك الشعب ضمن مصالح وأنشطة صحيحة.

عندنا أتى العدوان ليمثل عامل ضغط كبير جداً، ولكن أصبح الميدان الاقتصادي من ميادين الصراع، لابدَّ فيه من التحرك، مع الاعتماد على الله، مع اللجوء إلى الله "سبحانه وتعالى" ليمُنّ بالغيث، مع الاستقامة وفق توجيهاته وأمره، وهذا ما يمكن أن يهيئ للناس الحصول على البركات من الله "سبحانه وتعالى"، والرعاية من الله.

كذلك على مستوى التوجهات والسياسيات، مثلاً: من أهم ما نحتاج إليه فيما يتعلق بالإنتاج الداخلي، هو: السعي لتقليل الكلفة، وتحسين الجودة، المزارع بحاجة أن يعي ذلك، الشركات والمؤسسات الإنتاجية التي يمكن أن تنشأ، لتحرص على ذلك: كيف تسعى لتكون الكلفة أقل، والجودة تكون على مستوى جيد، لتنافس المنتج الخارجي.

ثم أيضاً السياسيات التي يلزم بها التجار في أن يتجهوا إلى العناية بالمنتج الداخلي وتسويقه، وألَّا يضربوه بالمنتج الخارجي، فتصبح حالة التعاون، المدعومة بالسياسات، والتوجهات، والإجراءات، على المستوى الرسمي، وعلى المستوى الشعبي، تصبح مثمرة، مجدية، لها بركتها، تعالج الكثير من المشاكل على المستوى الاقتصادي،

تعالج حالة البؤس والحرمان، تحد من مستوى البطالة، وتعالج حتى ظاهرة التسول، مع الاهتمام بالزكاة، مع الاهتمام بالصدقات، مع الاهتمام بالإنفاق، كل ذلك يحتاج إلى عمل، يحتاج إلى إنتاج، يحتاج إلى تحرك اقتصادي استثماري، فالجانب الاقتصادي إذا فُعِّلَ فيه مبدأ التعاون وفق توجيهات الله "سبحانه وتعالى"، سيكون لذلك ثمرة عظيمة، ونتيجة كبيرة جداً.

أهمية تفعيل مبدأ التعاون في الجانب الخدمي والاجتماعي

على مستوى الجانب الخدمي، وعلى مستوى المشاريع الخدمية، من أهم ما نحتاج إليه هو التعاون، والتعاون سيحل مشكلة كبيرة جداً في هذا الجانب، كم من القرى التي هي بحاجة إلى الطرق، ليس لها طرق إليها؟ في بعض المناطق كيف حُلَّت هذه المشكلة؟ بالمبادرات الاجتماعية، المبادرات الاجتماعية التي يتعاون فيها الأهالي، فيشتغلون معاً، يتعاونون معاً، يتحركون معاً، على مستوى التمويل يعاونون ويساهمون بقدر ما يستطيعون، ثم يأتي من يعينهم رسمياً، أو خيرياً، ثم تنجح مشاريع مهمة جداً، ويحقق الناس معالجات مهمة جداً، لمشاكل حقيقية على المستوى الخدمي، يمكن تنشيط هذا الجانب، وتقوية التعاون فيه، ليكون مثلاً في بعض المناطق على مستوى أوسع من القرية، على مستوى القبيلة، على مستوى المديرية، في بعض الأمور على مستوى المحافظة، في بعض الأمور كذلك على مستوى أوسع مثلاً من تعاون التجار الخيرين والصالحين مع الجهات الرسمية، تعاون يخفف الكلفة، ويرفع مستوى الإنتاج، ويحقق النتائج الكبيرة، والنتائج العظيمة، والنتائج المهمة.

المبادرات الاجتماعية هي طريقة ناجحة، يجب أن تتعزز، وأن تتقوى، وأن تتوسع، وأن تنظم بشكلٍ أفضل، وأن تدعم بشكلٍ أقوى، وأن يلتفت الجميع على ضوء مبدأ التعاون؛ لأهميته الكبيرة، ونتيجته المهمة.

على مستوى الجانب الاجتماعي في المشاكل الاجتماعية، التعاون لابدَّ منه، التعاون مثمر في حل المشاكل الاجتماعية، التعاون أيضاً على تقوى الله "سبحانه وتعالى" في الحد من الظواهر السلبية، والسلوكيات التي قد تكون أحياناً بهدف إفساد المجتمع، عندما يكون هناك وعي مجتمعي لنبذها، لمحاربتها، لمنعها، للحد منها، بتعاون من أبناء المجتمع، بتفاهم من أبناء المجتمع، هذا تحصين للمجتمع من الاختراق المعادي.

مجتمعنا المسلم في هذا العصر مستهدف، في أخلاقه، في قيمه، في عفته، في طهارته، في صلاحه، مستهدف بشكلٍ كبير، والاستهداف عبر مختلف الوسائل، بما فيها الإنترنت، بما فيها مواقع التواصل، بما فيها وسائل كثيرة جداً، فإذا كان المجتمع نفسه مجتمعاً يتعاون على البر والتقوى، فهو سيحد بتعاونه وتفاهمه من الفساد، ومن الظواهر السلبية، وَسَيُحَصِّن نفسه بهذه الطريقة.

أيضاً بالحفاظ على القيم الأصيلة في المجتمع، والعادات الحسنة في المجتمع، ولدى مجتمعنا- بحمد الله- موروث عظيم من القيم الأصيلة، التي هي قيم قبلية إسلامية فطرية، إذا حافظ عليها المجتمع تصونه، تحصنه، تحميه من الاختراق، تحافظ على هويته، على قوته، على تماسكه، على انتمائه الإيماني.

أيضاً فيما يتعلق أيضاً بتيسير هو من التعاون على البر والتقوى، يحتاج إلى تعاون، التزام بسقف معين لا يتم تجاوزه في هذا الجانب، وإعانة الفقراء المتزوجين، التعاون على المستوى القبلي هو عادة راسخة في مجتمعنا اليمني، وهناك قواعد لكل قبيلة تلزمها بالتعاون والغرم الواحد، ويحل مشاكل كثيرة، وله إيجابيات مهمة، وكثيرٌ منه يجب الحفاظ عليه؛ لانسجامه مع التعليمات الإسلامية، وتعديل ما لا ينسجم مع شرع الله، ومنهج الله، وتعاليم الله "سبحانه وتعالى".

التعاون يعبِّر عن قيم عظيمة، مثل: الرحمة، مثل: إرادة الخير للآخرين، مثل: خلاص الإنسان من الأنانية، والتعاون يعبِّر عن وعي؛ لأنه فعلاً الإنسان الذي يعي أهمية التعاون، يدرك جيداً أنه بكل الاعتبارات هو ربح للمجتمع، حتى الذي يفكر تفكيراً شخصياً، حتى الأناني، الذي لا يهمه إلا نفسه، ليدرك أن التعاون سيفيده لنفسه، سيفيده لمصلحته، والتعاون أصلاً لا يلغي خصوصية الفرد، ولا يلغي ملكية الفرد لأملاكه الشخصية، التعاون ليس مثل الاشتراكية الشيوعية التي كانت زمان قائمة تلغي ملكية الفرد، التعاون هو لمصلحة الفرد، ولمصلحة المجتمع، التعاون منه ما هو إسهام مباشر، وما هو تنسيق للجهود، لتصب في مصبٍ واحد، فالتعاون له ثمرته، وأهميته، وقيمته في كل شيء، في كل شيء، التعاون على البر والتقوى.

الخطورة الكبيرة للتعاون على الإثم والعدوان

أيضاً قال الله تعالى بعد ذلك: {وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: من الآية ٢]، بقدر ما للتعاون على البر والتقوى من أهمية، من قيمة إنسانية وأخلاقية،

ومن أثرٍ إيجابي عظيم، من ثمرةٍ طيبة، من نتائج عظيمة ومباركة، بقدر ما له من تأثيرٍ إيجابي لصالح المجتمع في دينه ودنياه، هناك في المقابل خطورة كبيرة، وسلبية كبيرة، ونتائج سيئة جداً للتعاون على الإثم والعدوان.

الإثم: مختلف أنواع المعاصي والذنوب.

والعدوان: العدوان على العباد بغير حق.

حالة التعاون على الإثم، لنشر جريمة معينة، أو منكر معين، أو فساد معين، بأي أسلوب، بأي طريقة: مادياً، أو إعلامياً، أو بالممارسة والنشاط المباشر بأي شكل، يضاعف من الجرم، يضاعف من الإثم، يضاعف من الوزر، وفي نفس الوقت يمثل خطورةً أكبر، قد تكون هناك مثلاً أحياناً ممارسات فردية، محاربتها والحد منها أيسر، لكن ما الذي يعمم الفساد؟ ما الذي يعمم المنكر؟ ما الذي ينشره أكثر؟ هو التعاون عليه، الترويج له، الإسهام فيه بنشاط جماعي، وجهد جماعي، وتنسيق جماعي، فلذلك يعتبر فظيعاً وشنيعاً وخطيراً جداً.

العدوان كذلك نرى دولاً بأكملها تتعاون على العدوان في واقع أمتنا، في واقع شعبنا، دول وكيانات تعاونت في العدوان على شعبنا، فكان الجرم عظيماً، والظلم كبيراً؛ فكان لذلك آثار كبيرة بالغة الضرر، وفظيعة في مستوى الإجرام، كذلك نرى دولاً كثيرة من الكافرين والمنافقين وكيانات كثيرة تتعاون في ظلم الشعب الفلسطيني، والكثير من الأنظمة العربية هي تساهم في الظلم للشعب الفلسطيني بشكلٍ أو بآخر، أمَّا الذين دخلوا في التطبيع فأصبحوا يتعاونون بشكلٍ مباشر في العدوان على الشعب الفلسطيني، وبالإضرار بالشعب الفلسطيني.

التعاون في الإثم والعدوان على أي مستوى: مستوى دول، كيانات، مجتمعات، وإلى أي مستوى يصل: على مستوى قبيلة معينة، مجتمع معين، محرمٌ شرعاً، ولا يجوز أبداً، لا بدافع عصبية، ولا بدافع أطماع وأهواء، ولا بدافع روابط بأي شكلٍ من الأشكال، التعاون على الإثم وزره كبير وضرره كبير، والتعاون على العدوان وزره كبير وضرره كبير.

على الناس أن يتعاونوا على تقوى الله، للالتزام بتوجيهات الله، لتنفيذ تعليمات الله "سبحانه وتعالى"، في أي أمة، في أي مستوى، في أي كيان، في أي مجال، في أي عمل، يكون هذا المبدأ هو المبدأ الأساسي الذي يضبط جهدك مع الآخرين، تعاونك مع الآخرين، علاقتك مع الآخرين، أن تكون في إطار البر والتقوى.

وألَّا تتعاون معهم أياً كانوا، أصحابك، حزبك، جماعتك، قبيلتك، أمتك، بأي مستوى كان، أصدقاؤك، أن يضبط تعاونك معهم هذا الضابط: على البر والتقوى، وألَّا تتعاون معهم على الإثم والعدوان، وأياً كان الذي تتعاون معه، بأي اسم، بأي صفة، لا تتعاون مع أحد على الإثم والعدوان، اتسعت حالة التعاون أو قصرت، هي خطيرة عندما تكون على الإثم والعدوان.

هي مهمة، ومثمرة، ومباركة، وإيجابية، وأجرها عظيم، وفضلها كبير، ونتائجها عظيمة، ويد الله مع الجماعة، عندما تكون في البر وعلى البر والتقوى؛ لأن الجرم كبير في التعاون على الإثم والعدوان.

ختمت الآية المباركة بقول الله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: من الآية ٢]، الله شديد العقاب، إذا كان التعاون على الإثم والعدوان يجعل من يتعاونون عليه أشداء في جبروتهم، في بطشهم، ويجعل التعاون على الإثم فاعلاً أكثر، منتشراً أكثر، فشدة العقاب من الله "سبحانه وتعالى" هي الجزاء، هي الجزاء، ولذلك يجب علينا أن نتنبه لخطورة التعاون على الإثم والعدوان في كل شيء، في كل المجالات.

حتى في مواقع التواصل، ما أكثر ما يحصل التعاون فيها على الإثم وعلى العدوان، يأتي من يغرد ليهاجم شخصاً معيناً، قد يفتري عليه، قد يفرط في موقفه منه، فتأتي تباعاً لذلك الكثير من التغريدات المؤيدة، أو كذلك في إثم معين، فيأتي من يؤيد، ويشترك ويساهم، أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي من أكثر ما يحصل فيه التعاون على الإثم والعدوان، ويتحمل الكثير من خلال ذلك من الأوزار والذنوب، التي تبطل أعمالهم، وتحبط أعمالهم الصالحة، قد يحبط الإنسان حتى صلاته، وصيامه، وأعماله الصالحة، وأصبحت أيضاً من الميادين التي لابدَّ فيها من التعاون على البر والتقوى، وتنسيق هذا التعاون؛ حتى يكون الحضور فيه حضوراً أقوى، وحضوراً فاعلاً، وإيجابياً، ومؤثراً، ونافعاً. [المحاضرات الرمضانية ١٤٤٣]

المبادرة و المسارعة

يقول الله سبحانه وتعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}(آل عمران١٣٣-١٣٤) المسارعة معناها: المسابقة، عندما يقول: {سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ} ليست المسارعة معناها نسابق، نسابق سبَق؛ أن المغفرة موجودة هناك، والجنة هناك مطروحة نسابق إليها!.

نسارع: أي: نبادر إلى الأعمال التي بها نستحق المغفرة، و بها نستحق الجنة. المبادرة إلى الأعمال الصالحة، يكون الإنسان سبَّاق، مبادر، ما يكون فيه تثاقل، وكل ما ذكر من صفات المتقين يوحي بأن هذه هي من صفات المتقين: المبادرة، المسارعة إلى الخيرات.

قضية المبادرة، قضية المسارعة هي شيء مهم في الإسلام، شيء مهم، وفي ميادين العمل للإسلام، والصراع في مواجهة أعداء الله، تجد المبادرة لها أهمية كبرى جداً؛ ولهذا جاء القرآن بعتاب شديد، وسخرية ممن يتثاقلون: {مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ}(التوبة٣٨) تباطؤ، زحزحة، وممكن يحصل التثاقل عند الناس في الأعمال الصالحة ولو عند واحد انه مستعد، سيقوم، سيعطي من ماله، سيسرح يجاهد، سيقوم بالعمل الفلاني، لكن ببطء، وتثاقل.

عندما يدعوهم إلى الجهاد، وكان العادة أن يعسكروا، أو يحدد مكاناً معيناً يجتمع الناس فيه لينطلقوا بعدما يجتمعوا، وقد يكون كثير من الناس عنده استعداد أنه يخرج [لكن بقي معي باقي عمل، عاد معي حاجة من عند فلان باحتاج اسرح لها، ومتى ما غد إن شاء الله با نرجع نجاهد] بطء، تثاقل، [وعاد معي باقي شغل في حديقة نخل، أو في مزرعة، أو عاد معه مسقاة يريد يكملها]!.

مع أنه قد حصل استنفار، والاستنفار معناه: الدعوة إلى الخروج بسرعة، مبادرة، {مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ} والقائل من هو؟ محمد (صلوات الله

عليه وعلى آله) رسول الله {اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ}(التوبة ٣٨) {انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً}(التوبة٤١).

أليس هذا أمر بالمبادرة، والمسارعة، هكذا؛ لأنه هذه الصفة مهمة جداً بالنسبة للمسلمين، هي الصفة التي تجعلهم هم السباقين، وهم سادة الأمم، تجعلهم هم أصحاب السبق في كل ميادين العلم، والمعرفة، في كل مجال من مجالات الصناعة، من مجالات الزراعة، وكل المجالات مثل: الطب، والهندسة، وغيرها، لكن مسألة التثاقل، التباطؤ، هي التي تؤخر الأمم، وتؤخر الناس ما يعرفوا أشياء كثيرة، فيسبقهم الآخرون.

فكان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، كانت صفة المبادرة، المسارعة، من أبرز الصفات لديه، لا يوجد عنده تثاقل، ولا تردد، ولا ترجيحات، ولا [عسى ما بو خلة، عسى] كان لديه طبيعة المبادرة.

في غزوة [تبوك] استخدم هذا الجانب، جانب المبادرة، وكان جانب المبادرة هذا هو الذي جعل الرومان - وهم أكثر قوة، وأكثر عدداً - يتراجعون، ويقررون عدم المواجهة مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأنه حرك الناس.

عندما بلغه بأنهم قد تجمعوا في الشام، يريدون أن يهجموا على بلاد الإسلام حرك الأمة، والقرآن حركهم أيضاً بآيات ساخنة، يخرجون حتى وإن كانوا[في وقت شدة]، حتى عندما صادف وقت شدة، وقت قلة ثمر، أو الثمر ما قد حصل. ما قال ننتظر حتى ينضج التمر، والثمار تحصل حتى يكون لدينا قدرة أننا نمول نفوسنا، ونخرج.

لا بد أن يخرجوا، وبادر هو بالزحف، وانطلق إلى تبوك، وبين تبوك وبين المدينة حوالي [٧٥٠ كيلوا]! يعني: دخل هو إلى أقرب منطقة من المناطق في بلاد الشام، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومعه ثلاثين ألف، قد حشدهم من الناس جيد وفسل، هيا يخرجون.

هكذا كانت سيرة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان رجلاً قرآنياً، رجل يتحرك بحركة القرآن، يجسد القرآن، يفهم معاني القرآن، وغايات القرآن، ومقاصده، وأساليبه، ومنهجه.

في قضية المال جربنا هذه، جربنا هذه مع المشاريع، والمساهمات، يكون كثير من الناس مستعد أن يدفع، لكن عنده سيدفع [بعد غد، أو إن شاء الله يوم

الخميس سألقِّيه أو...] مجرَب، كان يضيع علينا أحيانا شهر كامل وواحد منتظر، أو شهرين حتى يتجمع المبلغ، وهم مستعدين، لكن التثاقل، التثاقل يضيِّع عليك وقت كثير، ويضيع فرص كثيرة أخرى [عسى برجع ألقاه يوم الخميس، أو برجع إن شاء الله أعطي فلان أو بقي معي أو...].

صفة المبادرة في كل شيء مهمة جداً، المبادرة إلى الأعمال الصالحة، حيث جعلها من صفات المتقين، ومن أهم ما أثنى بها على أوليائه: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} (الأنبياء٩٠) كانوا يسارعون في الخيرات، وفي آية أخرى: {فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ}(البقرة١٤٨).

بعد ما يقول في صفات المتقين، أول صفة مهمة، وصفة أيضاً ما لم تكن مطبوعة بطابع المسارعة أيضاً تفقد كثيراً من إيجابياتها، وثمارها، عندما قال: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء} هي أيضاً توحي بأنهم ينطلقون في مجالات الإنفاق بمبادرة، بسرعة، لا يوجد فيهم تثاقل، [وساعة العون]؛لأن هذه القضية تفقد الأمة أشياء كثيرة.

مثلاً تأتي كما كان يحصل في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) حركة جهاد، فيدعو إلى الإنفاق، وكل واحد جاء بقليل اليوم، والثاني جاء، وبدا مجموعة وجايوا بقليل، ومجموعة ثاني يوم، ومجموعة ثالث يوم، ما هم سيضيعون وقتاً كثيراً؟ ما دام أنت ستعطي على أساس بعد غد، أو يوم الأربعاء، أو يوم كذا، فبسرعة؛ حتى تتحرك المسألة.

كم سيأخذون من وقت! حتى يتوافد أهل المدينة، ويكمِّلوا، ويتجمع منهم، وكل يوم ما بيبدي إلا مجموعة من الأشخاص، يتجمع قليل تمر، أو قليل حب، ما هم سيتأخرون على أقل تقدير أسبوع؟ والصراع يستدعي المبادرة.

لا يحسم الموضوع في الحروب، في المواجهة إلا المبادرة، عنصر المبادرة أهم عنصر، المسارعة، تكون أنت صاحب السبق، تكون أنت سيد الموقف، لكن متى يمكن أن تكون سيد الموقف؟ إذا كان من حولك كلهم مبادرين، عندهم حركة المبادرة، المسارعة.

فالآيات هذه كلها توحي بأن المؤمنين، المتقين، وهم من وصفوا بأنهم ينفقون في السراء والضراء، أنهم ينفقون بمبادرة، ومسارعة.

فالآية هذه من قوله: {سَارِعُوا} طبعت صفات المتقين إلى أنهم فعلاً يبادرون، ويسارعون إلى ما وصفوا به، ولهذا عندما قال بعد: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ}(آل عمران١٣٥) أليست هذه مبادرة؟

{ذَكَـرُواْ اللّـهَ فَاسْـتَغْفَرُوا}، ترتيـب الغايـة في {ذَكَـرُواْ اللّـهَ} بعـد الـشرط، أيضـاً الإتيـان بالفاء {فَاسْتَغْفَرُوا} تدل على أن عندهم روح المبادرة، المسارعة.

ولهذا كانت المسارعة في الواقع تبدو أنها مطلوبة في معظم الأعمال، عندما قال: {سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ} ألم يطبع المسارعة في كل ما تحصل به على المغفرة، في كل ما تستوجب به المغفرة من الأعمال الصالحة أن تكون مسارعاً إلى ما تستوجب به المغفرة من الأعمال الصالحة، ومسارع إلى ما تستوجب به المغفرة من التوبة، إذا حصل منك أي خطيئة، ثم تكون مسارعاً إلى ما تستوجب به الجنة من الأعمال.

فتجـد أن الـشيء المطلـوب في الغالـب بالنسـبة إلى الأعـمال الصالحـة هـو المسـارعة، هو المبادرة. [المحاضرات الرمضانية ١٤٤٣]

المسؤولية.. الجانب الأساس لتحقق التقوى

عندمـا نعـود إلى القـرآن الكريـم فـان جانبـاً رئيسـياً ليـس هامشـياً وليـس ثانويـاً لا يدخـل في دائـرة المسـتحبات أو في دائـرة المباحـات بـل مـن أوجـب الواجبـات وجانـب رئيسي للغايـة لا يتحقـق الإيمـان إلا بـه ولا تتحقـق التقـوى إلا بـه هـو جانـب المسـؤولية، المسـؤولية جانـب أسـاس لا يمكـن للإنسـان بمزاجـه برغبـة نفسـه أو بنظرتـه القـاصرة أن يهمـش هـذا الجانـب أن يشـطبه مـن التزاماتـه الإيمانيـة والدينيـة فيقـول أنـا يكفينـي مـن الإيمـان ويكفينـي مـن الديـن أننـي اشـهد الشـهادتين وأصـلي الخمـس الفرائـض وغيرهـا البعـض مثـلا يهتـم بالبعـض مـن النوافـل والمسـتحبات وأننـي أزكي مـع أن الكثـير مفرطـون في مسـألة الـزكاة وسـنأتي إن شـاء لـه للحديـث عـن موضـوع الـزكاة بـإذن اللـه ضمـن مسـار الحديـث عـن الجوانـب الإيمانيـة والتقـوى وإمـا الكثـير يأكلهـا أو لا يخـرج إلا القليـل منهـا والكثـير يخرجهـا في غـير مصارفهـا الشرعيـة التـي حددهـا اللـه في كتابـه الكريـم كمصـارف شرعيـة مجزيـة، إخـراج الـزكاة فيهـا مجـزٍ وإلا فغـير مجـزٍ إذا اخـرج لغيرهـا و يقـول أنـا أحـج هـذا لمـن اسـتطاع إليـه سـبيلاً والقليـل يسـتطيعون في هـذا الزمـن والبعـض حالتهـم ميسـورة وظروفهـم مهيـأة ومتيسـرة يحجـون كثـيراً نافلـة أيضـاً ويعتمـرون كثـيراً نافلـة أيضـا والبعـض لهـم شـكل آخـر مـن أشـكال الحـج والعمـرة فيـه علاقـات وفيـه ارتباطـات وفيـه أشـياء ثانيـة "حـج وبيـع مسـابح" - مثـل مـا يقولـون - ويقولـك خـلاص أنـا أيضـاً ألتـزم في واقـع حيـاتي التزامـات معينـة في مـا يتعلـق بالمعـاصي، أنـا لا أقتـل النفـس المحرمـة ولا أشرب الخمـر ولا أرتكـب والعيـاذ بالله جريمـة الزنـا ولا افعـل ... يعـد لـك مثـلاً خمـس خصـال مـن المحرمـات وخمـس خصـال مـن الواجبـات

يعني اختصار البعض بيساعده الاختصار بارع في مسألة الاختصار للدين بكله، يقلك أنا باعمل خمس التزامات في هذه الحياة واجتنب خمس من المعاصي ولا ثلاث ولا أربع يزهد له على ما يقولوا في التعبير المحلي.

أما في بقية شؤون حياته فهو ذلك المنفلت بكل ما تعنيه الكلمة منفلت بشكل تام هناك أيضاً جانب رئيسي الذي هو جانب المسؤولية .. المسؤولية جانب رئيسي مسؤوليتك وهو عنوان واسع يدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، العمل لإقامة الحق، العمل على التصدي للباطل والظلم والطغيان والفساد والمنكر، وجانب مهم للغاية فنلحظ في النصوص القرآنية سواء في حديثنا اليوم أو في حديثنا القادم كذلك عن غزوة بدر أو ما بعده سلسلة حلقات نتحدث فيها أو إن شاء الله محاضرات عن هذا الجانب عن كيف أعطاه القران الكريم اهتماماً كبيراً جداً موقعه في النصوص الدينية في التأكيد الإلهي في الأمر به من الله سبحانه وتعالى في الوعد والوعيد المتصل به موقعه موقع كبير جداً لا يقل أهمية عن أي مسالة أخرى من المسائل الأساسية الدينية والإيمانية، كان على هذا النمط كما ذكر الله سبحانه وتعالى في القران الكريم من الحذف لجانب المسؤولية والاكتفاء بالانتماء الشكلي للإسلام ليكون هو مجزٍ إيمانيا، كان رؤية للبعض حتى في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وذكر لنا القران الكريم قصة الأعراب والأعراب هم مجاميع من البدو آنذاك اتجهوا إلى رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله ليعبروا عن احتجاجهم على جانب المسؤولية بأنهم لم يكونوا يرغبون فيه يعني كانوا يريدون الاقتصار على تلك الطقوس الدينية يؤدونها كطقوس دينية فقط بعيداً عن ثمرتها عن أثرها وألا يتحملوا أي مسؤولية ولا في جهاد ولا في أمر بمعروف ولا نهي عن منكر بالذات الجهاد الذي هو عنوان رئيسي.

[ملزمة وسارعوا الى مغفرة من ربكم]

البطاقة التعريفية الصحيحة للعدوان

ما نبدأ به .. هو الحديث عن هوية هذا العدوان وتقديم البطاقة التعريفية الصحيحة له: العدوان هذا منذ بدايته كيف بدأ؟ ومن هو المهندس، والمخطط، والمقرر، والمستفيد؟ ومن هو المنفذ؟ كلنا يعلم أنَّ هذا العدوان بدأ في منتصف الليل، قبل ستة أعوام، وبدأ بطريقةٍ غادرة، فالعنوان لبدايته هو الغدر، وبصمته منذ الغارة الأولى هي الجريمة.

الغدر هو السمة التي اتسم بها هذا العدوان من أول بدايته، ومن أول غاراته، كانت تلك الغارات، وكان بداية هذا العدوان بهذه الطريقة الغادرة، من أطراف لم يفعل بها الشعب اليمني شيئاً، لم يعتد عليها، لم يلحق بها الأذى، لم يستهدفها، ليس لها ما يبرر عدوانها عليه.

الحالة القائمة ما بين اليمن وجاره (جار السوء) النظام السعودي، هي كانت وفق اتفاقات سابقة حالة سلام، منذ اتفاقية الطائف، إلى اتفاقيات فيما بعد، اتفاقيات أخرى، ولم يصدر أيضاً من هذا البلد تجاه الإمارات، والسلطة في الإمارات، ما يبرر أن تأتي من هناك، لتعتدي وتشارك في هذا العدوان، ليس هناك ما يبرر لمن وقفوا خلف هذا العدوان ما فعلوه بحق هذا الشعب، لا الأمريكي، ولا غيره، فالحالة كانت حالة اعتداء غادر بكل ما تعنيه الكلمة، من دون أن يكون هناك أي ملابسات، أو مشاكل، أو سوابق، ينتج عنها اصطدام، أو اشتباك، أو معركة، أو حرب، غدراً، تفاجأ به أكثر أبناء هذا الشعب، ومثَّل صدمة للكثير من أبناء هذا البلد عندما استيقظوا في اليوم الثاني، والبعض في نفس تلك الليلة، نتيجةً لهذا العدوان.

على مستوى شعوب وبلدان أمتنا العربية والإسلامية، لربما الكثير، أو الأغلب، أو الكل، كان متفاجئاً بما حدث؛ لأنه- كما قلنا- لم يكن هناك أبداً ما يبرر هذا

العدوان، الغدر والمفاجأة تمثِّل شهادة واضحة على أنه عدوان بكل ما تعنيه الكلمة، وعلى أنه لا يمتلك أبداً أي مبررٍ مشروع.

ثم الإجرام، الإجرام الذي هو طابع لهذا العدوان منذ بدايته وإلى اليوم، أول غارة من غارات هذا العدوان كان ضحاياها من المدنيين، واستهدفت الأحياء السكنية في صنعاء، بدأ بجريمة كبيرة، جريمة مروعة، واستهدفت الأهالي، المدنيين في مساكنهم، وهم نائمون، ولربما لولا الإعلان في تلك الليلة عن هذا العدوان ومن يتبناه، لبقي السؤال في تلك الليلة قائماً دون جواب: من هو الطرف الذي ينفِّذ هذا العدوان؟ هذا يشهد- بحد ذاته- على أنَّ شعبنا بريء، وعلى أنه هو المظلوم، وليس الظالم، وعلى أنه المعتدى عليه، وليس هو بالمعتدي.

تلك الليلة، بعد تلك الغارات وبداية العدوان، لولا أنَّ طرفاً معيناً تبنى هذا العدوان وأعلن عنه؛ لبقي الناس يتساءلون، في اليمن، وفي بقية بلدان وشعوب أمتنا: من هو الذي نفَّذ هذه الغارات؟ لأنه ليس هناك مشكلة كانت قائمة ينتج عنها حرب، أو يتوقع عنها هجوم على بلدنا، ولذلك حتى في حسابات السياسيين والإعلاميين، الكثير منهم لم يكن يتوقع شيئاً كهذا، والكثير تفاجأوا بذلك، هذا من الشواهد الواضحة التي- كما قلنا- تبين من هو المعتدي والمعتدى عليه، والظالم والمظلوم.

الإعلان من واشنطن.. وتقاسم الأدوار

عندما أتى الإعلان، أتى الإعلان من واشنطن، وكان المعلن سعودياً: (عادل الجبير)، عادل الجبير، معبِّراً عن النظام السعودي، أعلن من واشنطن، قبل أن يكون الإعلان من الرياض، أعلن من واشنطن التبني لهذا العدوان، وهذا الإعلان بهذه الطريقة: معلن سعودي من واشنطن، يكشف ويبين هويته هذا العدوان ومن وراءه، وهذه حادثة غريبة، لربما كان هناك تدخل إلهي لفضح من ينفِّذ، ومن يقف خلفه، ومن خطط لهذا العدوان.

السعودي تبنى هذا العدوان، وأعلن أنه يقود التحالف في هذا العدوان، ولكنه أعلن من واشنطن؛ ليتجلى أنه منفِّذ لهذا العدوان تحت إشرافٍ أمريكي، وليتضح، عندما كان الإعلان من واشنطن، قبل أي منطقة أخرى، بما فيها قبل أن يكون من الرياض، أو من أبو ظبي... أو من أي عاصمة أخرى، هذا يوضح بشكلٍ كافٍ أنَّ الأمريكي هو يتبنى في الواقع هذا العدوان، وأنه يشرف عليه

بشكلٍ كامل، وأنه يقف وراءه بكل ما تعنيه الكلمة، وليس وحده، هناك إلى جانب الأمريكي الإسرائيلي والبريطاني، إلَّا أنَّ الأمريكي عادةً ما يكون هو كبيرهم، الذي علمهم المكر، وعلمهم الكفر، وعلمهم الشر، ويدير عملية الاستكبار والظلم والاستهداف لأمتنا بشكلٍ عام.

فنحن نعرف ما قبل هذا العدوان، كان هناك تحريض من قبل العدو الإسرائيلي على الاستهداف لليمن، وحديث عدائي جداً عن اليمن، وكان معلناً، وكان يتحدث بعضٌ من المسؤولين في كيان العدو الإسرائيلي، وعلى رأسهم (بنيامين نتنياهو) نفسه، كان يتحدث بعدائية، وبتحريض كبير ضد الشعب اليمني، وضد ثورته الشعبية المنتصرة المظفرة، التي أعادت له الاستقلال والحرية، فكان العدو الإسرائيلي يتحدث بانزعاج شديد من تلك التطورات التي كانت لصالح شعبنا، وكان يتحدث بانزعاج شديد، وعادةً الإسرائيلي عندما يكون منزعجاً جداً من شيء، هو يتجه للمؤامرة، وللمكر، وللاحتيال، وللتدابير العدائية، هو يعمل بشكل عدائي، وليس فقط يعبَّر عن انزعاجه، ويعبِّر عن قلقه، ثم يهدأ في مكانه، لا.

ولذلك لا شك أنَّ هناك دور إسرائيلي، ودور بريطاني، ودور أمريكي مُشتَرَك، في هندسة هذا العدوان، وفي التخطيط لهذا العدوان، وفي إعداد هذه المؤامرة، لكن لكي يتفادى ثلاثتهم (الأمريكي، والإسرائيلي، والبريطاني) الكلفة المتوقعة لهذا العدوان، والتبعات السلبية له، اختاروا أن يكون المنفذ طرفاً آخر، طرفاً يتحمل كل الكلفة، ويقدم لهم هم الأرباح في ذلك؛ لكي يكونوا طرفاً يستفيد، ولا يخسر، يكسب، ولا يقدِّم شيئاً بالمجان، فهم اختاروا أن يكون هذا الطرف طرفاً يمتلك الإمكانات اللازمة على المستوى المادي، ويمتلك أيضاً بعض الإمكانات والظروف والعوامل التي تساعد على تنفيذ هذه الجريمة الكبيرة بحق شعبٍ عظيم، هو الشعب اليمني المسلم العزيز.

اختاروا السعودي، ليكون هو من يتبنى عملية التنفيذ، ومن يباشر التنفيذ، من يدفع الكلفة، من يتحمل التبعات، واختاروا معه إلى جانبه الإماراتي ليكون كذلك، وتقبَّل السلطة السعودية والنظام السعودية تقبَّل هذا الدور، وهم يعرفون كيف يجعلونه يتقبل،

فهذه هي البطاقة التعريفية الحقيقية لهذا العدوان: أنَّ المصمم والمخطط والمهندس لهذا العدوان، هو الأمريكي، والإسرائيلي، والبريطاني، وأنَّ الذي يشرف عليه هو الأمريكي، وأنه بقي دور للإسرائيلي وللبريطاني، في المساهمة في هذا

العـدوان، والاشـتراك فيـه، بأشـكال ووسـائل يمكـن أن نتحـدث عـن البعـض منهـا أيضاً في سياق هذه الكلمة.

أضـف إلى ذلـك: أنَّ المنفذ هو السـعودي بشـكلٍ رئيسي، معه الإماراتي؛ أمَّا الباقون فهم مسـتأجرون، البقيـة مسـتأجرون، سـواءً مـن كانوا بشـكل أنظمـة، جيوش، جماعـات، وبمن فيهـم أيضـاً داعـش والقاعـدة، والمتورطـين في الخيانـة مـن أبنـاء بلدنـا، هـم مـن تـم استئجارهم، دفعت لهم مبالغ مالية، طُلِب منهم أن يشتركوا في إطار هذا الدور.

مسـار العـدوان منـذ بدايتـه وإلى اليـوم، هـو مسـتمر ومتحـرك وفـق هـذه التشـكيلة، ووفـق هـذه الأدوار: الأمريـكي يواصـل دوره كمـشرف، ويقـدم الغطـاء الـلازم لهـذا العـدوان، عـلى المسـتوى الـدولي، وفي مجلـس الأمـن، وفي الأمـم المتحـدة، وبمسـتويات متعـددة، الإسرائيـلي يسـتمر في إسـهامه ومشـاركاته بطريقـة أو بأخـرى، البريطـاني كذلـك يواصـل دوراً سـيئاً وإجراميـاً ونشـطاً في هـذا العـدوان، والاسـتهداف لشـعبنا، السـعودي يواصـل دوره ويقـود عمليـة التنفيـذ، ويبـاشر هـذه العمليـة، معـه الإمـاراتي إلى جانبـه، ويواصـل الآخـرون، مـن هـم مرتزقـة، ومـن هـم مسـتأجرون، عملهـم في إطـار هـذا الدور نفسه، في إطار هذا الدور نفسه.

النظـام السـعودي كيـف تـورَّط وتقبَّـل هـذا الـدور، وهـو دور خطـير جـداً، نتـج عنـه تكاليـف هائلـة جـداً، ونتـج عنـه أيضـاً تبعـات سـيئة جـداً عليـه، باتـت الآن واضحـة بشـكل كبـير؟ هنـاك عـدة عوامـل دفعـت بالسـعودي، ودفعـت بالإمـاراتي معـه، إلى تقبـل هـذا الـدور، بالرغـم أنهـم لم يكونـوا بحاجـة إلى أن يتورطـوا في هـذه الورطـة الكبـيرة، والجريمـة الشـنيعة بحـق شـعبٍ عـربيٍ مسـلم، لم يـأت مـن جانبـه وليـس في واقعه ما يبرر عدوانهم عليه.

أبرز العوامل التي دفعت النظام السعودي و النظام الإماراتي لتبني دور التنفيذ

من أبرز العوامل التي دفعت بهم إلى تقبل هذا الدور، وارتكاب هذه الجريمة:

أولا : ارتباطهـم بالقـرار الأمريـكي، والسياسـات الأمريكيـة، وتبعيتهـم لأمريـكا، الـكل يعـرف عـن النظـام السـعودي، وعـن النظـام الإمـاراتي، التبعيـة للأمريـكي، والارتبـاط بـه، عـلى مسـتوى القـرار، عـلى مسـتوى السياسـات، عـلى مسـتوى التوجهـات، لربمـا في كل الملفـات المتعلقـة بمنطقتنـا وبشـعوب أمتنـا، يتجهـون عـلى هـذا الأسـاس، هـم رتبـوا وضعهم ودورهم الإقليمي على هذا الأساس.

ثانيـاً: اعتمادهـم بشـكلٍ كبـير، وبثقـةٍ عميـاء، عـلى المعلومـات، والتقديـرات، والتحليـلات، التـي تأتيهـم مـن جانـب الأمريـكي، وفي داخـل الجانـب الأمريـكي مؤسسـات

ذات علاقة أساسية بالعدو الإسرائيلي، مثلاً: هم يعتمدون على ما يأتيهم من المخابرات الأجنبية- وفي مقدمتها المخابرات الأمريكية- من معلومات تقدِّم لهم تصورات خاطئة عمَّن هو العدو، عن منابع الخطورة، عن مصادر تشكل خطورة عليهم، أو عن أحداث وتطورات تشكل خطورة قد تكون وهمية عليهم؛ وبالتالي يرسخون لدى النظام السعودي، ولدى النظام الإماراتي، أنَّ الذي يشكل خطورة عليهم هو هذا الطرف وهذا الطرف، وأنه سيستهدفهم، وأنه يجب الخلاص منه، يجب الاستهداف له، فيعتمدون بشكل رئيسي، فهذا يبعدهم عن الحقائق، ويبعدهم عن الواقع، ويجعلهم متقبلين للأكاذيب والأوهام، وعملية التلبيس والخداع التي تدفعهم أكثر وأكثر، ليعتمدوا على تصورات خاطئة، ويبنوا عليها مواقف خاطئة، مواقف خاطئة لا داعي لها، لا مبرر لها، لا حاجة لها، ولا يستفيدون منها، لا تحقق لهم لا أمناً، ولا استقراراً، وليست في مصلحتهم بأي حالٍ من الأحوال، فهم يبنون مواقفهم، ويحددون سياساتهم، ويبنون تصوراتهم عن المخاطر والتحديات، وجهات الخطورة، بناءً على تلك المعطيات التي تقدَّم لهم من تلك الجهات، وينظرون إليها بإكبار وغرور، [هذه دراسة من مركز كذا للدراسات]! مركز أمريكي، العاملون فيه من الصهاينة اليهود، فيعتمدون عليه كجهة استشارية، يعتمدون عليه في معلومات، وفي استشارات، وفي تقارير، وفي استنتاجات، وفي تحليلات؛ فيصبحون ضالين وتائهين بناءً على ما يقدمه لهم العدو، الذي لا يريد لهم أي خير؛ وإنما يريد أن يستغلهم.

ثالثا : من الدوافع التي دفعت بكلٍ من النظام السعودي، والنظام الإماراتي، إلى التورط في هذه الورطة الكبيرة والشنيعة: هي الطموحات المراهقة، كلاهما راهن ولديه طموح كبيرة على دور وفي دور إقليمي واسع بالوكالة، كلٌّ منهما يسعى أن يكون وكيل أمريكا في المنطقة، كلٌّ منهما يريد أن يكون حتى الوكيل الحصري لأمريكا في بلدان وشعوب أمتنا العربية والإسلامية، وأن يكون شرطيها، الذي تعتمد عليه في بلداننا، لتنفيذ المؤامرات والمخططات، ليس لكلٍ منهما أي مشروع ذاتي حقيقي وصالح؛ إنما كلٌّ منهما صمم وضعه ودوره في إطار الدور الأمريكي والإسرائيلي والغربي، كلٌّ منهما لا يؤمن بحرية أمتنا واستقلالها، وأنَّ بإمكانها أن تكون أمةً حرةً، عزيزةً، مستقلةً، وهذا كان له أثر سلبي جداً، فأتت هذه الطموحات المراهقة لأدوار إقليمية لمصلحة أمريكا، مع استبساط لهذه المهمة، النظام السعودي، والنظام الإماراتي، كلٌّ منهما استبسط هذه المهمة، وتوقع نجاحها، بالنظر إلى الظروف التي كان يعاني منها شعبنا في بداية هذا العدوان، على مستوى وضعه السياسي والاقتصادي، ووضعه الداخلي، ومشاكله الكبيرة

في وضعه الداخلي، ومن جانب ما يمتلكانه من إمكانات مادية ضخمة، ومن أيضاً ما يتوفر من مساندة غربية ومن إشراف أمريكي، فهذا جعل كلاً منهما يتصور أنه سيحقق انجازاً كبيراً يعزز نفوذه ودوره الإقليمي، وأنه سيحقق مكاسب كبيرة يخرج بها من هذه الحرب ومن هذا العدوان، وأنه سيخرج بإنجاز كبير وسريع، وستكون نتائجه الإيجابية الكبيرة لكلٍ منهما بما يعوِّض عن التكاليف، ويغطي على التبعات، اتضح- في نهاية المطاف- أن كل هذه التصورات كانت خاطئة، خاطئة، وإلى الآن لم يعتبر كلٌّ منهما، بعدما تجلى كل شيء.

طبعاً استمر العدوان على هذا الأساس، يعني: هذه هي البطاقة التعريفية الصحيحة المعروفة عنه: عدوان تشرف عليه أمريكا، لإسرائيل وبريطانيا فيه دور معين، تنفذه السلطة السعودية، ومعها السلطة الإماراتية، وتستأجر في عملية التنفيذ هذه أنظمة، وجيوش، وجماعات، منها داعش والقاعدة، ومنها المتورطون في الخيانة من أبناء بلدنا، هذا هو الواقع، ويتعامل العالم على هذا الأساس، يعني: سياسياً، في الغرب، في أمريكا، السياسيون، الإعلاميون، مراكز الدراسات والأبحاث، النظرة في الغرب، النظرة في الشرق... الكل يعتبر هذه- بالدرجة الأولى- حرب سعودية، حرب سعودية على اليمن، وعلى مستوى المسار التنفيذي، الذي يقود هذه العمليات من موقع القيادة التنفيذية، هو السعودي بشكلٍ واضح، غرف العمليات في كثيرٍ من المحاور، حتى في المحافظات المحتلة، من يسمونه بقائد القوات المشتركة البرية، من- كذلك- يباشرون أدوار معينة على المستوى السياسي، الكثير من الترتيبات، حتى من يطلب منهم ويستقطبون للمشاركة وللخيانة لبلدهم من أبناء بلدنا يتم استدعاؤهم إلى السعودية للدخول إلى هناك، واللقاء بمسؤولين سعوديين، وضباط سعوديين، وتتم الاتفاقيات، والمقاولات، والإغراءات المادية، وتقديم الصفقات من الجانب السعودي.

أضف إلى ذلك: على المستوى الإعلامي، الناطق الإعلامي لتحالف العدوان هو سعودي، هو الآن المالكي، يتغير بين آونةٍ وأخرى، وهكذا في بقية المسارات والمجالات، واضح من يدفع الأموال، من يتجه بدور تنفيذي أساسي لهذا العدوان، الحركة في الميدان، التمويل، السلاح، الآلة العسكرية التي تباشر هذا العدوان، حتى الحركة الميدانية، وحتى الأعلام في العمليات البرية، عندما وصلوا إلى مأرب، ووصلوا إلى سد مأرب، رفعت ثلاثة أعلام: العلم السعودي، والعلم الإماراتي، والعلم البحريني، وغاب العلم اليمني! عندما تحركوا نحو الساحل الغربي كان العلم الإماراتي هو أكثر توفراً وتواجداً من أي أعلام أخرى، فهكذا المسألة واضحة.

محاولات تقديم بطاقة مزيفة عن هذا العدوان

مع كل هذا الوضوح، مع كل هذا الوضوح، في بعض الأوقات وفي بعض المحطات تأتي محاولات لتقديم بطاقة مزيفة عن هذا العدوان، لها صورة مختلفة وعناوين مختلفة، فيأتي الحديث عن أنَّ هذه الحرب هي حرب يمنية يمنية، الذي يجري في اليمن هو مشاكل داخلية، واحتراب داخلي بين أطراف يمنية، توجَّه إليها الدعوات أن تتوقف عن هذا الاقتتال، الذي تسبب بمآسي كبيرة، ومعاناة كبيرة للشعب اليمني، ويتوجه اللوم إليها: لماذا لا تراعي وضع شعبها، ويتوجه النصح إليها: بأن تكف عن ذلك، وأن تتعقل.

طبعاً هذه تأتي في حالات معينة، وأبرز شيء: عندما يكون هناك مأزق أخلاقي، مثلاً: عندما يصبح الرصيد الإجرامي المتراكم قد أصبح إلى درجة شنيعة جداً، ووصل صداه إلى كل الدنيا، وإلى مختلف البلدان، حينها تتحرك الأمم المتحدة وتوجِّه النداء لأهل اليمن: [أن يكفوا عن اقتتالهم الداخلي]، بعد أن تصل الجرائم إلى مستوى شنيع، وجرائم ارتكبها من؟ تحالف العدوان بآلاته، بإمكانياته، بعملياته المباشرة، يأتي اللوم لليمنيين، والحث لهم عن التوقف عن هذا الاقتتال.

عندما يشتد الحصار الخارجي على هذا البلد، وتعظم المعاناة، ويصل صدى هذه المعاناة وتصل مشاهدها المأساوية جداً إلى مختلف البلدان، وإلى الشعوب الأخرى، كذلك يأتي كلام من الأمم المتحدة، وأحياناً من الطرف الأمريكي، وأحياناً من الأطراف الأوروبية، وأحياناً حتى من السعودي نفسه، يقدم النصح واللوم لأهل اليمن: [لماذا تفعلون بأنفسكم هكذا؟ لماذا وصلتم إلى هذه المأساة الكبيرة بمشاكلكم؟ كفوا عن ذلك]! مغالطة عجيبة جداً يعني، وتجاهل للوقائع والأحداث الواضحة جداً.

عند المأزق الميداني والسياسي، عندما يكون هناك مأزق ميداني وتفشل عمليات أساسية لتحالف العدوان، ويصبح لديه مشكلة في أدائه العسكري، كذلك يتوجه من جديد بالنصح لأهل اليمن، ويعرض استعداده لأن يقوم برعاية المصالحة فيما بينهم، وأن يحل مشاكلهم هذه، التي لم تتوقف، وأصبحت مصدر إزعاج للجيران وبقية العالم.

عند السعي أيضاً لفرض أجندة الاستسلام، يعني: مع طول فترة الحرب أحياناً يحاول الأعداء أن يجرِّبوا ما إذا كان الأسلوب السياسي سيحقق لهم ما عجزوا عنه بالحرب، أو أن تكون ضغوط الحرب، وآثارها، وأضرارها، وأوجاعها، وآلامها، ومتاعبها،

قد أرهقت أبناء هذا الشعب، وهيأتهم لقبول فرض أجندة لصالح المعتدي الخارجي، وسيطرته على هذا البلد بغطاء سياسي، والغطاء السياسي لا بدَّ أن يكون فيه طرف بعنوان يمني، في مثل هذا الظرف يأتون بالمرتزقة والخونة من أبناء البلد ويقدمونهم، ويأتون بعنوان ما يسمونه بالشرعية ويقدمونه، ثم ينادون بالحوار، والأخذ والرد، والنقاش، واللقاءات، والجلسات.

في هذه الحالات الثلاث: عند المأزق الأخلاقي والإنساني، عند المأزق الميداني والسياسي، عند السعي لاقتطاف ثمرة العدوان وفرضة أجندة سياسية، يتم إخراج بطاقة أخرى غير البطاقة الأصلية تقدِّم تعريفاً مختلفاً غير واقعي نهائياً لهذه المشكلة، لهذا العدوان، ولهذه الأحداث.

تفنيد تلك البطاقة المزيفة للعدوان

طبعاً مع وضوح الحقيقة، لا بأس أن نشير يعني إلى بعض ما يفنِّد تلك البطاقة المزيفة:

أولاً: عندما نأتي إلى الإعلان: من الذي أعلن هذا العدوان؟ هل هو عبدربه؟ هل هو علي محسن؟ هل سلطة معينة في اليمن أعلنت هذه الحرب؟ هل طرف معين أعلن هذا الحرب، أم أنه السعودي الذي أعلن هذه الحرب؟ ومن أين؟ هل من صنعاء؟ هل من عدن؟ هل من مأرب؟ هل من محافظة يمنية، أم من واشنطن؟ ثم بعد أن أُعلن هذا العدوان، وبعد أن بدأ هذا العدوان، وبعد أن ارتكب الكثير من الجرائم، ألم يعلن عبدربه نفسه- من تجعلون منه قفازاً لهذا العدوان ولجرائمكم- من أعلن هو بنفسه في مقابلة مع قناة من قناواتكم: أنه تفاجأ بما حدث، ولم يكن على علمٍ به، يعني: ليس هو من طلب، ليس هو من أمر، ليس هو من أعلن، يعني: أنَّ طرفاً خارجياً أتى، وأعلن، وبدأ، وحارب، وفعل الجرائم، وارتكب الجرائم، ثم أتى ليقول: [لا، صاحب الحرب وصاحب المشكلة هو ذلك الطرف الآخر]! ويأتي إلى مرتزق وخائن لبلده ليجعله يعلن ويتبنى هذه الجريمة، لكن في وقتٍ متأخر، يعني: لم يحسنوا حتى الترتيبات لهذا العدوان، لم يجعلوا لها حتى الإطار الشكلي، الذي يمكن أن يمثل غطاءً أكثر، فبدأوا يفعلون كل شيء، ثم في نهاية المطاف يقولون: [لا، هذا الطرف]! ويغيبونه في أوقات كثيرة، ويبرزونه في أحيانٍ أخرى.

الإدارة: من يدير هذا العدوان؟

أيضاً الإدارة: من يدير هذا العدوان؟ كلنا يعرف، على مستوى التنفيذ، السعودي هو الذي يدير هذا العدوان، والكل من المتورطين في الخيانة من أبناء هذا البلد هم تحت إمرته، لا يمتلكون أي صلاحيات، ولا أي قرار، هم في موقع المستأجر، المرتزق، الخائن، العميل، المأمور، العبد، الذليل، الخانع، والذي ينفِّذ من هذا الموقع: من موقع الخيانة، والذلة، والاستعباد، ينفذ ما يُطلب منه، وما يُؤمر به، وأحياناً يهان، توجه إليهم الإهانات، والصفعات، والتوقيفات، والاحتجازات، وما إلى ذلك.

الغارات

الغارات: منذ أول غارة وإلى اليوم، وهي بالآلاف، أكثر من ربع مليون غارة جوية، هل هي بطائرات يمنية، نفذها طيارون يمنيون، أم أنها بكلها غارات أجنبية، طيارون أجنبيون، طائرات أجنبية، وتقلع وتأتي من مناطق ومواقع ومطارات تحت السيطرة المباشرة لتحالف العدوان؟

العمليات

العمليات: كل العمليات التي أطلقت بشكل رئيسي، كانت أيضاً بإدارة ومتابعة خارجية، وليست محلية.

الاعترافات

الاعترافات: المرتزقة في كثيرٍ من الأحيان يعترفون، يعترفون أنَّ الذي يحصل هو احتلال، وأنهم في حالة لا قرار لهم فيها، وواقع لا سيطرة لهم عليه، وإنما ينفِّذون ما يُؤمرون، وحصلت هذه الاعترافات من شخصيات كثيرة منهم، ممن هم باسم وزراء، وممن هم باسم قادة عسكريين... وممن هم بأسماء وعناوين كثيرة.

وضع المناطق المحتلة، والمحافظات المحتلة

وضع المناطق المحتلة، والمحافظات المحتلة: وضع شاهد على أنَّ الحالة هي حالة عدوان واحتلال خارجي، وأنَّ الذين تورطوا في الخيانة من أبناء هذا البلد، إنما هم في موقع الخيانة والاستسلام والتبعية للمعتدي الخارجي، الذي هو السعودي كمنفذ، والإماراتي كمنفذ، تحت إشرافٍ أمريكي، وبدورٍ إسرائيلي وبريطاني، هذه مسألة واضحة جداً يعترفون بها، وشواهدها قائمة في الساحة.

في المحافظات المحتلة الذي يسيطر على أولئك: على الخونة والمرتزقة بكل صفاتهم، لو كانت صفته رئيس، الاسم الذي يتسمى به، الصفة التي يقدمها ويزعمها، باسم رئيس، أو رئيس حكومة، أو وزير، أو محافظ، أو قائد عسكري، كلهم يخضع لأبسط ضابط سعودي يأتي ليديرهم في تلك المحافظة.

مثلاً: في مأرب الذي يدير الجميع: من هو باسم محافظ، من هم بأسماء قادة عسكريين، من هو باسم وزير دفاع، ضابط سعودي، هذا أمر معروف، مثلاً في عدن، مثلاً في مختلف المحافظات المحتلة، الحالة هي نفسها، الذي يدير الجميع، الذي يأمر الجميع، المنصوب فوق الجميع: هو إما ضابط سعودي، أو مسؤول سعودي، حتى في الجانب السياسي، السفير السعودي منصوب فوق عبدربه، عبدربه دون مستوى السفير السعودي، ودون مستوى أي ضابط سعودي، أحياناً يتم إبلاغه ببعض الأوامر والقرارات عبر ضابط استخبارات، يوجه إليه الأوامر، وهو ينفِّذ.

فيما يتعلق أيضاً بكل المنشآت الأساسية والحيوية والسيادية في المحافظات المحتلة يسيطر عليها الأجنبي (السعودي، أو الإماراتي) بشكل مباشر: المطارات، الموانئ، القواعد العسكرية، المراكز المهمة والحيوية، المنشآت النفطية- كثيرٌ منها- تحت سيطرتهم المباشرة، وتحت أعينهم ورقابتهم، أموالها، عائدتها كذلك، كثيرٌ منها يجبى إلى بنوك سعودية، أو بنوك إماراتية، ويتم حجزه، ولا يتم التصرف فيه إلا وفق أوامر سعودية، ما عدا القليل، الذي ينهبه أولئك الخونة.

فالمسألة واضحة جداً، فالعدوان- بكل ما تعنيه الكلمة- خارجي، بهندسة أمريكية، وإسرائيلية، وبريطانية، وتنفيذ سعودي إماراتي، وإشراف أمريكي، والبقية: داعش، القاعدة، عبدربه وجماعته، أصحاب من يسمون أنفسهم بحزب الإصلاح، أولئك المفسدون في الأرض، ومن لف لفهم وجرى معهم، هم مستأجرون، وهم متورطون في الخيانة.

ممارسات هذا العدوان

أضف إلى ذلك ممارسات هذا العدوان منذ بدايته وإلى اليوم تقدم صورةً واضحة عن هويته، عن أهدافه، وعن أنه لا يمتلك أي هدف مشروع، ولا هدف لمصلحة هذا الشعب، وأنه يمثل جريمة كبيرة بحق هذا الشعب، وكل ممارساته منذ بدايته وإلى اليوم، إجرامية، وحشية، تدميرية، يندى لها جبين الإنسانية.

في مقدمتها: جرائم القتل، والإبادة الجماعية، والتدمير الشامل، والحصار الخانق، والاستهداف لكل أبناء هذا البلد: كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، الاستهداف حتى للأطفال الرضع والنساء الحوامل.

نـأتي للحديـث تفصيليـاً عـن بعـض أشـكال هـذا الاسـتهداف، ومـا يـدل عليـه، وبـدأت كل هـذه الأشـكال مـن الاسـتهداف منـذ بدايـة العـدوان، منـذ منتصـف تلـك الليلـة التـي بدأت فيها الغارات والعمليات العسكرية ضد بلدنا:

الاستهداف للأحياء السكنية والمنازل والقرى

الاسـتهداف للأحيـاء السـكنية والمنـازل والقـرى، وهـذا مكثـف منـذ بدايـة العـدوان وإلى اليـوم، ومـن أول غـارة اسـتهدفت الأحيـاء السـكنية، اسـتهدفت النـاس في منازلهـم، اليمنـي يسـتهدف في كل مـكان في بلـده: في منزلـه، وفي خـارج منزلـه، أينما كان يسـتهدف، وأتـت الغـارات الجويـة وبشـكل وحـشي لتدمـر الكثـير مـن المنـازل، وتسـتهدف الكثـير مـن المنـازل في المـدن، في الأحيـاء السـكنية فيهـا، وفي القـرى أيضـاً، ونـشرت الكثـير مـن المشـاهد، والضحايـا مـن المدنيـين: أطفـال، ونسـاء، ومشـاهد مؤلمـة ومأسـاوية جـداً، أيُّ شيءٍ يمكـن أن يـبرر هـذا، أو يشرعـن هـذا؟! غـارات إلى وسـط صنعـاء، إلى وسـط مختلـف المـدن، إلى القـرى، في الأريـاف، حتـى في المناطـق البدويـة، حتـى اسـتهداف لخيـام البـدو، وقتـل للبـدو في خيامهـم، وقتـل لمواشـيهم، أيُّ شيءٍ يمكـن أن يـبرر هـذا، أو يشرعنـه؟! وأيُّ غايـة إيجابيـة ونبيلـة يمكـن أن تكـون مـن وراء مثـل هـذه الجرائـم، والتـي نُـشِرت عنهـا الكثير من المشاهد في التلفزيونات؟!

الاستهداف للمساجد

الاسـتهداف للمسـاجد مـع قدسـيتها، وللمصلـين فيهـا، وللمصاحـف فيهـا، وأكـثر مـن ألـف وأربـع مئـة مسـجد اسـتهدفه الأعـداء ودمـروه، وقتلـوا فيـه المصلـين، ومزقـت فيـه المصاحـف المقدسـة (كتـاب اللـه القـرآن الكريـم) بقنابـل الأعـداء وبقصفهـم، اسـتهانة حتـى بالمقدسـات، اسـتهانة بحيـاة النـاس كبـشر، وبحرمـة ذلـك، واسـتهانة بالمقدسـات، أيُّ شيء يمكـن أن يـبرر هـذا، أو يشرعنـه؟! ومـا هـي الغايـة التـي يمكـن أن تكـون غايـة نبيلة، وهدف مقدس، أو شريف، أو نبيل، من وراء هكذا جرائم؟!

بمـا فيهـا مسـاجد أثريـة قديمـة، البعـض منهـا منـذ بدايـة صـدر الإسـلام، والبعـض منهـا مـن عـصر التابعـين، والبعـض منهـا مـن مراحـل متقدمـة، وتـم التركيـز عـلى اسـتهدافها، في عمـق المناطـق اليمنيـة، ليسـت في مناطـق الاشـتباك وفي الجبهـات، في عمـق المناطـق، وبشكلٍ متعمد، تعمد للمسجد وللمصلين، تعمد لذلك المسجد الأثري أيضاً.

الاستهداف للمدارس، والجامعات، والمنشآت، والمرافق التربوية والتعليمية، وللطلاب والمدرسين

الاستهداف للمدارس، والجامعات، والمنشآت، والمرافق التربوية والتعليمية، وللطلاب والمدرسين، هذا أيضاً استهداف للبشر، لهذه الفئة من أبناء المجتمع، وأيضاً سعي لتعطيل العملية التعليمية، وتدمير كل بنيتها التحتية؛ حتى تتوقف عملية التعليم في البلد، عندما يدمِّرون المدارس، عندما يستهدفونها والطلاب فيها، ويستشهد الكثير من الطلاب والمدرسين، وعندما أيضاً يستهدفون المرافق الأخرى: إدارات تربوية، مرافق تربوية، جامعات، عدد كبير من المنشآت الجامعية استهدفت، وجرى الحديث عنها ضمن الإحصائيات التي قدِّمت في هذه الأيام الماضية، في الفعاليات المختلفة، التي أقامتها الجهات المعنية في صنعاء.

فنلاحظ أنَّ هذا الاستهداف للطلاب- وهناك مشاهد مأساوية جداً- للطلاب، وللمدارس، وما نتج عن ذلك، ونشرت وبُثت في التلفزيونات والقنوات الفضائية، وقُدِمت عنها المعلومات الموثَّقة المكتوبة، وقُدِمت إلى مختلف الجهات في العالم: أمم متحدة، منظمات... غير ذلك.

هل يمكن أن يكون الاستهداف للطلاب، للمدارس، للجامعات، أن يكون الاستهداف للطلاب في حركتهم إلى المدارس، أن يكون الاستهداف لهم داخل المدارس، أن يكون الاستهداف للمرافق والمنشآت التربوية، وذات العلاقة بالعملية التعليمية، لهدفٍ مشروع، أو لغايةٍ مشروعة، أو أنه سعي لتعطيل العملية التعليمية في البلد، ولاستهداف الناس حتى لا يتعلموا؟! وكم نتج عن هذا من معاناة؟ كم تضررت العملية التعليمية بفعل ذلك؟ كم نتج عن ذلك من تشريد للكثير من الطلاب، أو عدم توفر فرصة التعليم لديهم؟ من الذي يحارب التعليم في البلد؟ أليس هم أولئك؟ أليس هم أولئك الذين يرتكبون هذه الجرائم؟

اليوم في كثير من المناطق- وبالذات في الأرياف- يتجه الطلاب للدراسة تحت الأشجار، لا مأوى لهم، لا مدارس لهم، أو بعضهم- إن تحسنت أحوالهم- تحت خيام، أو في أماكن متواضعة جداً، ويواصلون العملية التعليمية مع الخوف من الاستهداف، وهذا جارٍ بشكلٍ عام في المدن والأرياف، أو أيضاً مع مشكلة كبيرة في البنية التحتية، أو تضرر العملية التعليمية بفعل الظروف الاقتصادية، تداخلت كل الضغوط لاستهداف العملية التعليمية في البلد.

طيب، من يتحرك بهذا الشكل، من يستهدفنا حتى في عمليتنا التعليمية، في

نشاطنا التعليمي، ما الذي يريده بشعبنا ولبلدنا؟ هل يمكن أن يريد خيراً بهذا البلد؟! هناك قصص كبير، ومآسٍ كبيرة، من أبرزها الحافلة التي كانت تقل الطلاب في ضحيان، من أبرز المآسي، وعرفت تلك المأساة، وجرى تغطية إعلامية لها، وهناك شواهد كثيرة في مختلف المحافظات بمثل هذه المآسي.

الاستهداف للمستشفيات والمراكز الصحية

الاستهداف للمستشفيات والمراكز الصحية، وبالمئات، يعني: المئات من المستشفيات والمراكز الصحية استهدفت بشكلٍ متعمدٍ وممنهجٍ ومقصود، ودمرت، وفي كثيرٍ من الحالات استشهد فيها ضحايا، من العاملين فيها، ومن المرضى، ومن الجرحى، أليس هذا عملاً إجرامياً شنيعاً؟ أليس مخالفاً لكل شيء: للقانون الدولي، للأعراف، لحقوق الإنسان، لكل الاعتبارات والحيثيات، جريمة موصوفة بكل اعتبار.

إذا جئنا لنصنِّف مثل هذه الجرائم، وتستمر على مدى سنوات، تستمر على مدى سنوات، وفي مختلف المحافظات، هل ممكن أن يشرعن مثل هذه الجرائم شيء، أو يبررها تبرير صحيحاً شيء، أو يمكن أن نقول: أنها لهدف لمصلحة هذا البلد، وأن من يفعل ذلك بهذا الشعب، ويقتل أبناء هذا البلد في منازلهم، وفي مساجدهم، وفي مستشفياتهم، وفي المراكز الصحية، ويستهدف المرضى، ويستهدف الجرحى، ويستهدف الكادر الطبي والصحي، هل يمكن أنه يفعل ذلك من أجل هذا البلد، ولخدمة هذا البلد؟!

الاستهداف للمطارات

الاستهداف أيضاً للمطارات، طبعاً كم نتج من معاناة، يعني: عندما دُمِّرت مثلاً الكثير من المنشآت الصحية، والمراكز الصحية، والمستشفيات، بقي الكثير من أبناء هذا البلد- وبالذات في الأرياف- لا يحصلون على الخدمات الصحية، لا يعرف أين يذهب بمريضه؟ أين يعالج مريضه، أو جريحه؟ نتج عن هذه معاناة كبيرة جداً، معاناة للمرضى وذويهم، معاناة كبيرة للجرحى وذويهم، أليس هذا هو استهداف عدواني ظالم لأبناء هذا الشعب؟ أليست هذه المأساة صنعها من؟ ألم يصنعها أولئك المعتدون الذين بقنابلهم وصواريخهم وطائراتهم دمِّرت تلك المنشآت الصحية، والكل من أبناء شعبنا قد يعاني نتيجة ذلك على المستوى الصحي، إضافة إلى الضرر الكبير الذي لحق بالقطاع الصحي نتيجة الوضع الاقتصادي، لكن هذا على مستوى الاستهداف المباشر.

الاستهداف للمراكز والمرافق والمنشآت الحكومية

الاستهداف للمراكز والمرافق والمنشآت الحكومية بمختلف أشكالها وأنواعها: مجمعات، مؤسسات، مراكز شرطة، سجون، محاكم... كل ما يقدم خدمة لأبناء هذا الشعب، من المراكز الحكومية، والمباني الحكومية، ذات الصلة بمسؤولية تجاه الناس، تجاه أبناء هذا البلد، استهدفت ودمِّر الكثير منها، هل يمكن أن يفعل ذلك من أراد الخير لهذا الشعب، أو من يريد أن يكون في هذا البلد دولة، وحكومة، ومؤسسات دولة، وتقوم بخدمة الشعب، وبالعناية بأبناء البلد، أو أنه هدف مختلف وعكس ذلك تماماً؟ حتى المحاكم، واستشهد البعض من القضاة، وفقدت الكثير من الوثائق في المحاكم، التي فيها قضايا الناس، وبعضها فيها اثباتات لأطراف من المتنازعين والمتخاصمين والمتشاجرين في مختلف قضاياهم، وتضرروا من ذلك.

الاستهداف لمحطات ومولدات الكهرباء

الاستهداف لمحطات ومولدات الكهرباء، وبالمئات، وطبعاً تضرر الشعب كثيراً نتيجةً لذلك، في المدن حصل ضرر كبير جداً، كثير من الخدمات التي تعتمد على الكهرباء تضررت، وتضرر الناس في أشياء كثيرة، نتيجةً لهذا الاستهداف، وكان بشكل متعمد وواضح، محطة كهربائية في صنعاء تستهدف، محطة كهربائية في صعدة تستهدف، في الحديدة، في محافظة كذا... في مختلف المحافظات، في تعز... في مختلف المحافظات، واستهدفت بشكلٍ واضح، من المتضرر من ذلك؟ هل هو حزب معين؟ هل هي فئة معينة؟ هل جماعة معينة، أم هو ضرر يعاني منه أبناء الشعب بمختلف فئاتهم ومكوناتهم؟ من الذي فعل ذلك؟ ولماذا فعل؟ لأنه أراد أن تحصل تلك المعاناة، لأنه يريد لهذا الشعب أن يعاني، لأنه يجعل من معاناة هذا الشعب وسيلة أمَّل فيها أن يكسر إرادته، وأن يجبره على الاستسلام والخنوع، لأنه عدواني، يتلذذ بمعاناة هذا الشعب، ويرتاح ويسر بمعاناة أبناء هذا البلد.

الاستهداف لخزانات وشبكات المياه

الاستهداف لخزانات وشبكات المياه، بأكثر من ألفين منشأة وشبكة مياه وخزان مياه تغذي المناطق الآهلة بالسكان، ويستفيد منها المواطنون، طبعاً من يسعى لأن يعاني الناس من العطش، من يسعى لأن يعاني الناس في المدن

وفي مناطق مختلفة من الحصول على الماء، من الحصول على الماء، وتصبح مسألة الحصول على الماء مسألة معقدة، وفيها صعوبات كبيرة، وفعلاً حصلت صعوبات كثيرة، سكان العاصمة صنعاء يعرفون حجم المعاناة التي كانوا يعانون منها، الكهرباء من جهة توقف، وأثَّر حتى على مسألة شبكات ومحطات المياه، والاستهداف من جانب آخر، وانعدام الديزل من جانب ثالث، عوامل كلها حوَّلت مسألة الحصول على المياه والصرف الصحي مسألة معقدة جداً، وأصبح الأكثر يعتمدون على الوايات، التي تأتي بالماء مقابل مبالغ معينة، وفي كثير من الحالات يأتي الماء غير صحي ولا مناسب، ومعاناة كبيرة في مختلف المدن نتيجة هذا، من الذي فعل ذلك؟ ولماذا فعل؟

لأنه أراد أن يعاني الجميع، عندما يرى أبناء هذا الشعب وهم يعانون في توفير الماء الذي يشربون، في توفير المياه للمنازل، لحاجتهم للاستخدام المنزلي لها، يرتاح بذلك، عندما يرى الطوابير وهي تجتمع حول خزان ماء، أو وايت ماء، يرتاح بمعاناة هذا الشعب؛ لأنه عدو يكره هذا الشعب، يعادي هذا الشعب، يتلذذ بارتكابه الجرائم بحق هذا الشعب، يرتاح لمأساتنا ومعاناتنا في هذا البلد، لاحظوا كم هم عدوانيون! عدوانيون بشكل عجيب جداً.

من غريب أمرهم فيما يتعلق بقضية الماء: أنهم استهدفوا حتى الحمامات الطبيعية، حمام جارف في بلاد الروس، في محافظة صنعاء، حمام طبيعي، وفيه ماء للاستشفاء، ماء طبيعي ساخن للاستشفاء، استهدفوه.

الاستهداف لشبكات ومحطات الاتصالات

الاستهداف لشبكات ومحطات الاتصالات: كلنا نعرف أهمية الاتصالات في هذا الزمن، وما تقدمه من خدمة كبيرة للناس في شؤون حياتهم، أصبحت الكثير من شؤون حياة الناس في أمورهم المعيشية والاقتصادية والحياتية معتمدة على الاتصالات، وعبر الاتصالات تختصر الكثير من الأمور، وتنجز الكثير من الأمور، شبكات الاتصالات العامة في هذا البلد، التي يستفيد منها المواطنون بشكلٍ عام، من دون أي تمييز، لا مذهبي، ولا مناطقي، ولا عنصري، أبناء هذا البلد بشكلٍ عام، تم استهدافها بشكل مكثف وبغارات كثيرة، والتدمير لها، وفي أحيان كثيرة بقيت كثيرٌ من المحافظات والمناطق بدون اتصالات، وعانى أهلها الكثير نتيجة ذلك، من الذي فعل ذلك؟ تحالف العدوان، لماذا؟ لأنه أراد أن يعاني الناس في بلدنا، أن يعاني

هذا الشعب بكل أبنائه مختلف أنواع المعاناة، أن يعانوا في كل شيء.

الاستهداف للطرق والجسور

الاستهداف للطرق والجسور: جزء كبير من حملة العدو ومن استهدافاته وغاراته ركزت على الطرق بين المحافظات، وعلى الجسور، الجسور الأساسية التي تربط ما بين محافظة وأخرى، أو لها دور أساسي في طريق عام، يصل منطقة بمنطقة، وحصل معاناة كبيرة لأبناء شعبنا نتيجة استهداف الطرق والجسور، على مستوى أمن الطرق، استهدفت الكثير من السيارات، من- كذلك- من وسائل النقل بمختلف أنواعها، استهدفت وهي في الطرقات ذهاباً وإياباً، واستهدفت الجسور والطرق؛ مما أثَّر على حركة السير، وحركة السفر للمواطنين وتنقلاتهم، وأصبح التنقل من محافظة إلى أخرى محفوفاً بالمخاطر؛ نتيجةً للاستهداف الذي يتكرر للسيارات، لوسائل النقل، للمسافرين، وبث الكثير في القنوات الفضائية، مآسٍ مروِّعة جداً.

وحركة النقل أيضاً للمواد الغذائية، والاحتياجات، والإسعاف للمرضى، ولغير ذلك من شؤون حياة الناس المختلفة والمتنوعة، كانت كلها تعاني من الاستهداف بأشكالها، وتعاني أيضاً من هذه المخاطر المستمرة: الشعور دائماً بالخطر واحتمالية الاستهداف، والمعاناة في الطرق التي تصعبت وتعسرت نتيجة ما لحق بها من أضرار كبيرة، مع صعوبة صيانتها في ظل ظروف اقتصادية صعبة يعاني منها البلد، لماذا فعلوا ذلك؟ سعياً لأن يعاني هذا الشعب، لأن يعاني جميع أبناء هذا البلد.

الاستهداف للأسواق، والمنشآت التجارية، ومخازن الأغذية

الاستهداف للأسواق، والمنشآت التجارية، ومخازن الأغذية: طبعاً الاستهداف للأسواق كان يهدف إلى تحقيق غرضين لتحالف العدوان:

الأول: قتل أكبر عدد ممكن من الناس؛ لأن الناس عادةً يزدحمون في الأسواق، وهم يريدون أن يرتكبوا جرائم الإبادة الجماعية بحق أبناء هذا الشعب، يفرحون عندما يلقون قنابلهم في مكان فيه تجمع أكثر؛ لتكون الحصيلة مجزرة مروِّعة، فهم لتنفيذ جرائم الإبادة الجماعية والقتل الجماعي، وقتل أكبر عدد ممكن من الناس، استهدفوا الأسواق؛ لازدحامها بالناس.

وثانياً: لتعطيل حياة الناس، هم يدركون الأهمية الاقتصادية والمعيشية للأسواق بالنسبة للناس، تتوفر فيها احتياجاتهم الغذائية ومختلف اغراضهم لحياتهم، والناس يضطرون عادةً للذهاب إلى الأسواق؛ لتوفير احتياجاتهم، احتياجاتهم الغذائية... احتياجاتهم بمختلف أنواعها، احتياجاتهم الحياتية التي يحتاجون إليها في مختلف

شؤون حياتهم، فاستهدافهم لها لإلحاق ضرر شامل بالناس في مختلف شؤون حياتهم، واستمرت وتيرة الاستهداف، وكان هناك مآسٍ كبيرة بمثل هذا النوع من الاستهداف، وارتكب تحالف العدوان فيه أبشع الجرائم، جرائم مروِّعة وبشعة للغاية، ومجازر رهيبة وشنيعة. المنشآت التجارية كذلك، مخازن الأغذية كذلك، وبثت الكثير عنها من المشاهد في القنوات الفضائية التي وثِّقت بالفيديو، وأيضاً المعلومات والإحصائيات والتي أعلنت من الجهات المعنية.

الاستهداف للمناسبات الاجتماعية، في الأعراس والعزاء والنازحين

الاستهداف للمناسبات الاجتماعية، في الأعراس، وهذا من أسوأ أشكال الاستهداف، حصل هذا في ذمار، معروفة القصص هذه في ذمار، في حجة، في تعز، في صنعاء، في صعدة، في الجوف، في مأرب... في مختلف المحافظات، الاستهداف للأعراس، الاستهداف للناس وهم يقيمون عرساً، فيحولونه إلى مأتم، إلى عزاء، إلى مأساة، بدلاً من الفرحة يأتي الحزن، ويأتي الأسى، وجرائم بشعة، ولها أشكال وصور مأساوية جداً ومؤلمة جداً، لا يمتلك الإنسان عندما يشاهد إلَّا أن يشعر بعميق الحزن والأسى، وفي أكثر الأحيان لا يتمالك الإنسان نفسه إلا أن يبكي، مشاعره الإنسانية تفيض وتجبره على البكاء، مشهد العرس في بني قيس في حجة ألم يكن مأساوياً؟ مشاهد أعراس استهدفها العدوان بقنابله، أي إجرامية هذه؟! أي مستوى من التوحش يجعلهم يفعلون ذلك؟! هل يمكن أن يشرعن ذلك شيء، أن يبرر ذلك شيء، أن يكون ذلك لأهداف لمصلحة هذا لبلد، أن يكون لخدمة هذا الشعب؟! هل الخدمات التي تقدمونها لهذا الشعب هي بهذا الشكل وعلى هذا النحو؟! وكم هي القصص والحكايات، والتي وثِّق الكثير منها، وبقي البعض منها؛ لم يكن هناك من يوثِّق، وأتت عنها المعلومات والتفاصيل والمشاهد.

وكذلك مناسبات العزاء، من أبرزها: الصالة الكبرى وسط صنعاء، اجتماع بمناسبة عزاء، مناسبة اجتماعية لها حرمتها، وكم هناك يعني من مثل هذه الحالة استهدفت بهدف- كذلك مثلما حالة الأسواق- قتل أكبر عدد ممكن من الناس أثناء تجمعهم، وليزداد العزاء عزاءً، والمأساة مأساةً، جرائم مروعة، كبيرة، بشعة، وحشية، شنيعة جداً، لا يمكن أن تبرر، ولا يمكن أن تشرعن، وبشكل مستمر ومتكرر.

أيضاً الاستهداف لمخيمات النازحين: وتكرر في محافظات متعددة، منها في محافظة حجة، ومحافظات أخرى، وللنازحين أثناء حركتهم وانتقالهم، أو في أماكن يصلون

إليها، لو لم يكن بشكل مخيمات، حتى في مساكن، أو مدارس، أو أماكن عادية، أو حتى تحت الأشجار، أو في خيام، يستهدفون، وهناك كثير منها قد- كذلك- نقلت المشاهد المأساوية عنه وبثت، ووثقت المعلومات عنه، وحشية وإجرام، النازح نزح نتيجةً للعدوان إلى منطقة أخرى، ثم يأتون فيكملون المجزرة.

الاستهداف للمعالم الأثرية، والمدن الأثرية

الاستهداف للمعالم الأثرية، والمدن الأثرية: وتكرر هذا في صنعاء، وفي الجوف، وفي تعز، وفي الحديدة... وفي محافظات مختلفة، صنعاء القديمة كم فيها من جرائم استهداف وتدمير وغارات إلى داخلها، صعدة القديمة، معالم أثرية في الجوف قديمة جداً، معالم أثرية في تعز، معالم أثرية في الحديدة، دمِّرت، ومساجد أثرية دمِّرت واستهدفت، ومقابر أثرية، ومقابر من هذا العصر، حتى الأموات في قبورهم، أتت القنابل لاستهدافهم، أي وحشية؟! أي رعونة؟! أي إجرام هذا؟! ما الذي يمكن أن يبرر مثل هذا النوع من الاستهداف، أو يشرعنه؟ لا شيء، هذا يكشف حقيقة هذا العدوان، هوية هذا العدوان، وأهدافه الحقيقية، أهدافه الحقيقية: تدمير شامل وممنهج ومنظَّم يستهدف ويطال كل شيء في هذا البلد.

الاستهداف للصيادين

الاستهداف للصيادين: من الجرائم التي ركَّز عليها تحالف العدوان من بداية الأمر وإلى اليوم، الاستهداف للصيادين، حتى أصبحت عملية الصيد في البحر مهمة مأساوية ومغامرة، يذهب الصياد لا يدري هل سيعود سالماً، أم أنه سيستشهد، أو في بعض الحالات يختطف؟ استهداف بالقتل، واستهداف بالاختطاف، وتتكرر هذه، والاستهداف للقوارب أيضاً، استهداف لهم وهم في قواربهم، واستهداف لقواربهم في حالات أخرى بالقصف، وفئة كبيرة تضررت من أبناء محافظة الحديدة، كانوا يعتمدون في معيشتهم وفي تحصيل قوتهم على الصيد، يذهبون للصيد، يعتمدون بشكل أساسي، يصطاد، ومن كده، ومن عرق جبينه، يذهب لبيع هذا الذي قد اصطاده من السمك، ويشتري لأسرته القمح، يشتري متطلبات الحياة الضرورية، الكثير منهم، آلاف تضرروا جداً، ولم يتمكنوا من مواصلة مهنتهم هذه، وحرفتهم هذه، التي يعتمدون عليها في تحصيل قوتهم.

إضافة إلى ذلك حصل مشكلة كبيرة في توفير والاستفادة من هذه الثروة لأبناء الشعب بشكلٍ عام، أصبحت عملية ينطلق فيها من ينطلق من يتحرك وبشكل

مغامرة، مغامرة، قد لا يعود، يتوقع في كثيرٍ من الأحيان ألَّا يعود، هو معرَّض إما للقصف والاستهداف، وإما للاختطاف، من يفعل ذلك هل هو يريد خيراً في هذا البلد؟! هل هناك شيء يشرعن أو يبرر هذا؟! هل هذا بأهداف نبيلة لمصلحة هذا البلد، أم أنه إلحاق ضرر بكل أبناء هذا البلد؟ يأتون لكلٍ في مجال عمله، لكلٍ في معيشته، لكلٍ في حرفته، لكلٍ في مهنته، لاستهدافه، ولإلحاق الضرر بالجميع؛ لأنهم يريدون الحاق الضرر الشامل بالجميع بدون استثناء، ومثل هذه الحالة معروفة في الحديدة، حجم المعاناة نتيجةً لهذا الاستهداف يعرفه أهل محافظة وأبناء محافظة الحديدة، وفي حجة كذلك، والمحافظات التي هي على الساحل.

الاستهداف للمصانع بكل أنواعها

الاستهداف للمصانع بكل أنواعها، المصانع المتوفرة من مصانع الإسمنت إلى مصانع الأغذية الخفيفة، مصانع البفك والقرمش والأشياء الخفيفة، حتى هي تستهدف وتدمَّر، ومحطات الوقود ووسائل النقل التي توفر المواد الغذائية وتنقلها بين المحافظات، وهذا بهدف الإضرار بالاقتصاد الوطني، وإلحاق الضرر بأبناء الشعب، وجلب المعاناة لهم.

الاستهداف حتى لمزارع الدجاج

الاستهداف حتى لمزارع الدجاج، ما الذي يبرر استهداف مزارع الدجاج؟! هل هي عسكرية؟! هل الدجاج لها طابع عسكري مخيف، يخافون أن تنقرهم، أم ماذا؟ الاستهداف لمزارع الدجاج، وللمواشي بشكلٍ عام، مزارع المواشي: مزارع الأبقار والأغنام، حتى لدى البدو، استهدفوا عندما يشاهدون ويرصدون تجمع للبدو ولمواشيهم: جِمال، أو أبقار، أو أغنام، أو ماعز، يستهدفون، وحصلت هذه بشكل متكرر، وفي مناطق متعددة، وأتى ما يشهد لذلك في وسائل الإعلام بالفيديو وبالمعلومات.

الاستهداف لذلك لماذا؟ يستهدف مزرعة دجاج! مزرعة دجاج معروف كم؟ بالمئات، بالمئات، حتى أصبحت من الأهداف الرئيسية لتحالف العدوان، أليس هذا لإلحاق الضرر بالمواطنين؟ ما يشتوا عاد يجي لواحد حتى لحمة دجاج، وإلحاق ضرر أيضاً بمن؟ بمن يشتغلون في هذه الحرفة، يبيعون ويشترون في هذا الجانب، ويوفرونه للشعب، وأرزاقهم وأقواتهم معتمدة عليه، استهداف شامل.

الاستهداف للحقول الزراعية

الاستهداف للحقول الزراعية، وبشكل كبير، يعني: أكثر من سبعة آلاف حقل زراعي استهدف، بالآلاف، استهداف للزراعة، وللقطاع الزراعي، وللأسواق الزراعية، ولحركة النقل ذات العلاقة بالمحاصيل الزراعية، وهذا جانب ومجال كامل له حصته من الاستهداف الكبير والمركز، حتى في الطرق العامة تجد في بعض الناقلات بعد استهدافها وقد تبعثرت المحاصيل الزراعية خلف الطرق، واحترقت بفعل القصف، الأسواق الزراعية كذلك تضررت واستُهدِفت المحاصيل.

الاستهداف للمنشآت الرياضية

أضف إلى ذلك الاستهداف للمنشآت الرياضية، حتى المنشآت الرياضية، يعني: لا يريدون أن يبقى مجال من مجالات شؤون الحياة إلا ويستهدف، وحتى ملاعب كرة القدم، كثيرٌ منها تم استهدافه.

الاستهداف حتى لما لم يكن لِيُتَوقع، ولم يكن ليخطر ببال أحد أن يكون هدفاً لتحالف العدوان لقصفه واستهدافه: مركز إيواء المكفوفين من الأطفال، لا أستبعد- والله أعلم، والله أعلم، نحن لا نعلم الغيب- أن يكون الشيطان تفاجأ من هذا الابتكار الاجرامي، لا نستبعد ذلك، لا نقطع به، ولا نستبعده، كيف يخطر ببالهم أن يجعلوا من مركز إيواء للمكفوفين، الذين فقدوا حاسة البصر، وبقية لهم- إن شاء الله- حاسة البصيرة، من الأطفال، مركز لإيوائهم، ويتم استهدافه بالقصف، ما الذي يمكن أن تفسر هذا النوع من أشكال القصف والاستهداف؟! وحشية، إجرام، رعونة، طغيان، كبر، غطرسة، همجية، كل المفردات التي تعبر عن الشر بكل أشكاله يمكن أن تستخدمها لتوصيف هذه الجريمة، ووُثِّق هذا، وبُثت مشاهده في القنوات الفضائية.

استهداف مركز الرصد الزلزالي في ذمار

استهداف حتى لأشياء أخرى أيضاً، تستغرب أن تستهدف، مركز الرصد الزلزالي في ذمار، مركز لرصد الزلزال يستهدفونه، غريب!

الاستهداف للمتاحف

الاستهداف للمتاحف، وتكرر هذا.

الاستهداف لإسطبلات الخيول

الاستهداف لإسطبلات الخيول، وقتل الخيول بشكل جماعي المتوفرة فيها، وبشكل مأساوي ومؤلم وغريب يعني! البعض فسر هذا أنهم يغتاظون ويحقدون ويحسدون هذا الشعب على أن لديه، أن بقيت لديه شوية خيول أصيلة، عربية أصيلة، فأرادوا إبادتها.

الاستهداف للحيوانات بمختلف أنواعها

الاستهداف للحيوانات بمختلف أنواعها، لا داعي لأن نتعمق في هذا بشكل أكثر.

هذه الجرائم، هذا النوع من الجرائم أتى منذ البداية يعني، منذ البداية بشكل واسع، بعضها يعني في بدايات العدوان، في أول شهر من العدوان أكثر هذه الجرائم كان قد نُفِذَ منها نماذج، وبأعداد كبيرة يعني، وبعضها فيما بعد تلاحقت وهكذا، وتستمر وإلى اليوم، يعني: قبل أن يكون هناك أي مبرر، طبعاً هذه الجرائم بأعداد كبيرة، شيء منها بالآلاف، والبعض منها بالمئات، وممنهجة، لا يمكن أن يقال عنها أخطاء، ولا يمكن أن يقال عنها تصرفات فردية، أولاً هذا العدو يمتلك التقنيات والإمكانات، التي تحدد له الأهداف بوضوح، لديه أقمار صناعية، وعمل بها، لديه طائرات للرصد الدقيق، لديه وسائل للتصوير والرصد متطورة جداً، وتقنيات متطورة جداً، لديه أيضاً عملاء على الأرض، جواسيس وخونة، ينقلون له المعلومات والمشاهد، أشياء بنفسها واضحة، أسواق واضحة، معالم واضحة، أماكن واضحة، ليست ملتبسة، حقول زراعية واضحة، مستشفيات معلوم أنها مستشفيات، مراكز صحية واضح حالها، مدارس واضحة، منشآت خدمية واضحة، كلها أشياء واضحة، واستمر ويستمر في استهدافها.

ثم الغزو البري والاحتلال، وما تبعه من جرائم كثيرة جداً: الغزو البري والاحتلال لمنطقة واسعة من هذا البلد، احتلال لمجموعة من المحافظات، لمساحة شاسعة من هذا البلد، جريمة، جريمة؛ لأنه ينتهك سيادة هذا البلد، استقلال هذا البلد، حق أبناء هذا الشعب، وأيضاً يمتهن هذا الشعب عندما يسيطر على بلده، ويسيطر عليه، ويتبع ذلك أيضاً بجرائم قتل كثيرة جداً؛ نتيجة هذه العمليات البرية، كم

استشهد من أبناء بلدنا الآلاف المؤلفة؛ نتيجة هذا العدوان البري والاحتلال، كم اختطف، كم يعذب في السجون بكل أنواع التعذيب، والجرائم الأخرى في المحافظات المحتلة، ومنها جرائم الاغتصاب.

كل هذا الغزو البري والاحتلال، الذي هو- بحد ذاته- جريمة، واستهداف لهذا البلد، وانتهاك لسيادته واستقلاله، وما تبعه من جرائم: قتل، وتعذيب، واختطاف، وامتهان، وإذلال، وقهر، ومصادرة للقرار... أشياء كثيرة، واغتصاب، شمل حتى محافظات لم يكن فيها أي جبهات، يعني: امتد إلى المهرة، امتد إلى حضرموت، امتد إلى سقطرى، امتد إلى مناطق لم يكن هناك ما يبرر أن يكون فيها اجتياح أجنبي، وتمركز لقوات خارجية، وسيطرة من مندوبين من جانب تحالف الاحتلال، لم يتركها حتى لمرتزقته، للخونة الذين باعوا كل شيءٍ لمصلحته، هذا أيضاً من جرائمه الكبيرة.

سعي تحالف العدوان لتفكيك هذا الشعب وتقسيمه تحت كل العناوين

أيضاً من الجرائم الخطيرة جداً، ومن أخطر أشكال الاستهداف لأبناء هذا البلد: سعي تحالف العدوان لتفكيك هذا الشعب وتقسيمه تحت كل العناوين، تحت كل العناوين، نشاط كبير مكثف جداً على المستوى الإعلامي، على مستوى التضليل بأساليب تثقيفية، وأشكال متنوعة، يسعى تحالف العدوان إلى أن يفكك من خلاله أبناء هذا البلد:

تحت عنوان العنصرية: حاول أن يفرق بين أبناء هذا البلد الواحد، الذين هم أخوة، تجمعهم أسمى وأقدس رابطة: رابطة الأخوة الإيمانية، وينتمون للإيمان، وهم أبناء وطن واحد، وشعب واحد، حاول أن يشغل العنوان العنصري، من الذي يشغله؟ أليس هو تحالف العدوان؟ أليس هم مرتزقته؟ من الذي يشتغل عليه ليل نهار؟ من الذي يسيء فيه إلى مختلف أبناء هذا البلد؟ من الذي يشتغل ليعمل فرزاً اجتماعياً، ويبني عليه مواقف وحساسيات وعقد ومشاكل بين أبناء هذا البلد؟ تحالف العدوان؛ أما الذي يتصدى لهذا العدوان ليس لديه أي عمل من هذا النوع، يسعى إلى أن يكون أبناء هذا البلد أخوة، ومتعاونين، ومتكاتفين، ويداً واحدة، وموحدين.

العنوان الطائفي: من الذي أتى بمفردة المجوس، وأطلقها على أبناء هذا الشعب؟ الرسول يقول: **(الإيمان يمان، والحكمة يمانية)** "صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله"، وهؤلاء يقولون عن الشعب اليمني: [مجوس، وروافض]، ويبيحون دمائهم، من الذي قدم أكبر كذبة في هذا العصر، وأعظم افتراء، وأكبر بهتان في هذا الزمن،

على الشعب اليمني، عندما قالوا عنه: أنه يستهدف مكة المكرمة، وأنه يسعى لغزو مكة، والكعبة، والاستهداف للكعبة، وأنه يسعى بالصواريخ لاستهداف مكة المكرمة؟

أبناء هذا الشعب، لا أعلم- والله أعلم- لا أعلم أحداً أعظم وفاءً منهم، ولا أكثر حرصاً في أن يكونوا فداءً لبيت الله الحرام، ولمكة المكرمة، أبناء هذا البلد هم الذين بقوا أوفياء حتى مع المسجد الأقصى، في الوقت الذي خانه الأعراب وباعوه، وتنازلوا عنه، وقدموه في المساومات السياسية، فما بالك بمكة المكرمة، ما بالك بالمدينة المنورة، الركن اليماني يشهد لأهل اليمن من هم أهل اليمن، في إيمانهم ووفائهم، وفائهم لله، وفائهم للدين الإسلامي، وفائهم للرسول وللقرآن، وفائهم للمقدسات الإسلامية، وعلى رأسها مكة المكرمة، وبيت الله الحرام، والمسجد النبوي الشريف، والمدينة المنورة، المسجد الأقصى والقدس، وغيرها من المقدسات، من يمكن أن يقال عنه أنه الأوفى، الأوفى منكم- بلا مقارنة- هو هذا الشعب في ذلك.

لماذا كل هذه العناوين؟ لماذا العناوين الطائفية، العناوين العنصرية، العناوين المناطقية؟ من الذي يحركها؟ من الذي يشتغل بها في إعلامه ليل نهار، من الذي جعلها جزءاً أساسياً من حملته الدعائية والإعلامية؟ ألستم أنتم؟ أنتم يا تحالف العدوان، أنتم ومرتزقتكم وخونتكم، أنتم من يفعل ذلك، أنتم من تشتغلون بذلك، هل هذا من الإسلام في شيء؟! هل إثارة النعرات العنصرية، والطائفية، والمناطقية، والسعي للتفريق بين أبناء الشعب الواحد والوطن الواحد، من الإسلام في شيء؟! هل يمكن أن يكون له غاية شريفة، وهدف نبيل؟ هل يمكن أن يكون فيه مصلحة لأبناء هذا الشعب؟ أين المنطق المنسجم مع الإسلام، المنسجم مع الإنسانية، المنسجم مع الحق، المنسجم مع المصلحة الحقيقية لأبناء هذا البلد، هل هو منطق إثارة النعرات العنصرية، والطائفية، والمناطقية، والسياسية، كل أشكال ونغمات وعبارات الفرقة والخلاف وإثارة الكراهية؛ أم منطق الأخوة، والتوحد، والتعاون، والتآلف، والهوية الإيمانية الجامعة؟ منطقكم معروف، وشغلكم واضح ومكشوف.

جريمة الحصار

مع ذلك أيضاً جريمة أخرى من أبشع أنواع الجرائم- ولو قد طال بنا الوقت- جريمة الحصار: من أفظع وأبشع ما يرتكبه تحالف العدوان من جرائم في استهدافه لشعبنا اليمني هو جريمة الحصار، الحصار الشامل.

العدو من خلال حصاره يعمل على منع وإعاقة وصول المواد الغذائية، إلا

بصعوبة بالغة، وبكلفة كبيرة، لا يصل القمح، ولا تصل مختلف المواد الغذائية إلى بلدنا إلا بعد إعاقة، وتأخير، ومنع، وتحمل غرامات وتكاليف، وبشكل معقد، فتصل في نهاية المطاف، وبعناء كبير، وبكلفة كبيرة، وبأسعار باهظة، والذي يعاني نتيجةً لذلك هو المواطن اليمني، هم أبناء هذا الشعب، الشريحة الأوسع في هذا البلد، وهم الفقراء، هم الأكثر معاناة نتيجةً لذلك، معاناة في التأخير، في إشكالية الأسعار الباهظة التي تأتي نتيجةً لذلك.

تحالف العدوان عمل على منع وصول المواد الطبية والأدوية إلى هذا البلد، إلا بصعوبة كبيرة، ومعاناة كبيرة، وبعد تأخير كبير، وبالتالي بتكاليف مادية كبيرة، وبأسعار باهظة، من الذي يعاني؟ أليس هم أبناء هذا البلد؟

منع المرضى من السفر للعلاج في الخارج، لا يسافرون إلا القليل جداً، بعناء كبير، وفي حالات نادرة، والأكثر منعوا من السفر، وحضر عليهم تحالف العدوان ذلك، حتى إلى دول هي جزء من هذا التحالف، هي الأردن، حالات نادرة جداً، وبصعوبة كبيرة.

معظم المواد والاحتياجات الأساسية للناس، لا تصل إلا بصعوبة كبيرة جداً، وأكثرها بالتهريب، وبعناء شديد، وبالتالي بأسعار باهظة، هذا سبب معاناة كبيرة لأبناء الشعب، أكثرهم لا يحصل على أي شيء يحتاج إليه، أو يريده، أو من متطلبات حياته، أو يمثل ضرورةً له، إلا بعناء شديد، وبتكاليف باهظة، وأسعار باهظة.

لماذا يفعل تحالف العدوان ذلك؟ لأنه أراد أن يعاني جميع أبناء هذا الشعب، هو يرتاح بقدر ما يعاني أبناء هذا الشعب، بمختلف مناطقهم، بمختلف مذاهبهم، بمختلف اتجاهاتهم، أو أن المعاناة هذه خاصة بآل فلان، أو زعطان، أو فلتان، أو بمذهب كذا، أو بقوم كذا، أو بفئة كذا؟ لا، معاناة شاملة في مختلف المحافظات.

يمنع ويعيق وصول المشتقات النفطية والغاز، إلا بعد تأخير كبير، وعناء شديد، وأسعار كبيرة جداً، وظروف تسبب معاناة في مختلف المجالات؛ لأن الوقود يحتاج إليه هذا الشعب في مختلف شؤون حياته، المستشفيات بحاجة إلى الوقود، محطات المياه بحاجة إلى الوقود، محطات الكهرباء بحاجة إلى الوقود، أشياء كثيرة جداً، وسائل النقل تعتمد على الوقود، هذا يسبب معاناة كبيرة للشعب، والعدو يدرك ذلك، وهو يركز على هذا الجانب؛ لإلحاق أكبر قدر من المعاناة بالناس في ذلك، يرتاح، النظام السعودي، المسؤول السعودي، الضابط السعودي، الضابط الإماراتي، من معهم من الخونة، يبتهج ويرتاح عندما يلحظ معاناة الشعب اليمني وهم طوابير كبيرة؛ كي يحصلوا على قليل من البنزين بسعر مرتفع، يرتاح ويبتهج، يشعر

بالسرور والغبطة، وعنده أنه انتصر، أصبحت راحتهم بمعاناة شعبنا، بعذاباته، بأوجاعه بألآمه، هل يمكن أن يقال عنهم أنهم يريدون خيراً لهذا البلد، أو أنهم يقدمون شيئاً لصالحه؟ أليست هذه حالة عدائية للجميع، في كل هذه الحالات التي شرحناها؟

كل من يعاني في أي شيءٍ مما قد ذكرناه، ليتذكر أن وراء هذه المعاناة هو السعودي، ليلعن من وراء هذه المعاناة، من ضابط سعودي، أو مسؤول سعودي، أو مسؤول إماراتي، ومن فوقه، ومن معه من الأيادي المرتزقة الخائنة لوطنه، ليدرك من يفعل به ذلك، من يجب أن تكون ردة الفعل تجاهه، من يجب أن نغضب عليه، من يجب أن ندرك أنه الذي نعاني بسببه، بسبب عدوانه، بإجرامه، بفعله، بجريمته، لنعرف إلى من نوجه السخط، وإلى من يتوجه الموقف الصحيح للرد على كل هذه الجرائم بكل أشكالها.

والمعاناة كبيرة وملموسة؛ إنما نتحدث عن هذه الأمور، هي أمور نعيشها في واقعنا كشعب، ونشعر بها في واقعنا كشعبٍ يمني مظلوم، يستهدف بكل هذه الأشكال من الاستهداف.

الغاز، القصة كبيرة، تصل إلى كل منزل، معاناة، وظروف صعبة، وفي بعض المراحل تزداد هذه المعاناة.

لماذا تفعلون هكذا بهذا الشعب؟ لماذا تعادونه إلى هذا المستوى؟ لماذا تعذبونه إلى هذه الدرجة؟ أي وحشيةٍ تتصفون بها؟! أي إجرامٍ تفعلونه؟! لقد تجردتم عن كل المشاعر الإنسانية، أنتم أعداء لكل هذا الشعب؛ ولهذا تشمله جميعاً هذه المعاناة بفعلكم أنتم، بجريمتكم أنتم، بمؤامراتكم أنتم، بإعاقاتكم أنتم، بمنعكم أنتم.

في السياق الاقتصادي، أتت المؤامرة على البنك المركزي، والموارد التي كانت تأتي إليه، وعطلوا دوره في صنعاء تماماً، واستنسخوا نسخةً أخرى في عدن، وكان الدور الرئيسي للنسخة الأخرى المستنسخة هو الحرب على هذا الشعب، الحرب عليه، اتخاذ كل التدابير التي تضر بالتجار، والعملية التجارية، والنشاط التجاري، وبالعملة، إلى حد كبير.

في هذا السياق طبعوا أعداد كبيرة جداً، وأنزلوها بالشكل الذي يكسر العملة، في هذا السياق عطلوا الإيرادات إلى البنك المركزي في صنعاء وإدارته لها؛ نتج عن هذا ظروف اقتصادية صعبة، وانقطاع المرتبات، عندما انقطعت المرتبات؛ لأن الإيرادات لم تعد تورد إلى بنك صنعاء، إلى البنك المركزي في صنعاء، وتم تعطيل دوره ومحاربته،

وتم سَرِقت تلك الموارد التي كانت تأتي إليه من المحافظات الأخرى، ومنعها من الوصول، نتج عن ذلك انقطاع المرتبات، كم عانى الكثير من أبناء هذا البلد لانقطاع المرتبات! كانت مأساة كبيرة.

لماذا تفعلون ذلك؟ لأنكم أردتم ألَّا تصل المرتبات إلى تلك الأسر التي تقتات عليها، لأنكم أردتم أن تلحق المعاناة بكل هذه الآلاف المؤلفة من الموظفين، وغيرهم ممن كان لهم مرتبات، لأنكم أردتم أن تسقط العملة، وأن تفقد قيمتها في مقابل الدولار، وأن ترتفع الأسعار، لأنكم أردتم أن يعاني هذا الشعب كل أشكال المعاناة، وفي مقدمتها المعاناة في معيشته وفي قوته؛ لأنكم أعداء لهذا الشعب، لأن حربكم عدوانية على هذا البلد، لأن أهدافكم شيطانية، كلها شر، كلها إجرام، كلها خطر، كلها عداء، كلها عداء لهذا الشعب.

الحالة والتوصيف الشامل لكل ما تفعلونه بهذا الشعب، كل ما يفعلونه بهذا البلد، تلخصها الآية القرآنية المباركة: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}[البقرة: الآية٢٠٥]، هذا هو ما فعلوه، ويفعلونه إلى اليوم، هذه هي يوميات عدوانهم على بلدنا: إفسادٌ في الأرض، وإهلاكٌ للحرث والنسل.

ما هو الموقف الصحيح تجاه هذا العدوان

تجاه كل ما تقدم، ما هو الموقف الصحيح تجاه هذا العدوان، بأهدافه المشؤومة، في السيطرة على بلدنا، والاحتلال له، ومصادرة حقنا في الاستقلال والحرية والكرامة، والاستعباد لهذا الشعب، والإضرار به، والظلم له، وتجاه ممارساته، كل هذه الممارسات الإجرامية، الوحشية، السيئة والبشعة جداً؟ معروف ما يكون الموقف الصحيح، سواءً بالنسبة لنا كشعب يمني، أو بالنسبة للآخرين من بلدان وشعوب أمتنا، أو من غيرهم، الموقف بالاعتبار الإنساني، بالاعتبار الأخلاقي، باعتبار العرف الإنساني، والقوانين الدولية، وحقوق الإنسان وغيرها، معروف، إدانة هذا العدوان واعتباره جريمة كبرى، وتسبب في إحداث أكبر مأساة إنسانية معاصرة.

نحن في الداخل، بالتأكيد لن يكون خيارنا الاستسلام؛ لأننا يمن الإيمان، لأننا من يتوجه إلينا كل هذا الظلم، كل هذا الاستهداف الوحشي الهمجي الإجرامي، كيف يمكن أن نستسلم؟ كيف يمكن أن نسكت؟ كيف يمكن أن نقعد؟

بالفطرة الإنسانية لوحدها، يكفي أن تتجه لمواجهة هذا العدوان، أما مع الهوية الإيمانية **(الإيمان يمان)**، مع العزة الإيمانية، مع الكرامة، لا يمكن أبداً السكوت، ولهذا كان الصمود، الثبات، التصدي لهذا العدوان، هي العناوين الذي تعبر عن موقف هذا الشعب، الذي انطلق فيه أحراره ورجاله والأوفياء فيه.

وإذا جئنا لنتحدث عن مشروعية موقفنا، فأكيد موقفنا مشروع بكل الاعتبارات، يكفل لنا في العرف الإنساني، القانون الدولي، القوانين والأنظمة، الأعراف، كلما لدى البشر من كافرين وغيرهم، يكفل لنا حق الدفاع عن بلدنا، عن شعبنا، عن أنفسنا، في مواجهة هذا العدوان الذي له كل هذه الهمجية، كل هذا الإجرام، كل هذا التوحش، والذي يهدف إلى السيطرة علينا، والاحتلال لبلدنا.

ولكن بالنسبة لنا الأهم من كل ذلك، والأهم من مجلس أمن، ومن أمم متحدة، ومن كل ما هنالك، أننا نمتلك المشروعية القرآنية الإيمانية، أن هذا بالنسبة لنا هو واجب ديني، وإيماني، وأخلاقي، وقيمي، الله "سبحانه وتعالى" قال في كتابه الكريم، القرآن الكريم: {**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**}[الحج: الآية٣٩].

لكي نتصدى لهذا العدوان، بكل هذه الهمجية والوحشية والإجرام، لا نحتاج إلى إذن من مجلس أمن، ولا من أمم متحدة، ولا موافقة من الجامعة العبرية، ولا إذا من الدول الأوروبية، ولا ترخيص وموافقة من أي طرفٍ في هذه الدنيا، نحن ننطلق ونحن نمتلك هذه المشروعية القرآنية، الله "سبحانه وتعالى" أذن لنا، نحن عباده، هو ربنا، هو مولانا، هو ملكنا، هو مالكنا، هو إلهنا، الذي نؤمن به، ونؤمن بكتابه، ونؤمن بشرعة، ونؤمن بهديه، هو من منحنا هذا الإذن، كشعبٍ مظلومٍ معتدىً عليه، أمام هذا العدوان الوحشي الإجرامي الهمجي، نحن قوتِلنا بغير حق، لم نبتدأ نحن بالقتال، لم نعتد على أحد، هم الذين أتوا للاعتداء علينا، وقاتلونا هم ابتداءً، وهجموا علينا هم ابتداءً، وقتلوا الآلاف منا ابتداءً، ودمروا كل شيءٍ في بلادنا ابتداءً، نحن لا ننتظر الإذن من أي عاصمة، ولا من أي سفارة، ولا من أي هيئة، ولا من أي مجلس، ولا من أي طاغية، ولا من الشرق ولا من الغرب، نحن نمتلك هذا الإذن، يكفينا هذا الإذن لنقوم بهذا الواجب المقدس، المشروع والعظيم: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا}، نحن ظلمنا بغير حق، أليس كل ما شرحناه آنفاً، أليس ظلماً فظيعاً؟

بلى، إن لم يكن هو الظلم، إن لم تكن كل تلك الأشكال من الجرائم، الذي

قتلنا فيها في هذا البلد رجالاً ونساءً، وأطفالاً وكباراً وصغاراً، ودمر فيه كل شيء، واستهدف فيه كل شيء، إن لم يكن ظلماً، فما هو الظلم؟! إن لم يكن جريمة، فما هي الجريمة؟! ما هو الشيء الآخر- غير كل ما ذكرنا- يمكن أن يوصف بظلم، أو إجرام؟!

نحن ظُلِمنا، وقوتلنا بغير حق، وأعتدي علينا بغير حق، وأتوا هم، وأعلن هذا العدوان من آخر الدنيا، من غرب الأرض، ثم أتت جيوشهم، أتت طائراتهم، أتى مرتزقتهم، أتى كل الذين جندوهم، للاعتداء علينا، إلى بلدنا، إلى قرانا، إلى مدننا، واجتاحوا البلد من أطرافها، معاركم التي وصلوا فيها إلى مأرب، ووصلوا فيها في المحافظات الجنوبية، أتت من خارج اليمن، آلياتهم وعرباتهم أتت من خارج اليمن، الذين أتوا بهم من مرتزقة السودان، ومن مرتزقة تشاد، ومن المرتزقة من مختلف البلدان، من بلدان كثيرة، أتوا بهم لاحتلال بلدنا، وقتلنا إلى بلدنا، نحن قتلنا في اليمن، قتلنا في قرانا، قتلنا في مدننا، قتلنا في مناطقنا، في جبالنا، في سهولنا، في صحارينا، لم نقتل ونحن في حالة اعتداء على أحد، نحن ندافع عن بلدنا وعن أنفسنا، نحن الطرف المظلوم والمعتدى عليه، والله أذن لنا، بل وقدم لنا الأمل بنصره، عندما قال: {وَإِنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}، هو يطمئننا بأنه سيقف إلى جانبنا، عندما نؤدي واجبنا، هو القائل "جلَّ شأنه": {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ}[الشورى: الآية٣٩]، من الباغي، ومن المبغي عليه؟

أليسوا هم من بغى علينا؟ ألم يعتدوا علينا هم؟ هم الذين بغوا علينا، هم الذين أتونا، هم الذين أتوا في منتصف الليل، وبدأوا عدوانهم غدراً في منتصف الليل، من دون أي سابق انذار، ولا سابق مشكلة ولا اشتباك.

هو القائل: {فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ}[البقرة: من الآية١٩٤]، نحن نمتلك هذه المشروعية القرآنية من كتاب الله، هو القائل: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ}[البقرة: من الآية١٩٠]، هو القائل: {ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّـهُ}[الحج: من الآية٦٠]، هو القائل: {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ}[الشورى: الآية٤١].

نحن يمن الإيمان، نحن قومٍ منطلقاتنا إيمانية، مبادئنا قرآنية، مواقفنا تعتمد على هذه المشروعية، ولا نبالي بأحد، لا نبالي بأحد، يمكن أن يكون له موقف آخر، يمكن أن يطلب منا أن نخنع، أن نبقى مستسلمين، جامدين، خانعين، أمام وحشية الأعداء، وتحركنا كشعبٍ يمني من كل مكونات هذا الشعب، الأحرار من كل المكونات، من

كل الفئات، ليس فقط من فئة واحدة، ولا من مكون واحد، فعلاً هناك دور رئيسي وبارز وأساسي لأنصار الله، في قيادة هذا الموقف الوطني، هذا الموقف الشعبي والرسمي، ولكن ليسوا لوحدهم، وليس هذا تنصلاً، هذا فخر، أن يكون لأنصار الله دور أساسي في المعركة هذا فخر وشرف، شرف عظيم، وتوفيق إلهي كبير، ولكن الحق يقال، ليسوا لوحدهم، الأحرار من كل هذا البلد، من كل أبناء هذا البلد، من كل مكونات هذا الشعب، موقفهم جميعاً، من مختلف المذاهب والمكونات والمناطق والمحافظات، موقفهم واحد، وقرارهم واحد، في التصدي لهذا العدوان.

والبعض قد يكون له منطلقه الوطني، والبعض قد يكون له منطلقه القومي، والبعض منطلقه الإنساني، ولكن الموقف واحد: هو التصدي لهذا العدوان، هو المنع من احتلال هذا البلد، ومن السيطرة على هذا الشعب، هو العمل لنيل الحرية والاستقلال والكرامة، وتحرك من تحرك في هذا الاتجاه من أبناء هذا الشعب في مسارات عملية جادة، بدءاً من التحرك في الميدان في مختلف الجبهات.

صفوة هذا الشعب من مختلف أبنائه، من مختلف مكوناته، من مختلف فئاته، تحركوا إلى الجبهات، بكل إباء، وثبات، واستبسال، وشجاعة، ورجولة، وشهامة، وَغِيرة، وحمية إيمانية، وكرامة وعزة؛ لمنع احتلال هذا البلد، وللتصدي لكل الذين أتى بهم تحالف العدوان من المرتزقة، من جيوش وجماعات، ومن داعش والقاعدة وغيرهم، وفي الميدان قُدِّمت أروع الأمثلة للصمود، جُسِّد هذا العنوان بأرقى صوره في الميدان، صموداً واستبسالاً وتفاني في التصدي للعدوان.

في مسار التصنيع العسكري، مع الحصار الشديد، اتجه أبناء هذا البلد والأحرار فيه إلى التصنيع العسكري، وتمكنوا- بفضل الله "سبحانه وتعالى" وبتوفيقه- من تصنيع مختلف أنواع الأسلحة، من الكلاشينكوف، إلى الصواريخ الباليستية، والطائرات المسيَّرة، والصواريخ المجنحة، وبات هذا إنجازاً عظيماً، وتوفيقاً كبيراً من الله "سبحانه وتعالى"، وإنجازاً استراتيجياً بكل ما تعنيه الكلمة.

تمكَّن شعبنا أيضاً من توجيه الضربات إلى عمق تحالف العدوان، واستهداف منشآت أساسية لهم، وقواعد عسكرية، وقواعد جوية، ومطارات عسكرية، وأصبحت هذه الضربات مصدر إزعاج كبير لهم، ويصيح معهم من يصيح، عندما توجه ضربات إليهم، تأتي بيانات التنديد، والعبارات عن القلق، وعبارات الشجب، من أوليائهم، وأصحابهم، وأصدقائهم، لا يهمنا ذلك؛ لأننا نعلم ما نحن فيه، ونعلم

طبيعة الظروف القائمة في العالم اليوم.

على مستوى العمليات العسكرية بكل أنواعها، آلاف العمليات العسكرية ينفذها الجيش اليمني، مسنوداً بالشعب، بمختلف أنواع هذه العمليات: من اغارات، إلى عمليات هجومية، إلى عمليات دفاعية، إلى عمليات نوعية، إلى عمليات بمختلف التخصصات: عمليات الهندسة، عمليات الدروع، عمليات القناصة، عمليات متنوعة جداً.

كان هناك أيضاً تحرك في بقية المجالات: التحرك على المستوى الاقتصادي، وكفاح كبير في هذا المجال، تحرك فيما يتعلق بالتكافل الاجتماعي، طبعاً لا يتسع الحديث للدخول في كل التفاصيل، تحرك مستمر، يعبر عن حيوية هذا الشعب ونشاطه، بالمظاهرات، بالوقفات، بالقوافل (قوافل الرجال، وقوافل المال)، تحرك نشط على المستوى التوعوي والإعلامي والتعبوي، نشاط مستمر وعمل مستمر في توثيق الجرائم الإنجازات أيضاً.

وهناك عطاء كبير في إطار هذا الصمود، أول عنوانٍ لهذا العطاء هو الشهداء، في كل يوم هناك قوافل من الشهداء، وهناك أيضاً ما يعبر عن هذا العطاء، وما يجسد هذا العطاء، في معاناة الجرحى والأسرى، وفي معاناة أسرهم، وفيما يقدمه المرابطون في مختلف الجبهات، من مواقف بطولية مشرفة وعظيمة في التصدي للعدوان، في مختلف الجبهات.

هناك إسهام من مختلف أبناء هذا البلد، وطبعاً الأحرار والذين يستشعرون المسؤولية، حتى على مستوى النساء هناك إسهام عظيم ومشرف، وتضحيات كبيرة، وصبر عظيم، وعطاء كبير، وبذل للمال، وحتى لِلحُلي، وصبر على المعاناة، ومن مختلف أبناء هذا البلد، هناك عطاء وتضحية، والكلام يطول جداً في هذا السياق.

ثمرة هذا الصمود أننا جسدنا قيمنا ومبادئنا، على المستوى الإنساني والأخلاقي والإيماني، وأيضاً على المستوى الميداني، وحفظنا لأنفسنا - بعون الله "سبحانه وتعالى"- الحرية والاستقلال والكرامة، وحفظنا لأولادنا ولأجيالنا القادمة، حفظنا لهم مستقبلهم؛ لكي يكونوا أحرار، وأعزاء، ومستقلين. [المحاضرات الرمضانية ١٤٣٩]

الجهاد معناه: بذل الجهد في كل المجالات لإقامة دين الله، لم يعد يعتبر الموقف من العدو نفسه إلا موضوعاً من مواضيع إقامة دين الله الذي يبدأ من داخل الناس أنفسهم هم، استقامتهم فيما بينهم، ألم نتحدث عن هذا سابقاً؟ القضايا الأساسية لأمة تتحرك لأن تجاهد أن تقدم نفسها نموذجاً فعلاً في التعامل فيما بينهم، في صدقهم مع بعضهم بعض، في إخائهم، في تآلفهم، في قوتهم، في منطقهم، في حكمتهم. بمعنى: العمل لإقامة دين الله، هذا هو الجهاد في سبيله، يشمل الكلمة، ويشمل القلم، ويشمل أشياء كثيرة جداً، ويشمل السلاح بمختلف أنواعه، فالجهاد هو هذه القائمة الواسعة، تتحرك فيها لا تنظر إلى مجال دون مجال، لا تنظر إلى مجال الكلمة، وتنسى موضوع إعداد القوة، قوة السلاح؛ لأنك ستخسر، كلمتك تتبخر في الأخير، لا تركز فقط على موضوع إعداد السلاح دون أن تعرف القضايا الأخرى التي يجب أن تعدها، القضايا النفسية، والمعنوية، والتربوية، والثقافية .. إلى آخره، هذا هو الجهاد في سبيل الله، لا أن تقول الجهاد كذا، أو الجهاد كذا.

معنى الجهاد

«يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ»

{يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ} أليس هنا ألغى موضوع: قومية، وطنية، تربة وطن، حجار وطن، وأشياء من هذه، لن يكون لها فاعلية على الإطلاق، لن يكون لها فاعلية، هم ينطلقون يجاهدون في سبيل الله، من أجل الله، وفي الطريق التي رسمها للمجاهدين، يوجد سبل كثيرة تحمل عنوان: الجهاد، وهي سبل عوجاء، أما كلمة: جهاد في سبيل الله - ويمكن أي واحد يدعيها - هنا يبين لك سبيله، طريقه، هي طريق هو رسمها هو للمجاهدين من أجله أن يسيروا عليها في جهادهم.

مثلما قلنا سابقاً: أنه تجلى من خلال قصة طالوت وجنوده، تلك النوعية التي انطلقت في سبيل الله، هي فعلاً التي تحمي الأوطان والأعراض، أليست هي التي ستحمي الأوطان والأعراض؟ أما من يرفعون عبارات: وطنية، وقومية، أحياناً هم من يبيعون الأوطان والأعراض هم، أو حتى لو كان مخلصاً ستكون القضية قابلة للثغرات، يأتي العدو يدعم جهة معينة، وترفع شعارات قومية متفوقة على شعاراتك، وترى وكأنها تضرب العدو ضربات رهيبة، مثلما عملوا لاحتواء الثورات في القرن الماضي، آخر مثال لها [أرتيريا] تحرك المجاهدون المسلمون مساكين مقاتلين خلال فترة طويلة، رآهم الصهاينة وإذا هم ربما سينجحون، ربما تقوم دولة مسلمة، وعناوين - هم ليسوا فاهمين هذه: أهمية الارتباط بسبيل الله - من أجل الوطن، تحرير الوطن، إخراج المحتل، وأشياء من هذه .. جاء [أفورقي] هو ومجموعته، ومنظمته، وإذا هم وطنيون أكثر منهم، وإذا هم أيضاً لديهم إمكانيات يستطيعون أن يضربوا، وإذا هم فرحوا بهم، فرحوا، نعمة أنه قد صار معنا ناس، وفي الأخير وإذا هو ماذا؟ نوعية ثانية، وإذا المجاهدون المساكين الذين قتل كثير منهم، ودمرت بيوتهم وأموالهم، وإذا بهم قد صاروا معارضة هناك، وإذا أرتيريا صارت بلداً مرتبطاً بإسرائيل!.

لكن في سبيل الله لا يمكن على الإطلاق أن تزيف المسيرة، لا يمكن لأحد أن يزيفها

إلا إذا فهمنا أن سبيل الله مجرد عنوان، سبيل الله يعني: من أجله، لا ترفع شعاراً آخر على الإطلاق، سبيل الله، تجاهدون في سبيل الله، وتفهم سبيله وفق الطريقة التي رسمها هو، أين رسمها؟ في القرآن، أليست في القرآن مرسومة؟ هذه هي الطريقة التي لا يمكن أن تخترق، ويخترقها مزيفون، ولو رفعوا عناوين: جهاد في سبيل الله، لا يمكن على الإطلاق، وإلا فالمرحلة خطيرة جداً، مرحلة قد يزيف لك الأمريكيون حركة معينة ويقولون: في سبيل الله، وجهاد في سبيل الله، وقد عملوا هذه في الماضي، ألم يعملوها؟.

لهذا يجب أن يكون هناك وعي تام، وإلا فقد تتحرك وأنت لا تدري، وباسم في سبيل الله عندما ترى منظمة أخرى أكثر فاعلية، وتحمل جهاداً في سبيل الله عنواناً، ثم تبدو في الأخير وإذا هي وهمية تتحرك متى ما أرادت أمريكا، وتجلس متى ما أرادت، في الأخير تراها إنما كانت [فخ] من أجل ماذا؟ من أجل تذوب كل الانفعالات ضد أمريكا في ماذا؟ في بؤرة لا تشكل خطورة عليها نهائياً، ثم في الأخير يظهر وإذا أولئك المجاهدون يتبخرون لا يوجد هناك شيء، ولا ترى بعد إلا أمريكا في وطنك، أو إسرائيل.

هذه القضية هامة، الآية تعطينا منهجاً متكاملاً، متكامل في كيف نكون نحن، وكيف نعمل بعون الله وتوفيقه، يحاول واحد يتعامل مع الله، يدعوه، وفي نفس الوقت كيف يكون توجيهنا للناس، لا نستخدم عبارات: وطن على الإطلاق، ونحن قلنا في هذه سابقاً، عند آية طالوت وجنوده قلنا: إن الله ضرب مثلاً لنا من داخل بني إسرائيل، عندما يقولون الآن: لا نريد عداءً دينياً، نقول: أنتم وجدناكم في مرحلة كنتم مستضعفين، وقد أخرجتم من دياركم، وأبنائكم اتجهتم إلى نبي من أنبيائكم تقولون: ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، أليس هكذا؟ فنحن نعمل مثلكم فقط، نرفع نفس الشعار الذي رفعتموه، وقامت بعده أعظم دولة لبني إسرائيل في تاريخهم إلى الآن.

كيف يمكن للإنسان أن يصل إلى درجة {وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ}؟ إذا كان مستبصراً بالقرآن، مستنيراً بنور القرآن، مستبصراً ببصائر القرآن، مهتدياً بهديه، وإلا فسيقعده اللوم في أي مرحلة من المراحل، لوم عالم، أو لوم قريب، أو لوم بعيد، أو لوم سلطة، أو لوم من أي جهة كان. تجد هذه النوعية فعلاً عندما ينظر واحد إلى المرحلة هذه، هذه النوعية الوحيدة التي يمكن أن تقف في وجه بني إسرائيل بفاعلية، ويمكن تهزم فعلاً بني إسرائيل، هذه الفئة؛ لأنه قدم نوعية هي التي يجب أن تتوفر فيها الصفات الضرورية، والتي تجعل كل مؤامراتهم، وشعاراتهم،

وعناوينهم، وخداعهم تتبخر عندما تصطدم بهذه النوعية، غيرها سيتبخرون هم أمام بني إسرائيل فعلاً.

وهنا يبين بأن هذه القضية بالشكل الذي تجعل الآخرين يحسون بأنهم في خسارة، المرتدين عن الجهاد، عندما يأتي بعد فيقول: {ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ} (المائدة من الآية: ٥٤) هذا فضل من الله الذي تتهرب منه، وتحاول أنك تعمل لك أشياء، وتلفق أشياء حتى لا يلزم، أو تتمسك بأشياء معينة، أو تخاف .. أنت تبعد نفسك عن الفضل، تبعد نفسك عن فضل عظيم، فكأنك تثبت بأنك غير جدير بذلك الفضل، لأن الله قال: {يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ}.

تلاحظ هنا أنه تبدو الآية فعلاً توحي بأنه قد تصل الأمة إلى حالة لا يعد يبقى لديها مقومات بناء نوعية كهذه، إنما من جهة الله هو فعلاً، لا في تراثها، ولا في منطقها، وفعلاً هل هذا موجود؟ لو تعود إلى تراثنا، تراثنا نحن الفئة أهل الحق التي نقول دائماً: هم أهل الحق، سيكون هذا التراث بالشكل الذي يقعدك، وما الذي معك عندما تقرأ؟ معك أصول فقه، علم كلام، كتب ترغيب وترهيب، تفسير آخرين، أشياء من هذه تقعدك، ورأيناها أقعدت من؟ أقعدت من حملوها، وأقعدت من اتبعوها، أليست هذه القضية واضحة؟ ما بالك بما لدى الآخرين فعلاً. إن هذه نوعية لا تبنى إلا من جهة الله {ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (المائدة من الآية: ٥٤).

من دروس رمضان درس ٢٢ للشهيد القائد

الجهاد ضرورة حتمية لاستقامة الحياة

القرآن الكريم في حديثه الواسع عن الجهاد في سبيل الله تحدث من جوانب كثيرة، وحديثاً شاملاً، وفي مقدِّمة ما تحدث به القرآن الكريم عن الجهاد: أنه ضرورةٌ واقعيةٌ، يلبي حاجةً، ويسد حاجةً يحتاجها الناس، ويحتاجها المؤمنون، لابدَّ منه لهم في واقعهم، الله "جلَّ واقعنا كبشر لا نتوقع فيه أنه سيكون مستقراً، وهادئاً، وسليماً من الظلم، والفساد، والباطل، وواقعاً يسوده الاستقرار، فأتى الجهاد ليخرِّبه، من لديه هذه النظرة فهو إنسانٌ غبيٌ بكل ما تعنيه الكلمة، من يتصور أنَّ واقع الحياة سيكون في الأساس مستقراً، هادئاً، سليماً من الظلم، من الاضطهاد، من القهر، من الإذلال، ويسوده الهدوء، فإنما عندما يأتي الجهاد هو الذي يخرِّب هذا الوضع على الإنسان، ويضيف له مشاكل، ويدخله في مشاكل كان في غنىً عنها، ليست المسألة كذلك أبداً.

ظروف حياة البشر، ظروف حياتهم، وجزءٌ أساسيٌ من واقع حياتهم، هو: حالة الصراع، فيها صراعٌ كبير في حياتهم، هناك من البشر من هم أشرار، من هم طغاة، من هم مجرمون، من هم متسلطون، إذا لم توجد حالة الردع، للحد من طغيانهم، من شرهم، من فسادهم، من منكرهم، من باطلهم؛ فكل شرهم، إجرامهم، طغيانهم، فسادهم، ظلمهم، منكرهم، يتجه إلى واقع الحياة، إلى البشر، إلى المجتمعات نفسها، وبدون رادعٍ يردعهم؛ سيتمكنون أكثر من أن يمارسوا الظلم، والإجرام، والشر، بحق الناس أنفسهم، فتفسد حياة الناس في كل شيء، ولا تستقيم الحياة على الأرض، تصبح حياة الناس مهدرة، لا قيمة لها، وكرامتهم مسحوقة، لا اعتبار لها، وحرماتهم مستباحة، فلا حرمة لها، ويصبح كل شيءٍ في الحياة فاسد، لا يستقيم شيءٌ، لا يبقى عدلٌ، لا يبقى خيرٌ، لا يبقى حقٌ، لا يبقى شيءٌ من الصلاح، لابدَّ من الجهاد هو؛ ليكون هو وسيلةً للحد من إجرامهم، من طغيانهم، من فسادهم، لابدَّ أن يكون هناك مسؤولية، يتحرك بها البعض من البشر، من لديهم التوجه المستقيم، الخيِّر، من يتجهون بضمائرهم الإنسانية، بإيمانهم بالله "سبحانه وتعالى"، بقيمهم، بقضاياهم العادلة، للتصدي للظلم والشر والفساد.

شأنه" قال في القرآن الكريم: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} [البقرة: من الآية ٢٥١]. وهذه أول مسألة يجب أن نعيها جيداً: أنَّ واقع الحياة فيه صراع، وفيه أشرار، وفيه طغاة، وفيه مجرمون، وأنَّ الجهاد ليس هو الذي أضاف مشكلةً وصراعاً في واقع المجتمع البشري، بل على العكس، هو يأتي لأن دين الله "سبحانه وتعالى" هو نَظْمٌ لشؤون الحياة، وليس إضافةً لأعباء إلى واقع الحياة تمثل مشكلةً فيها؛ إنما هو نَظْمٌ لنفس شؤون الحياة، ففي شؤون حياتنا، في واقع حياتنا تحديات، وأخطار، وشر هناك، وفساد هناك، ومنكر هناك، يُنظِّم لنا القرآن الكريم كيف سنتعامل مع هذا الواقع، وكيف سنتحرك بشكلٍ صحيحٍ وإيجابي للتصدي لتلك المخاطر القائمة في واقع حياتنا، وهذه مسألة مهمة جداً؛ لأن المسلمين في كثيرٍ من مراحلهم التاريخية، ونتيجةً للسياسات السيئة لحكام الجور، وسلاطين الجور، ولعلماء السوء، كانوا قد أُزيحُوا نهائياً عن مسألة الجهاد في سبيل الله، وعطِّلت هذه الفريضة، وغابت عن وعي الناس، وعن اهتماماتهم، وأصبحت النظرة إليها سلبية.

الجهاد في سبيل الله هو فريضةٌ من فرائض الله

الجهاد في سبيل الله هو فريضةٌ من أهم فرائض الدين، ومن ضمن الالتزامات الإيمانية الأساسية، التي على الإنسان المؤمن، إلَّا من عذرهم الله "سبحانه وتعالى" في الآيات القرآنية، ونصَّ عليهم، ونصَّ على عذرهم، وإلَّا فعلى غيرهم أن يتحركوا، أن يستجيبوا لله "سبحانه وتعالى".

والقرآن الكريم أكَّد على هذا كثيراً؛ لأن الحديث عن الجهاد هو أكثر من الحديث عن أي فريضةٍ أخرى من فرائض الله في القرآن الكريم، فالله تحدث عن الجهاد بأكثر مما تحدث عن الصلاة، وعن الصيام، وعن الحج، وعن الزكاة...وعن مجموع تلك الفرائض، الحديث عنه واسعٌ جداً في القرآن الكريم.

يقول الله "سبحانه وتعالى" في القرآن الكريم: {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [النساء: من الآية ٧٦]، فجعله من صفاتهم اللازمة، من شأنهم أن يكونوا هكذا؛ لأن هذا جزءٌ من التزاماتهم ومسؤولياتهم الإيمانية، ذات العلاقة بإيمانهم، {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} [النساء: الآية ٧٦]. يقول الله "سبحانه وتعالى" في القرآن الكريم: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: الآية ١١١]، فيأتي الحديث عمَّن؟ عن المؤمنين، باعتبارهم باعوا أنفسهم وأموالهم من الله "سبحانه وتعالى".

مستوى العلاقة الإيمانية بالله "جلَّ شأنه" تصل إلى هذا المستوى: الذي ينطلق فيه الإنسان بائعاً نفسه من الله، والله هو المالك للنفس؛ إنما جعل الله هذا الباب، وفتحه لخاصة أوليائه، كما قال أمير المؤمنين عليٌّ "عليه السلام" عن الجهاد: ((**بابٌ من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه**))، فالله هو المالك للنفس البشرية، الله هو المالك لكل نفس، لكل ما في السماوات والأرض، المالك لنفس البَّر، ونفس الفاجر، والمؤمن والكافر، لأنفس البشر جميعاً، لكل المخلوقات بكلها، هو الملك، مع ذلك أتاح لعباده المؤمنين أن يبيعوا أنفسهم منه ضمن صفقةٍ، هي صفقة الجهاد في سبيل الله، كما قال في آيةٍ أخرى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} [البقرة: من الآية ٢٠٧]، فتستثمر تضحيتك في سبيل الله "سبحانه وتعالى"، لتكون بالنسبة لك صفقةً بينك وبين الله، تحصل من خلالها

على الأجر العظيم، على الفضل الكبير، {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} [التوبة: من الآية ١١١]، فيكافئك على ذلك بهذا العطاء العظيم، العطاء الواسع، الحياة الهنيئة، السعادة الأبدية.

وواقع الكثير من البشر أنهم يبيعون أنفسهم، ومواقفهم، فيقاتلون، ويَقتُلون ويُقتَلون، مقابل رغبات مادية، وأهواء ومطامع، ومقابل إغراءات حصلوا عليها من هنا أو هناك، من جهاتٍ أخرى، هي تقف ضد الحق، جهات عندما يقاتل الإنسان في سبيلها، حتى لو كان في مقابل كل الدنيا، فهو خاسر؛ لأنه أسخط الله، وخدم الباطل، ووقف في صف الظالمين، والطغاة المجرمين، المعتدين، واكتسب الوزر الثقيل في الظلم معهم، في مشاركتهم في ظلمهم، وطغيانهم، وعدوانهم، وإجرامهم، والتمكين لباطلهم؛ فيتحمل الأوزار الثقيلة، التي تكون سبباً لهلاكه وخسرانه الدائم والعياذ بالله.

أمَّا مع الله "سبحانه وتعالى"، فأنت تقدم ما هو لله أصلاً، في مقابل أن تحصل على ذلك الأجر العظيم الذي وعد الله به، وتؤمِّن مستقبلك السعيد للأبد، {بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} [التوبة: من الآية ١١١]، هذا هو من شأن المؤمنين، هكذا هي علاقتهم بالله، هذا مستوى علاقتهم بالله "سبحانه وتعالى".

لكي يتحقق الإيمان لابد من الجهاد في سبيل الله

يقول الله "جلَّ شأنه" في رده على الأعراب: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} [الحجرات: من الآية ١٤]، وكانوا يريدون إيماناً بدون جهاد، فقال الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحجرات: الآية ١٥]، فهذا السياق، وبنفس هذه الصيغة أيضاً: {إِنَّمَا} {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}، تبين أنَّ مصداقية الإنسان في انتمائه الإيماني، وادِّعائه للإيمان، تتوقف على كمال إيمانه، من ضمن ذلك بقيامه بهذه الفريضة العظيمة، واهتمامه بها، كجزءٍ من التزاماته الإيمانية والدينية، فتكون المسألة أنَّ الإنسان الذي قد يعتبر نفسه مؤمناً كامل الإيمان، ومن المؤمنين، وأنه قد حاز ما وعد الله به المؤمنين، وحاز الصفات التي وصف الله بها المؤمنين، وهو ممن لا يريد الجهاد في سبيل الله "سبحانه وتعالى"، ويتخلف

عـن الجهـاد في سـبيل اللـه بغـير أي عـذر، وهـو كارهٌ للجهـاد في سـبيل اللـه، متنصلٌ عـن هـذه المسـألة، يعتبرهـا خـارج اهتماماتـه نهائيـاً، وليـس لـه بهـا أي علاقـة، لا مـن قريـبٍ ولا مـن بعيـد، منـصرفٌ عـن ذلـك بشـكلٍ تـام، ومـضربٌ عـن ذلـك بشـكلٍ تـام، فليـس بمؤمـنٍ أبـداً، فليـس بمؤمـنٍ أبـداً، ورد في الحديـث عـن رسـول اللـه "صلـوات اللـه عليـه وعـلى آلـه": ((**مـن مـات ولم يغـزُ، ولم يُحَـدِّث نفسـه بالغزو، مات على شعبةٍ من النفاق**)).

الإنسـان لا يمكـن أن يتحقـق لـه الإيمـان الصـادق، إلّا ويشـعر بأهميـة الجهـاد في سـبيل اللـه "سـبحانه وتعـالى"، ويعتبرهـا كفريضـةٍ مـن التزاماتـه الإيمانيـة والدينيـة، ويسـعى في ذلـك بحسـب المسـتطاع، فـإذا كان الإنسـان في ظـروف قـد تهيـأت لإحيـاء هـذه الفريضـة، في وسـط شـعبٍ مجاهـد، أو في وسـط أمـةٍ مجاهـدة، فالمسـؤولية أكـبر، والـوزر في التخلـف والتنصُّـل عـن المسـؤولية، والتهـرب، الـوزر كبـير، والذنـب عظيـم، تكـون جريمـةً كبـيرةً جـداً، عندمـا يتنصـل الإنسـان عـن هـذه المسـؤولية، بعـد أن هيـأ اللـه لـه الظـروف للقيـام بهـا، مـن أعظـم النعـم، مـن أكـبر النعـم فيـما يتعلـق بهـذه الفريضـة: أن تكـون وسـط شـعبٍ مجاهـد، أو وسـط أمـةٍ مجاهـدة، قـد أحيـت هـذه الفريضـة، قـد تعاونـت عـلى إحيائهـا وإقامتهـا، وأصبحـت تتحرك فيها، أنت أمام فرصةٍ حقيقيةٍ لكمال إيمانك.

تكـون بعـض الوضعيـات صعبـةً جـداً في بيئـةٍ، أو في شـعبٍ، أو في بلـدٍ، لم يبـدأ فيـه أي تحـركٍ في هـذا الاتجـاه الـذي يكتمـل فيـه إيمانـك، فتبقـى المسـؤولية عـلى الجميـع في تقصيرهـم، في تخاذلهـم، وتكـون المسـألة بالنسـبة لهـم مسـألة صعبـة، حتـى يبدؤوا، تكون البداية- عادةً- صعبة.

فـإذا تهيـأت الظـروف، وابتـدأت الانطلاقـة، وتجـاوز النـاس الحواجـز، التـي عـادةً مـا تكـون في البدايـة حواجـز كبـيرة، وأصبـح الظـرف والواقـع كلـه في ظـل أجـواء الجهـاد في سـبيل اللـه، والتحـرك في سـبيل اللـه بالمـال والنفـس، وفي كل مجـال مـن المجـالات، في إطـار عمـلٍ مترابـطٍ متكامـل، فهـذه هـي نعمـةٌ عظيمـةٌ جـداً، نعمـةٌ لكـمال الإيمـان، وفي نفـس الوقـت مسـؤوليةٌ يكـبر فيهـا ويعظـم فيهـا الإثـم عنـد التخـاذل، وعنـد التقصـير، وعنـد التفريـط، وعنـد التهـاون، وعنـد التنصـل عـن المسـؤولية؛ لأن ظـروف المسـلمين في واقعها العام هي ظروف تستدعي من كل الأمة أن تتحرك.

وكـما قلنـا بالأمـس: التاريـخ يثبـت أنَّ كل النكبـات الكـبرى عـلى الأمـة أتتهـا في ظـل تخاذلهـا عـن إحيـاء هـذه الفريضـة، وأنَّ أهـم المراحـل لعـزة الأمـة، وقـوة الأمـة، ومنعـة

الأمة، وحضورها الفاعل في المجتمع البشري، هو: عندما أحيت هذه الفريضة، في المقدمة في عصر رسول الله "صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله".

الظروف الراهنة للأمة، ليست ظروفاً بسيطة وعادية، ويبنى على ضوئها التوصيف والتشخيص: بأنه لا حاجة للجهاد في سبيل الله، على العكس من ذلك، حجم التحديات والمخاطر، وما تعيشه الأمة في واقعها، يستدعي منها التحرك بروحٍ إيمانيةٍ جهادية.

من كمال الإيمان الثقة بوعد الله بالنصر

الإيمان فيه ما يعزز كل ما تحتاج إليه للقيام بهذه الفريضة، ولهذا كان هناك تلازم ما بين: الجهاد في سبيل الله "سبحانه وتعالى"، والإيمان؛ لأن الجهاد في سبيل الله يقوم أساساً على مبدأ الثقة بالله "سبحانه وتعالى"؛ لكي تتحرك في سبيل الله "سبحانه وتعالى"، لكي تستجيب هذه الاستجابة الكاملة، تحتاج إلى أن تكون واثقاً بالله، متوكلاً على الله "سبحانه وتعالى"، ما الذي يكبِّل الأكثر من الناس عن التحرك في سبيل الله، عن الاستجابة الكاملة لله؟

انعدام ثقتهم بما وعد الله به من النصر، والتمكين، والتأييد، والمعونة.

حجم المخاوف والقلق لدى الكثير من أبناء الأمة، وصولاً إلى اليأس، البعض منهم يعيش حالة اليأس من إمكانية الانتصار، من إمكانية تغيير واقع الأمة، من إمكانية النهوض بهذه الأمة إلى مستوى مواجهة التحديات والأخطار، بالرغم من وجود الشواهد التي تمثل حجةً على الأمة؛ لأنها شواهد من واقع الحياة، مثل:

انتصار حزب الله في لبنان على العدو الإسرائيلي، أكثر من انتصار، على المستوى العام: انتصار عام ٢٠٠٠، وانتصار عام ٢٠٠٦، انتصارات شاملة، انتصارات كبيرة جداً، مضافاً إلى ذلك الانتصارات المتفرقة، في الغزوات، في العمليات، في الهجوم، في إطار عمليات معينة، مثَّل هذا حجةً على الأمة. انتصار المجاهدين في غزة، انتصارات متعددة تمثِّل أيضاً حجةً على الأمة.

وهكذا تأتي الانتصارات أيضاً في الجبهات الأخرى، التي يقف فيها البعض من أبناء أمتنا موقف الحق، الموقف الذي يرضي الله "سبحانه وتعالى"، فيواجهون الأعداء، ويواجهون التحديات، ويواجهون المخاطر.

انتصار شعبنا اليمني على مدى سبعة أعوامٍ مضت وانقضت، تحرَّك فيها أعداؤه

تحت رعاية الكافرين، وبتنفيذٍ مباشرٍ من المنافقين، لأكبر عدوانٍ في هذه المرحلة على وجه الأرض، وكانت النتيجة هي: الصمود، والتصدي لهذا العدوان، وتحقيق الكثير والكثير من الانتصارات، وإفشال أهداف العدو ومخططاته الرئيسية، التي كان يريد أن يصل فيها إلى نتيجةٍ حاسمة وكاملة.

وهكذا هنا وهناك، وفي العراق، وفي سوريا...وفي مواطن كثيرة.

الشواهد العملية هي تقدِّم دلالةً واضحة من الواقع، تطمئن الناس إلى أن يثقوا بوعد الله "سبحانه وتعالى" لهم، عندما يجاهدون في سبيله، عندما يستجيبون له الاستجابة الكاملة، أنه سيؤيِّدهم بنصره، سيكون معهم، عندما يقول: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: من الآية ١٥٣]، {أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [التوبة: من الآية ١٢٣]، هو يقدِّم وعداً عظيماً، يطمئن كل إنسانٍ مؤمن؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يتحقق له إيمانه، إذا لم يكن واثقاً بوعد الله، إذا لم يثق بوعد الله، يقرأ وعد الله في القرآن وعداً واضحاً صريحاً: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: الآية ٧]، أليس هذا وعداً من الله "سبحانه وتعالى" صريحاً واضحاً بالنصر؟

يقرأ قول الله "سبحانه وتعالى": {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: من الآية ٤٠]، وهو وعدٌ مؤكَّدٌ، بصيغةٍ كافيةٍ في التأكيد.

يقرأ قول الله تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: من الآية ٤٧]، وهذا التزامٌ يقدِّمه الله "سبحانه وتعالى"، وضمانةٌ إلهية كافية لأي إنسان يثق بالله "سبحانه وتعالى".

فكيف يمكن أن نقول عمَّن لم يثق بالله، بأنه مؤمنٌ بالله؟! مؤمنٌ بالله لا يثق بالله! كيف يمكن أن يكون الإنسان هكذا؟! وهذا في حقيقة الأمر ما يجعل الكثير من أبناء أمتنا الإسلامية يتنصَّلون عن هذه المسؤولية، عن التحرك في إطار الاستجابة الكاملة لله "سبحانه وتعالى"، وإحياء هذه الفريضة العظيمة، نقصٌ في ثقتهم بالله "تبارك وتعالى".

فلهذا نلحظ كيف قرن الله مسألة الجهاد بالإيمان؛ لأنه يعبِّر عن ثقتك بالله "سبحانه وتعالى"، وفي حال التنصُّل، قد يكون أهم سببٍ للتنصل عن هذه المسؤولية، وعن إقامة هذه الفريضة، هو: عدم ثقتك بالله "سبحانه وتعالى"، ولهذا أتى في قوله "جلَّ شأنه": {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} [الحجرات: من الآية ١٥]، (لَمْ يَرْتَابُوا)؛ لأنهم وثقوا، وصدَّقوا، وتيقَّنوا، فلم

يرتابوا أبداً تجاه وعد الله ووعيده، ولا تجاه ما هم عليه من الحق، وهم يتحركون في سبيل الله "سبحانه وتعالى"، فهم أهل يقين، أهل ثقة، لديهم كل الثقة بالله "سبحانه وتعالى"، والتصديق القاطع بوعده ووعيده.

من أعظم الدوافع نحو الجهاد للمصدقين بوعد الله

جانبٌ آخر أيضاً يعود إلى الإيمان، والجانب الإيماني، إضافةً إلى مسألة الثقة، والتوكل على الله، هو الرغبة فيما عند الله، والمحبة لله، والرجاء فيما وعد الله، ما وعد الله به المجاهدين في سبيله، هو المرغِّب جداً، الشيء الطبيعي للإنسان إذا وثق، إذا صدَّق: أن يرغب؛ لأنه يرغب فيما هو أقل من ذلك بكثير، وعدهم الله بالجنة، {بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ}، ويؤكِّد إلى درجة أن يقول: {وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ}، فهو يعدهم بالجنة، ويقدِّم هذا الوعد بصيغةٍ التزامية عجيبة، وقدَّمها في كتبه، كتبه السماوية المتعددة: {فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ}، وعن طريق موسى، وعيسى، ومحمد "صلوات الله عليهم"، فيؤكِّد المسألة بكل عبارات التأكيد، ويقدِّمها كضمانة مؤكَّدة، أفلا يرغب الإنسان بالجنة؟! من وثق وصدَّق وتيقن وتأكد، أَلَا يقبل من الله هذه الضمانة؟! أَلَا يثق فيها؟! أَلَا يمكنه الاطمئنان إليها، والاعتماد عليها؟! ولهذا المسألة تلامس وجدان الإنسان، ضميره، عمق مشاعره ووجدانه.

عندما يتأمل الإنسان في موقفه من ذلك، ما الذي يثبِّطه؟ ما الذي يؤثر عليه سلباً؟ ما الذي ينفِّره من فريضةٍ هذا مكسبها؟ إضافةً إلى مكاسبها العاجلة في الدنيا نفسها: {نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ} [الصف: من الآية ١٣]، وسيأتي الحديث عن ذلك.

أضف إلى ذلك: الأجر العظيم، العزة، الكرامة، الخير، والرعاية الواسعة من الله، الهداية...أشياء كثيرة جداً وعد بها الله "سبحانه وتعالى"، يفترض أن تكون دافعاً كبيراً، ومرغِّباً عظيماً.

كما أنَّه يدل على اعتزاز الإنسان بانتمائه الإيماني والديني، عندما يتحرك في سبيل الله "سبحانه وتعالى"، والذين ستتحرك لمواجهتهم من هم؟ هم المجرمون، المعتدون، الأشرار، الطغاة، الظالمون، المفسدون في الأرض، الذين يمثِّلون شراً على المجتمع البشري، والذين هم دائماً ما يكونون في موقع الاعتداء والظلم والتجبر، ويستهدفون الأمة في قيمها، ومبادئها، ومقدَّساتها، ودينها، إضافةً إلى تركيزهم على السيطرة على

الأمـة، ومقدراتهـا، وثرواتهـا، وخيراتهـا، ومـا يفعلونـه هـم يظلمـون الأمـة، يظلمـون النـاس، يسـومونهم سـوء العـذاب، فهـذه الحالـة عندمـا يكـون الإنسـان في إطـار انتمائـه الإيمـاني، وجـزءٌ مـما يركِّـز عليـه الأعـداء، هـو: طمـس هـذه الهويـة الإيمانيـة، ومحاربـة هـذا الانتـماء الإيمـاني الأصيـل، عندمـا يكـون في تكاملـه وأصالتـه، فهـو يمثـل إزعاجـاً، لهـم وهـم يحاربونـه، في هـذه الحالـة الإنسـان المؤمـن، واعتـزازه بإيمانـه، وقيمـة الإيمـان، ومـا يرتبـط بـه في نفسـه مـن سـمو وكرامـة، يجعلـه راغبـاً، يـرى في هـذه الأعـمال التـي أمرنـا اللـه بهـا أعـمالاً عظيمـة، أعـمالاً مقدَّسـة، أعـمالاً مهمـة، يـشرف بهـا الإنسـان، وفي نفـس الوقت تفيد المجتمع، وهي ضروريةٌ لدفع الشر عن المجتمع.

أهميـة الجهـاد، وأثـره، وضرورتـه لكـمال الديـن وإقامتـه: لا يمكـن إقامـة الديـن في واقـع الأمـة، لـكي تحقـق لنفسـها الاسـتقلال عـن التبعيـة لأعدائهـا، وتنظـم مسـيرة حياتها عـلى أسـاس انتمائهـا الإيمـاني والدينـي، إلَّا بالجهـاد؛ لأن الأعـداء- أصـلاً- يعملـون عـلى الحيلولة دون ذلك.

الجهاد معيار لصدق الانتماء الإيماني

مـا يسـعى لـه أعـداء الأمـة مـن الكافريـن، ومـن معهـم مـن المنافقـين: أن تبقـى الأمـة خاضعـةً لأعدائهـا، لسياسـاتهم، لتدابيرهـم، لإملاءاتهـم، لمـا يريـدون أن يفرضـوه هـم عـلى الأمـة، وهـو شرٌ عـلى الأمـة، وضرٌ عـلى الأمـة، وفسـادٌ عـلى الأمـة، ولكنـه يحقـق مصالـح أعدائهـا، فيسـعى أعداؤهـا أن يفرضـوه عـلى الأمـة؛ ليكـون أساسـاً للسياسـات، والمواقـف، والأمـور التـي تُنظَـم بهـا شـؤون الأمـة في كل مجـالات الحيـاة: السياسـية، والاقتصاديـة، والاجتماعية...وغيرها، هم يعملون على هذا الأساس.

عندمـا تتوجـه الأمـة توجهـاً صادقـاً للاسـتقلال الحقيقـي، الـذي تفصـل بـه تبعيتهـا لأعدائهـا، تفصـل هـذه التبعيـة عـن أعدائهـا، وتـترك هـذه التبعيـة لأعدائهـا، وتتَّبـع مـا أنـزل اللـه، وتتَّبـع هـدى اللـه، وتتَّبـع الحـق الـذي مـن ربهـا "سـبحانه وتعـالى"، وتقتـدي بنبيهـا، وتتمسـك بقرآنهـا، وتَنظِـم مسـيرة حياتهـا ومواقفهـا عـلى أسـاس ذلـك، فهـذا هـو جوهـر المشـكلة الرئيسـية مـع الكافريـن في كل زمـن، الكافريـن في هـذا العـصر، عـلى رأسـهم الأمريكيـون، والإسرائيليـون، ومـن معهـم، أو في الأزمنـة الماضيـة، فلابـدَّ أيضـاً مـن الجهاد في سبيل الله؛ لأن الأمة تُحَارَب في أن تتوجه كهذا التوجه الاستقلالي المتحرر.

ويصبـح الجهـاد في سـبيل اللـه "سـبحانه وتعـالى" مـع ذلـك، مـع الانتـماء الإيمـاني، معيـاراً يبـيِّن مـدى مصداقيـة الإنسـان في انتمائـه الإيمـاني؛ لأن الـكل مـن المنتمـين للإسـلام

يأتون ليقولوا عن أنفسهم: بأنهم من المؤمنين، ومن الذين آمنوا، وأنهم في خط الإيمان، وفي طريق الإيمان، فيأتي قول الله "سبحانه وتعالى": {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً} [التوبة: من الآية ١٦]، يعني: لابدَّ من أن تُختَبروا في مصداقيتكم، في انتمائكم الإيماني، عن طريق (الجهاد، والولاء)، في جهادكم وولائكم، ما يمكن أن يمثل معياراً حقيقياً يكشف المصداقية، مع اهتمام الإنسان ببقية فرائض الدين، والتزاماته الإيمانية الأخرى، لكن يأتي أيضاً هذا، هذا الالتزام: الجهاد، والولاء.

{وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً}؛ لأن الذي يوالي أعداء الله، يوالي خارج هذا الإطار: خارج إطار الله، ورسوله، والمؤمنين، فيوالي الكافرين، يوالي المنافقين، يعتبر من صف المنافقين بولائه لهم، فالخروج عن هذا الإطار الإيماني في الولاء، وعدم القيام بهذه المسؤولية في الجهاد في سبيل الله، في المجالات الجهادية، يجعل الإنسان مفضوحاً ومكشوفاً، وأنه غير صادق في انتمائه الإيماني.

يقول الله "سبحانه وتعالى": {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} [محمد: الآية ٣١]، تمثل الأحداث نفسها، التي هي ضمن واقع الحياة، ومن واقع الحياة، تمثل اختباراً لك في الموقف، والموقف جزءٌ أساسيٌ من الدين، موقفك، عندما تريد أن تجعل موقفك بعيداً عن انتمائك الإيماني، عن انتمائك الديني، عن علاقتك بالله "سبحانه وتعالى"، وتجعله وفقاً لمزاجك الشخصي: إمَّا في إطار مخاوفك، وإمَّا في إطار رغباتك وأهوائك، فهي حالةٌ تكشفك، أنك بعيد عن الانتماء الصادق، عن مصداقية الانتماء.

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ}، المجاهدين الذين يستمرون، العبارة نفسها تفيد الاستمرارية في الجهاد، ليست على أساس أن تتجه إلى مرحلة معينة، ثم تكتفي، وتقول: [أنا قد قمت بواجبي، وأدَّيت ما عليّ، ولم يعد عليّ أي اهتمام، ولا أي التزام، ولا أي شيء نهائياً]، وتتنصل بدون عذرٍ من الأعذار التي ذكرها الله في القرآن الكريم.

«وَالصَّابِرِينَ»: الذين يستمرون في صبرهم تجاه مختلف التحديات.

فيمثل معياراً مهماً، يجعله الله "سبحانه وتعالى" مفيداً حتى للإنسان تجاه نفسه، وحتى للمجتمع تجاه بعضه البعض؛ لأن البعض من الناس قد ينظرون إلى البعض الآخر، إلى أنهم من المؤمنين المتدينين، الذين يمثِّلون الإيمان على أرقى المستويات، وأنهم في موقع القدوة الإيمانية، يعني: يرى فيهم القدوة الذين يقتدي بهم في طريقتهم الإيمانية، وقد يكونون ممن هم معرضون كلياً عن مسألة الجهاد في سبيل الله، وعن الموقف الحق، مضربون تماماً عن ذلك، ففي معيار الله، في ميزان الله الحق، ليسوا من المؤمنين، ولا ممن يُقتَدى بهم إيمانياً، فيمكن للإنسان أن يحذر من ذلك، ألَّا يقتدي بهم، أن يتركهم فيما هم عليه، فيما ارتضوه لأنفسهم، وأن يسعى لكمال إيمانه؛ لأنه بحاجةٍ إلى ذلك.

عندما يأتي يوم القيامة سيكون الحجة عليه هو القرآن، آيات الله، كلمات الله، {أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ} [المؤمنون: من الآية ١٠٥]، لن ينفعه فلان، ولا فلان، ولا فلان، الذي رأى فيه أنه العابد، الزاهد، المؤمن، المتدين، الذي ليس له أي موقفٍ ضد أعداء الله، وليس على استعداد أن يكون له حتى كلمة واحدة ضد أعداء الله، ويبذل كل جهده في أن يحتاط وينتبه من أن تخرج منه ولو ربع كلمة، ولو أي شيءٍ يعبِّر عن موقف، موقف حق ضد أعداء الله، واتجاهه مُضْرِبٌ عن ذلك كلياً، فهذه المسألة مسألة خطيرة على الإنسان.

البعض قد يُفَصِّل له القدوة الذي يقتدي به وفق مزاجه الشخصي، [قدوة رطيب]، يتصور أنه لا يسبب له المشاكل، ولا يدفع به إلى ما هو صعب، الناس ينظرون إلى مسألة الجهاد في سبيل الله وكأنها مسألة صعبة، وكأنها مسألة معقَّدة، لكن المعيار الحق هو معيار الله، الذي جعله هو معياراً يجلّي واقع عباده:

من هو المستجيب كامل الاستجابة لربه، من هو المطيع حقاً، من هو الواثق بربه حقاً، من هو الذي ارتقت علاقته الإيمانية إلى المستوى الأعلى، في استعداده حتى أن يضحي بنفسه في سبيل الله "سبحانه وتعالى".

ومن هو المستجيب في حدود معينة، في إطار معين، بعيداً عن مخاوف معينة وأخطار وصعوبات وتحديات، وفي هامشٍ محدود.

ضرورة الجهاد لرعاية وحماية العباد

المجاهدون في فلسطين ألم يقووا بالجهاد؟ حزب الله ألم يقوَ بالجهاد؟ الجمهورية الإسلامية ألم تقوى بالجهاد، إلى مستوى متقدم وصلت من العزة والمنعة؟ المجاهدون في العراق ألم يقووا بالجهاد؟ عندنا في اليمن ألم نقوى بالجهاد؟ في التاريخ بكله، في مسيرة الإسلام الأولى، في حركة رسول الله "صلوات الله عليه وعلى آله" وهو الأسوة والقدوة، ألم يقوَ المسلمون بالجهاد؟ كانوا في حالة استضعاف، في حالة قهر، في حالة اضطهاد، قال الله لهم: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} [آل عمران: من الآية ١٢٣]، كانوا في وضعية قهر، واضطهاد، وإذلال، فمنحهم الله بالجهاد النصر، والقوة، واستمر المسار التصاعدي في قوتهم، إلى أن وصل المسلمون آنذاك إلى الأمة الأقوى في الساحة العالمية، الأمة التي تهاوت وتساقطت أمامها جيوش دول كبرى، وامبراطوريات ضخمة آنذاك قائمة على وجه الأرض، كان ذلك بالجهاد.

المجاهدون في فلسطين ألم يقووا بالجهاد؟ حزب الله ألم يقوَ بالجهاد؟ الجمهورية الإسلامية ألم تقوى بالجهاد، إلى مستوى متقدم وصلت من العزة والمنعة؟ المجاهدون في العراق ألم يقووا بالجهاد؟ عندنا في اليمن ألم نقوى بالجهاد؟ في التاريخ بكله، في مسيرة الإسلام الأولى، في حركة رسول الله "صلوات الله عليه وعلى آله" وهو الأسوة والقدوة، ألم يقوَ المسلمون بالجهاد؟ كانوا في حالة استضعاف، في حالة قهر، في حالة اضطهاد، قال الله لهم: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} [آل عمران: من الآية ١٢٣]، كانوا في وضعية قهر، واضطهاد، وإذلال، فمنحهم الله بالجهاد النصر، والقوة، واستمر المسار التصاعدي في قوتهم، إلى أن وصل المسلمون آنذاك إلى الأمة الأقوى في الساحة العالمية، الأمة التي تهاوت وتساقطت أمامها جيوش دول كبرى، وامبراطوريات ضخمة آنذاك قائمة على وجه الأرض، كان ذلك بالجهاد.

مستوى التحديات، والحالة العدائية الشديدة جداً، التي واجهها النبي "صلوات الله عليه وعلى آله" في محيطه العربي، والعرب كانوا آنذاك شرسين جداً في القتال، وأشداء جداً في القتال في العصر الجاهلي، وكانوا يقاتلون على أبسط الأمور أشرس القتال وأشده، فتحرَّكوا وارتبط معهم أيضاً الخبث اليهودي، تحالفوا مع اليهود ضد رسول الله "صلوات الله عليه وعلى آله" وضد المسلمين، وكان المسلمون قلة في العدد، وكانت إمكاناتهم متواضعة، ويعيشون الظروف الصعبة، ويتحركون بالممكن، والمستطاع، والحاصل، فيتحركون ويأخذون بأسباب النصر، لكن كان أداء رسول الله "صلوات الله عليه وعلى آله" ونشاطه المكثف، الذي استمر- كما قلنا

بالأمس- استمر من الشهر السابع في السنة الأولى للهجرة، الذي هو بعث السرايا المقاتلة، والاستكشافية، والعسكرية، استمر بعد ذلك أيضاً معه الغزوات الكبرى بشكلٍ مكثف، لم يتوقف ولا لعامٍ واحد، بل في العام الواحد في معظم الأشهر، في شهر كذا سريةٌ إلى مكان كذا، وفي شهر كذا سريةٌ إلى مكان كذا، وحركّ الضربات الاستباقية، التي أبطل بها وأفشل فيها الكثير من المؤامرات، وبنشاط مكثف على مستوى التعبئة للمسلمين، والتحريض المستمر لهم، لم يكن يسكت عن موضوع الجهاد، ويعتبره من الأمور التي يُسكَت عنها، فلا يُتَكلَم بها، لا في خطبة، ولا في جمعة، ولا في جماعة، ولا في أي مناسبة، الله قال له: {حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ}، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} [الأنفال: من الآية ٦٥]، {وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}، {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء: من الآية ٨٤]، فكان يستمر في تحريضهم، في تشجيعهم، في إثارتهم للانطلاقة في سبيل الله "سبحانه وتعالى"، وفي- على المستوى العملي- في تحريكهم في السرايا، والتحرك في الغزوات الكبرى أيضاً، وبشكلٍ

مكثف، حتى الرمق الأخير، عندما كان في مرضه الذي توفي فيه "صلوات الله عليه وعلى آله"، وهو يعدّ قوةً عسكرية لتتحرك في مواجهة الروم، حتى في تلك اللحظات، فكان من آخر ما ختم به حياته "صلوات الله عليه وعلى آله"، وهو يحضِّر، ويعدّ، ويجهِّز، ويؤكِّد، ويدفع في تحريك تلك الغزوة، غزوة أسامة، وللأسف لم تتحرك تلك الغزوة، وتوفي قبل أن تتحرك.

على كلٍّ يُعتَبر هذا الموضوع مهماً لهذا الأمر: لدفع شر الأعداء، للحصول على النصر في سبيل الله "سبحانه وتعالى"، الأعداء يتحرَّكون بعدائيةٍ شديدةٍ، وباهتمامٍ كبير، وهذا مؤسف، أن يكون أعداء المسلمين أكثر اهتماماً من المسلمين، وأكثر جديةً وهم في موقع العدوان على المسلمين، فيتحركون بجديةٍ كبيرة، واهتمامٍ كبير، وينشطون في مختلف المؤامرات التي يستهدفون بها الأمة، وفي كل المجالات.

الله يقول "سبحانه وتعالى" فيما يتعلق بهذا الجانب: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا}، {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا} [النساء: الآية ٨٤]، فمثَّل التحرك في سبيل الله، والاستجابة لله "سبحانه وتعالى"، عاملاً مهماً في أن تحظى الأمة بنصر الله وتأييده، فينصرها على أعدائها.

الأمة بحاجة في مواجهة التحديات والأخطار إلى معونة الله، إلى أن يكون الله

معها، بحاجةٍ إلى الله، فإذا أردنا أن يكون الله معنا، وأن ينصرنا على أعدائنا، وأن يؤيِّدنا على أعدائنا، لابدَّ أن نستجيب له الاستجابة الكاملة، الاستجابة الصادقة، فنتحرك في سبيله بدافعٍ إيماني، والتزامٍ إيماني في أدائنا العملي، وأن نسعى لأن تكون استجابتنا استجابةً كاملةً، فيكون الله معنا، فينصرنا على أعدائنا، {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}.

وجوب التحرك الجهادي القوي لدفع طغيان أعداء الأمة

والأعداء هم شديدو العداء لأمتنا، وهم متوحشون، مجرمون، عندما يتمكنوا من السيطرة؛ يبطشون بالأمة، يظلمونها، يقهرونها، ينتهكون الحرمات، لا يعطون أي اعتبار لأي شيء، وهذا ما ثبت في كل مراحل التاريخ وإلى اليوم: وحشية الأعداء، إجرامهم، طغيانهم، استهتارهم بالكرامة الإنسانية، انتهاكهم للحرمات، يقتلون بأبشع جرائم القتل، وبإباداتٍ جماعية، حصل هذا في تاريخنا المعاصر فيما تفعله إسرائيل، وفيما فعلته أمريكا في العراق، وفي غير العراق، وفي أفغانستان، وفيما يفعله المنافقون الذين يقاتلون في صف أمريكا وإسرائيل، مثلما يفعلونه عندنا في اليمن، القتل بطريقة إجرامية ووحشية، العدوانية الواضحة، الاستهتار بكل شيء، الانتهاك للحرمات، الاغتصاب للنساء والأطفال، الجرائم البشعة والمتنوعة.

ظلمهم، وشرهم، وإجرامهم يحتاج إلى ردع، هذا الردع يأتي عن طريق التحرك الجهادي القوي، الذي ترتقي فيه الأمة، وتصل في نهاية المطاف إلى النصر الحاسم، وإلى الردع الكامل، فيردعوا أعداءها.

قال الله عنهم: {لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ} [التوبة: الآية ١٠]، فهم في حقدهم وإجرامهم إلى درجة ألَّا يرقبوا فيك أي اعتبار: لا عهود، ولا التزامات...ولا أي شيءٍ يمكن أن يكونوا قد طمأنوك به، أو تكون أنت قد فكرت أنهم سيراعون ذلك الاعتبار، سيتركونك، لن يتجرؤوا على أن يفعلوا بعض الأمور لاعتبارات معينة، كل الاعتبارات تنتهي، عندما تكون المسألة ما يفعلونه بالمؤمنين، بالمجتمع المسلم، لا يبقى هناك قيود ولا حدود، كل شيءٍ يستباح، تاريخنا المعاصر أثبت ذلك، التاريخ في الماضي أثبت ذلك، القتل الذريع للناس، استباحتهم في حياتهم، في حرمتهم، في كرامتهم...في كل شيء، وتحصل المآسي الكبرى في ظل ذلك.

استنطقوا التاريخ الماضي، واستنطقوا التاريخ المعاصر، ماذا حدث من المآسي الكبرى، من الكوارث الكبرى، من الفظائع الكبرى، جرائم رهيبة جداً في القتل

الجماعي، جرائم شنيعة في انتهاك الأعراض والحرمات، جرائم كبيرة جداً واضطهاد للناس في كل شيء، حالة رهيبة جداً، ولكن الذاكرة العربية هي ذاكرة ضعيفة، ذاكرةٌ تنسى، تنسى، تمر أحداث، ينساها الناس، ومع ذلك غُيِّبت الكثير من الحقائق عن المناهج الدراسية، غُيِّبت عن التعليم والنشاط التعليمي، غُيِّبت عن الإعلام، لا تتم إعادة التذكير بها؛ لكي يتذكر الناس من جديد.

{كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ} [التوبة: من الآية ٨]، أحياناً قد يطلقون العبارات التي توحي بما يطمئن الناس، تقدِّم ما هو استرضاءٌ للناس، ولكن وراء ذلك: {وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة: من الآية ٨].

{وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: من الآية ٦٢]، (تَرَى) ترى سلوكاً ظاهراً، سياسةً واضحة، ممارسات حقيقية في أرض الواقع، يُسَارِعُونَ مسارعة عند أي فرصة، طالما هناك ظروف مهيأة، ليس هناك ردع يردعهم، {يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}، لا يحتاجون إلى استثارة، لا يحتاجون إلى مشاكل كبيرة أزعجتهم فحركتهم، هم عدوانيون، أهم شيء لديهم أن تتوفر الفرص الملائمة لذلك، فإذا أصبح هناك ردع، أصبحوا يعيدون الحسابات، وحينها يرتدعون.

كيف كان العدو الإسرائيلي يسارع في الهجوم على مختلف البلدان العربية، كان أحياناً يختلق الذريعة؛ ليبني عليها عملاً عدائياً معيناً، كيف أصبحت حالة الردع في لبنان، عندما أصبح هناك أمة مجاهدة، قوية، مؤمنة، ارتقت في عملها الجهادي والإيماني إلى مستوى الردع، أصبح يحسب ألف ألف حساب لأي عمل يريد أن يقدم عليه، غابت تلك الجرأة التي كان يسارع فيها مسارعة لاكتساح الميدان، تغيرت الأمور، في غزة كذلك أصبحت الظروف مختلفة، عندما أصبح هناك مجاهدون، وارتقوا في جهادهم، كلما استمرت الأمة، الاستمرارية مسألة أساسية في أن تزداد قوةً ومنعةً، وفي أن تترجم التزامها الإيماني المستمر، الذي تحظى فيه بمعونة الله "تبارك وتعالى".

الجهاد أهم حافز ودافع لبناء الأمة وقوتها ونهضتها

الجهاد في سبيل الله "سبحانه وتعالى" يطول الكلام عنه كثيراً كثيراً في القرآن الكريم، ولا يتسع المقام للحديث عن كل جوانبه، لكن من أهم ما يجب أن نعيه عنه: أنه أيضاً عاملٌ مهمٌ في بناء الأمة وقوتها، وعاملٌ لنهضتها، الله "سبحانه وتعالى" عندما قال في القرآن الكريم: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ

مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} [الأنفال: الآية ٦٠]، هذه الآية لوحدها لو عمل بها المسلمون، لما كانوا وصلوا في هذا الزمن إلى ما وصلوا إليه من الضعف، لكانوا هم أقوى الأمم، وأمنع الأمم، وأعز الأمم بكلها، ولكي ينهضوا من جديد، لكي يتحولوا إلى أمةٍ قوية من جديد، لابدَّ لهم من العمل بهذه الآية، أن يستشعروا الخطر، والتحدي المتمثل بعدوهم، وأن يتجهوا لإعداد كل ما يستطيعون من القوة في كل المجالات: على المستوى العسكري القوة العسكرية، على المستوى الاقتصادي...على كل المجالات، تكون القوة وامتلاك القوة في إطار الإيمان هي عنوانٌ أساسيٌ، وهدفٌ رئيسيٌ لأنشطتهم وتحركاتهم.

للأسف الشديد كان البديل عن ذلك هو: عنوان الضعف، والتلاشي، وترك كل عوامل القوة، وكل أسباب القوة، من أهم ما في الجهاد في سبيل الله: أنه يمثل دافعاً، إلى درجة أن يكون دافعاً ضاغطاً بامتلاك القوة؛ لأنك عندما تكون في ميدان المواجهة، وأنت تنازل العدو، وتواجه العدو، تدرك أهمية القوة، وقيمة القوة، وأهمية أن تمتلك المزيد والمزيد من القوة، فتسعى لذلك، عندك الحافز، عند الدافع.

لاحظوا، في بركة الجهاد في عصرنا هذا، في زمننا هذا، في واقع حزب الله، في واقع المجاهدين في فلسطين، في واقع الجمهورية الإسلامية في إيران، في واقع المجاهدين في العراق، في واقع المجاهدين في كل بقعةٍ من بقاع العالم الإسلامي، عندنا في اليمن، الواقع الذي يتجه فيه الناس لمواجهة التحديات، وهم يعتمدون على الله في موقف الحق، ويمتلكون القضية العادلة، ويتحركون في سبيل الله تعالى، وهم يواجهون التحديات، يشعرون بضغط الواقع، بطبيعة الظروف والتحديات، من الأوجاع والآلام في ميدان المواجهات والأحداث، يتجهون بجدية، بحافز كبير، باهتمامٍ كبير، إلى امتلاك القوة، إلى صناعة القوة، إلى تطوير وسائل القوة، إلى الأخذ بكل أسباب القوة، تصبح هذه مسألة مهمة بالنسبة لهم، الآخرون لا يشعرون بأهمية الأشياء، ولا الحاجة إليها؛ لأنهم ليسوا في وارد أن يهتموا بذلك أصلاً، وأن يتحركوا على أساس ذلك أصلاً.

تعطيل فريضة الجهاد من أهم عوامل ضعف الأمة، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في كل المجالات: ضعفها اقتصادياً، ضعفها عسكرياً...ضعفها في كل المجالات، حتى على المستوى الحضاري والنهضة الحضارية.

الآخرون اتجهوا وكأن الآية نزلت إليهم، كأن الآية هذه نزلت في أمريكا على الأمريكيين، أو على الأوروبيين، أو على الصينيين، أو على الروس...أو على أيٍّ من تلك الأمم الأخرى، كأنهم هم أصحاب هذا الشأن، كأنهم من خُوطبوا، فاتجهوا بكل ما يستطيعون، ويستمرون على ذلك، ويصبح بالنسبة لهم الموضوع موضوع رئيسي، وسعي مستمر في امتلاك المزيد والمزيد من القوة، والاتجاه نحو أن يكون أقوى وأقوى، وهذا نهض بهم، أفادهم في دنياهم.

المسلمون حين عطَّلوا هذا الجانب، خسروا في دينهم ودنياهم، تضرروا كثيراً، ضعفوا، قهرهم أعداؤهم، أذلهم أعداؤهم.

ولذلك من بركات الجهاد: أن الأمة تتجه، ولديها الحافز الكبير، وهو: التحدي، والخطر، والمواجهة، والحاجة، إلى المزيد والمزيد من القوة، إلى مستوى صناعة السلاح العسكري، والعتاد الحربي، وصناعة المتطلبات المتنوعة، وتوفيرها، وتطوير كل الوسائل الممكنة، فيمثل فعلاً عامل نهضة، عامل قوة، تتجه الأمة إلى أن تبني نفسها، تُقَوِّي واقعها، أن تُعِدَّ ما تستطيعه من القوة في كل المجالات، والقوة هذه يجب أن تكون قبل كل شيء قوة الإيمان، أن تكون قوة الإيمان، إذا توفرت قوة الإيمان، قوة الوعي، تجعل الناس يتجهون في الميدان بكل ثقة للإعداد.

وهنا لاحظوا، إلى درجة أنَّ الله أراد للمسلمين أن يمتلكوا القوة إلى درجة أن يمتلكوا الردع في مواجهة أعداء الله: {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}، هذا ما يسمى في المصطلحات المعاصرة والتعبير المعاصر بـ (الردع)، يعني: أن تمتلكوا من القوة، ومظاهر القوة، وأن تعدُّوا من القوة، وفي مقدمتها القوة العسكرية، إضافةً إلى كل عناصر القوة التي تتطلبها المواجهة، ما يردع أعداءكم عنكم، ما يجعلهم يحسبون لكم ألف حساب، ما يجعلهم يتهيَّبون من مواجهتكم، ما يجعلهم ينظرون إليكم إلى أنكم أمة قوية، يصعب كسرها، يصعب السيطرة عليها، يصعب إذلالها، وأن مواجهتها ستسبب كلفة كبيرة على العدو، وتخسِّره كثيراً، وأنه قد يهزم في مثل تلك المواجهة ويخسر، ولا يصل إلى المطلوب.

هذه النتيجة يجب أن يسعى لها المؤمنون، أن يعوا أهميتها، أن يدركوا قيمتها وإيجابيتها، وأنها هي التي ترتقي بالأمة إلى مستوى التغلب على التحديات والصعوبات؛ وبالتالي التغلب على العدو.

أسباب النصر

{ يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـواْ إِذَا لَقِيتُـمْ فِئَـةً فَاثْبُتُـواْ وَاذْكُـرُواْ اللّـَهَ كَثِـيراً لَّعَلَّكُـمْ تُفْلَحُـونَ } * وَأَطِيعُـواْ اللّـَهَ وَرَسُـولَهُ وَلاَ تَنَازَعُـواْ فَتَفْشَـلُواْ وَتَذْهَـبَ رِيحُكُـمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ* } [الأنفال ٤٥-٤٦]

اولاً :. الـثـبـات .

يقـول اللـه سـبحانه وتعـالى: {يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَـةً فَاثْبُتُـواْ }(الأنفال: من الآية٤٥) أول قضية يركز الإنسان عليها : الثبات في سبيل الله:

يكـون فاهـم أنـه كمجاهـد في سـبيل اللـه عليـه أن يثبت مع اللـه عند المواجهـة لأعداء اللـه، يثبـت، يكـون رجـلاً صامـداً، لا يكـون ناويـاً عـلى الهـروب ولا الهزيمـة، واللـه يتدخل ويعين عندما يثبت الإنسان، ويستعين بالله؛ فالله جل شأنه يثبته.

اللـه قـال في القـرآن الكريـم: [يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا إِن تَنصُرُوا اللَّـهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُـمْ] (محمـد : الآيـة٧)، ويثبـت أقدامكـم، يـأتي عـون من اللـه لا يترك الله المسـألة كلها عليـك، يعينـك. وبعدهـا ذكـر الله أيضاً أشـياء تعين الإنسـان حتـى على الثبـات وتوصل إلى النصر، وتزيل كل الأشياء التي ستؤثر على نفسك، وعلى موقفك، وعلى ثباتك.

ثانياً :. الإكثار من ذكر الله

يقـول اللـه سـبحانه وتعـالى :{وَاذْكُرُواْ اللّـَهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُـمْ تُفْلَحُونَ} هـذا ثاني توجيه، قبله {فَاثْبُتُواْ} بعد {فَاثْبُتُواْ}{وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ}.

يحصـل تقصـير في الإكثـار مـن ذكـر الله، مع أن المسـألة هامة جداً جداً ؛ لأنه سـلاح مهم ذكر الله، الإكثار من ذكر الله له أهمية وفوائد كثيرة ومتعددة :

أول فائـدة : اطمئنـان القلـب :هـذا مـن أهم ما يحتاج الإنسـان إليـه في الحرب.**الفائدة الثانيـة : القـوة النفسـية :** يعنـي : القـوة المهمـة، القـوة المعنويـة، وله فائدة كبـيرة في أنك في نفـس الوقـت تشـعر بأنـك مـع اللـه، واللـه معـك فتشـعر بالقـوة، لا تشـعر بالضعـف

عندما تتذكر الله أن الله معك وبيده كل شيء، وهو على كل شيء قدير.

الفائدة الثالثة : من فوائد الإكثار من ذكر الله أنه يكون سبب للتدخل الإلهي:

أيضاً يكون الإكثار من ذكر الله سبب أن الله يعينك، يكون معك، ينصرك؛ لأن الغافلين عن الله والناسين لله لن يكون الله معهم، إذا أنت ناسي لله، غافل عن الله لن يكون الله معك، ولن ينصرك، ولهذا يقول الله : [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ] (البقرة ١٥٢).

وذكر الله هو يعني أشياء كثيرة : الصلاة، الاستغفار، التسبيح، التكبير، التهليل، قراءة القرآن، أو سماع تلاوة القرآن، والدعاء .

ثالثاً: الطاعة.

{وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} (الأنفال ٤٦) المجاهد في سبيل الله، يجب أن يعرف أن علية أن يكون مطيعاً لله، عنده اهتمام بطاعة الله، لا يكون انسان متمرد على الله، عاصي لله، يرتكب معاصي، سواء بلسانه، أو في غنائم، أو في عدم اهتمامه بمهامه الجهادية .

رابعاً : الحذر من التنازع .

{وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}، التنازع ذنب وخطر كبير ويسبب الهزيمة والفشل والضعف، هذا خطير جداً، التنازع ذنب نهى الله عنه [ولاَ تَنَازَعُواْ]. فالعمل في سبيل الله مبني على أن يكون هناك مجاهدين متفاهمين متآخين متعاونين

خامساً: الصبر

{وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (الأنفال ٤٦) وهذا يعني: ختام مهم جداً جداً، هذا التوجيه {وَاصْبِرُواْ} يعني: لا يمكن نصر إلا بصبر، ولا يمكن يتحقق الإيمان للإنسان إلا بصبر، ولا يمكن تصل إلى جنة الله إلا بصبر، ولا يمكن السلامة من عذاب الله إلا بصبر.

الصبر قضية أساسية، ومن أهم الأشياء، لأنه مثلاً الحرب معروف أنها ليست نزهة، أنت لا تذهب لكي تتمشى، لا. أنت ستذهب لتجاهد في سبيل الله، وتقاتل في سبيل الله.

يحصل عادة في الحروب مشاق عند الكل، الكل يلحقهم مشقة، أحياناً تحصل ظروف، أحياناً تصاب بالبرد، أحياناً لم يأتِ الأكل في الوقت المحدد، أحياناً يكون الطعام سيئاً، أحياناً إنه تأخر شيء، أحياناً تعبت وأنت في القتال، أحياناً تسهر، لكن التعب هذا له ثمرة، ليس بلا ثمن، له أجر عظيم وله فضل عند الله، التعب هذا سيأتي وراءه نصر، عزة، قوة، خير، خير في الدنيا والآخرة.

أبواب الكتاب

الباب	رقم الصفحة
الباب الأول : معرفة الله	٣
الباب الثاني : كيف نتعامل مع هدى الله	٢٦
الباب الثالث :فضل القرآن الكريم	٣٨
الباب الرابع :كيف نستقبل شهر رمضان	٤١
الباب الخامس :مواصفات المؤمنين	٥٠
الباب السادس :تذكر الجزاء والحساب وأثره في الاستقامة	٩٩
الباب السابع :الطريق إلى الجنة	١٢٥
الباب الثامن :الإخـــــلاص	١٣٣
الباب التاسع :الإحسان ودوره في حياة الفرد والمجتمع	١٤٦
الباب العاشر :بر الوالدين	١٥٣
الباب الحادي عشر :الاستقامة والأساس الذي تقوم عليه	١٥٧
الباب الثاني عشر :عوامل وأسباب تؤدي إلى الفرقة	١٦٥
الباب الثالث عشر :التعاون على البر والتقوى	١٧٨
الباب الرابع عشر :البطاقة التعريفية الصحيحة للعدوان	١٩٨
الباب الخامس عشر :معنى الجهاد	٢٢٩
الباب السادس عشر :أسباب النصر	٢٤٨